الـــدار

رواية

طارق الجزولي

إهداء:

إلي روح عمي صلاح الذي قال لي يوما سيكون لك شأن سيرفع هذه العائلة ومنذ تلك اللحظة أحاول

- روح خالتي حواء

- أبناء إخواني (محمد وسامي) خالد (إسلام- خالد- رهف ولين) محمد وأبناء أخواتي (عمار-جلنار-جسار) ياسر، (رزان- أحمد وأمجد- جمال) عبدالملك أحبكم حتي وإن كنت قاسيا في بعض الأوقات.

- الغالي أحمد حسام

- ابن عمتي الفاتح محمد آدم الذي كرس كل جهده من أجل التبشير بروايتي الأولي

- صديقي منصور صديق الذي لم يغير حتي اللحظة صورة غلاف رواية شاب التي جعل منها صورة شخصية

- وإلي التي أهدتني نسخة من روايتي الأولي قبل أن تصل للسودان الرائعة صديقتي منارة الإسلام محمد.

– الصديقة هويدا أزرق ربما ما أكتب أقل من مقامك فعذرا. والأخت والصديقة نجلاء أحمد (بايو) التي كانت تحمل هم الكتاب أكثر مني حتي ظننت هي منكتبتها.

– الزميل والصديق النور أحمد سالم

– للعاملين في دار المايقوما

لكم جميعا أهدي محاولتي الثانية

أتمني أن تكون علي قدر مقامكم لدي

شكر

شعوري بالامتنان يجعلني أقدم بعض الشكر لكل من قدم لي في رواياتي السابقة دعما.

فالشكر لكل من حضر تدشين رواية شاب من زمن آخر، ولكل من كتب أو تحدث عن هذه الرواية، ولو جاز لي ان أخص أسماء، فأخص بالشكر كل من (عمتي ريا اسحق وابنتها أمنية ، وللعم مختار بشير المهدي والمهندس أبوبكر خوجلي وكل شباب العلوم من جامعة النيلين، زملاء الجامعة الذين شرفوني من أفراد الدفعة 13، والحضور من زملاء الثانوي (وليد عبدالله، أمجد اسحق، فضل صالح) ولكل من اشتري نسخة من الرواية دعما لي، وللسيد عز الدين حمودة مدير الموارد البشرية بوزارة المعادن الذي رعي مع النقابة الفرعية لعمال المعادن يوم التدشين، والشكر لكل من الأستاذ صديق الحلو والأستاذ محمد سالم الذين قدمو نقدا للرواية.

وللشباب (جمعة صالح ، شاكر زكريا، ناصر خلف الله الذين قاموا نيابة عن الدفعة 13 بتكريمي)

إذاعة حواس الذين استضافوني عبر برنامج سبوت لاين قبل التدشين ولإذاعة دارفور التي كنت ضيفا عليها لأكثر من مرة، ولصحيفة مصادر التي بادرت بالإعلان عن الرواية قبل صدورها مع شكر خاص للأستاذ الصحفي بركة.

طارق جلال وأدم سلك ومصعب محمد كان لكم دور كبير في يوم التدشين.

عمر مختار الذي صمم الغلاف للرواية الثانية (الدار) إضافة لما قدمه في تدشين شاب من زمن آخر.

وللأخت صفاء أحمد الهجا التي قامت بمراجعة وتصحيح رواية الدار.

ولأسرة دار أوراق التي كانت ومازالت لها بعد الله الفضل في ظهور ما كتبت علي الورق.

- 1 -

الزمان بعد لحظات من انتصار الضوء الأبيض علي الأسود في أحد صباحات إكتوبر، شهر الذكريات والملاحم حيث ارتبطت به إحدى الثورات في السودان، يأتي هذا الصباح مشبعًا برائحة الدعاش بعد ليلة ممطرة، مازالت هنالك بقايا من الماء علي الأرض رغم أنها لم تستمر كثيرًا لكنها أفرحت الجميع فقد أنعشت الأجواء بعد أيام ساخنة كانت كأنها تريد أن تلوح بيدها إشارة للوداع حتي خريف قادم تاركة المكان ودعوة منها لإستقبال الشتاء.

المكان إحدى أحياء الخرطوم، رغم الصمت الذي يعم المكان في أول الأمر لا يقطعه إلا نباح الكلاب، ثم حركة للأرجل تعلن عن نفسها وهي في معظمها رحلة نحو المساجد لتأدية صلاة الفجر بعد لحظات عم صوت شيخ في الصلاة يرتل الآيات «وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (72)» والشيخ كان يجاهد ليكمل الآيات وهو

يبكي خوفا وخشية وحال من معه يقول اللهم أجرنا منها حتي الكلاب صمتت رهبة في حضرة الحديث عن العذاب ويواصل الشيخ وقد تحول بكاؤه لفرحة ظهرت في ترتيله بعد أن انتقل بصوته لمرحلة أخري تحمل البشريات «وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) وَقَالُوا الْحَمْدُ للهَّ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)».

إنتهت الصلاة خرج المصلون منهم من سيتوجه لعمله مباشرة علي أمل أن يرزقه الله ما يكفيه هو ومن يكفل، آخرون في طريقهم للديار فلا يحلو الصباح عندهم إلا بصلاة الفجر في المسجد وشرب الشاي بالزلابية مع رائحة اللبن المقنن مع الأسرة قبل أن يخرجوا إلي أعمالهم.

أحد المصلين يسير بحذر خوفا من الطين فيرفع رجله ثم يتأكد أن ما أمامه أمن ولا خوف علي رجله فينزلها، يحمل معه بطارية ليضيء الطريق فالأمطار رغم نعمتها وحبهم لها لكنها أحيانا تكون مصدرا لكثير من المتاعب في العاصمة وذلك ما بين أرض طينية ومشاكل التصريف، ظل يسير بحذره حتي سمع صوتا غريبا لكنه لم يعره اهتماما فالقطط أحيانا تصدر أصواتا تحاكي الإنسان أو الطفل لكن سرعان ما أعطي انتباهه مع ازدياد الصوت كأنه صراخ طفل حديث التفت خلفه وتحت إحدى الأشجار شاهد أربعة من الكلاب تلتف حول شيئا ما لم يتبينه فقد حجبته الكلاب، حب الاستطلاع جعله يتراجع نحوها بخطوات أسرع وكأنه

نسي الطين الذي يغطي المكان وجه بطاريته نحو الكلاب ومع إقترابه بدأت الكلاب في التراجع ليتضح له أن الصراخ كان يأتي من شيئا ملفوف بثوب.

*****

سيدة الجميلة هكذا يطلق عليها في الحي الذي تسكنه، دائما تهتم بجمالها ونفسها وتعطي ذلك أولوية واهتماما مضاعفًا لو قارناه بما تفعله في دراستها، سبقتها جميع زميلاتها في المدرسة لكنها لم تكترث لذلك فقد كانت تؤمن أن البنت في آخر الأمر يجب أن تعرف أن مصيرها وكذلك يجب أن يكون هدفها زوجا، هي تدرك أنها ستسبق في الزواج كل من يدانيها في العمر بل ومن يكبرها، تشاهد نظرة الإعجاب في عيون كل شباب الحي بل وبعض الكبار لكنها لم تكن تعيرهم انتباهها رغم أنها تسعد بذلك ففتاة مثلها في السابعة عشرة من عمرها تملك كل مقومات الجمال ما الذي يجعلها ترد علي كل من أطلق كلمة معسولة لها بصوت مسموع؟ تصلها عشرات الرسائل أسبوعيًا، كانت تقرأهم ثم تقوم بحرقها مباشرة ولا تحتفظ بها فلو وجد أحد أفراد أسرتها هذه الخطابات أو أمسك بها أحد الأساتذة في المدرسة ستتحول حياتها لجحيم لذلك كانت تقرأ ثم تحرق أو تمزقها وترمي بها بعيدًا ولم تفكر بالرد فقد كان هذا الفعل يرضي غرورها، الجميع مهتم وهي غير مبالية، كما الخوف وبعض من الخجل يمنعانها، تحكي لصديقتها المقربة سعاد كل ذلك، أحيانا لا تصدق صديقتها ما تقول ومرات أخر تصدق لأنها قد شاهدت ذلك، بل

هنالك أكثر من شخص قد طلب منها أن توصل له رسائل الغرام لكنها ترفض بحجة أن هذا ينافي خلقها وما تربت عليه رغم أنها كانت ترفض ذلك لسبب آخر، فهي تحس بالغيرة لماذا لا يعبرها أحد ولماذا لا تصلها خطابات ألهذه الدرجة تفتقد عنصر الجمال؟، سيدة كانت تشاهد في عين صديقتها الغيرة والحسد، سعاد ترد علي هذه النظرة بقصص أخري حتي لو كانت من خيالها عن غرام واحد أو أكثر بها، تهدف أحيانا لإخبار صديقتها أنها أيضا محبوبة وكان هذا يشبع غرورها أكثر وتشعر بأنها أنثي مكتملة مقارنة مع الأخريات.

سألتها صديقتها يومًا سؤالًا طالما تردد وتكرر:

أنت يا سيدة لي ما بتعبري الأولاد ديل كلهم؟ ديل يموتو وتردي ليهم

سيدة: أنا ما ممكن أقبل أي حد، يوم أفكر إني ممكن أتكلم مع شخص فأكيد الشخص دا ليه مركزو، متعلم مثقف فاهم والأهم قروشو ما تتحسب.

سعاد: بس يا سيدة القروش ما أهم شيء، في الحب الحب دا إحساس نبيل و...

قاطعتها: سيبك من الأحلام دي لو أنا ما جميلة كده كان عبروني زي ما هم بجرو وراي عشان جمالي أنا لازم أقيم جمالي وما أخلي أي حد ينال شرف إني أرتبط بيه.

صمتت الصديقة وفي داخلها ألم فما قالته سيدة أقرب للحقيقه الجمال هو ما يجري خلفه كل المعجبين الذين يطاردون سيدة أما هي فلا أحد

يهتم بها تكاد أن تصاب بالجنون لماذا لا يعبرها أي من الذين تشاهدهم، كانت تقضي أغلب وقتها في المرآة تتأمل نفسها نعم هي ليست جميلة بنفس مقدار سيدة لكنها ليست دميمة، كل المشكلة أنها تصادق سيدة لو كانت تصادق فتاة أخري عادية الجمال لكان وضعها مختلفا، لكن لأنها تقضي وقتها مع سيدة فكل من يشاهدها يقارن بينهما وللأسف تكسب سيدة دائما، فكرت كثيرًا في أن تنهي هذه الصداقة حتي تحظى بشيء من الاهتمام لكنها تتراجع فهي رغم كل شيء لا تستطيع أن تفارق صديقتها ولأن الأمرين أحلاهما مر بالنسبة لها تعيش في صراع داخلي يجعلها تعيش في حزن ظاهر عندما تمسك بالمرآة تشاهد هذا الحزن تخفيه دائما بمحاولة ضحكها، كانت تضحك أكثر من المعقول بل تضحك في أمور لا تضحك أصلا بعض ممن حولها يقول عنها وعن ضحكها أنها قليلة الأدب والمنصفون منهم يقولون إنها هزلية لا تعرف المسؤوليه ولن تنفع في يوم ما ولن تكون ست بيت شاطرة.

****

وائل يطلق عليه وسط أصدقائه الساحر، واللقب يعود لكونه يمتلك قوة جذب قوية، بدقة أكثر أن جاذبيته ناحية النساء، لم يدخل في منافسة لكسب ود إحداهن إلا وقد كسبها، نعم ما يفعله هو بهذا المعني منافسة فقد كان يتحدى أفراد شلة الأنس والدراسة بأنه قادر علي أن يرمي بشباكه علي أي فتاة ووصلت بهم الجرأة أنه كان قبل الدخول في أي تحدى يطلب قبل البدء طلبًا يناله بعد أن يكسب، هو ومن معه كانوا علي ثقة

أنه سيكسب لكنهم يدخلون معه من باب كسر الروتين وإيجاد موضوع يتحدثون فيه، أحيانًا كان السبب هو الانتقام من إحداهن حاول معها أحدهم ولم ينجح فيستعين بالساحر للانتقام ليجعلها تقع في حبه حتي تصل للهيام ثم يتركها بعد أن يخبرها أنه اكتشف أن صديقه فلان يحبها ولا يستطيع أن يخسر صديقه من أجل فتاة.

استحقت هذه الشلة لقبها وما يقال عنها فتسمع أحد الآباء يحزر ابنه من مخالطتهم: اسمع يا ولد والله ما تعمل لي فيها كبير بس أبقي راجل أشوفك مع شلة الضياع دي ديل شماسة وما نافعين أبعد عنهم أحسن ليك.

وآخر: شوف يا ولد أشوفك مع الصعاليق ديل والله تعرف حاجة.

رغم كل ما يقال عنهم كان لهم اتفاق شرف غير مكتوب لم يكن أحد منهم ينظر إلي أي من فتيات الحي نظرة حب بل يعتبروهن أخواتهم يجب حمايتهم من الغرباء، فينال العقاب كل من يرميه حظه العاثر في طريق إحداهن ويصل الخبر إليهم.

الساحر يحفظ من الشعر الكثير هذا غير محاولاته التي يقوم بها في الكتابة، أفراد شلته وآخرون يستعينون به في كتابة خطابات الغرام فخطه وطريقه كتابته للرسائل تخبرك إنك تتعامل مع محترف فهو منذ المرحله الابتدائية يفعل ذلك.

****

جلست سيدة في الكراسي الموجودة بالمقدمة بجوار ابنة خالتها في

مناسبة جارتهم كانت منتبهة تماما مع الأغنيات التي اختارها الفنان بعناية:

أحرِمُونى ولا تحرِمُونِى سُنَّة الاسْلاَمْ السَّلاَم
عَطْفَكُمْ يَا مَنْ ألَّمُونِى كالأشعَّة الأسهُم رَمُونِى
الشَّجُونْ باللَّيلْ نَادَمُونِى الأَنِينْ والنُّوحْ علَّمُونِى
لَوْ مُعَنْعَنْ قُولْ كلَّمُونى حُبَّى طَاهِرْ لِمَ تَظلِمُونِى
بَرْضى قَابل الظُّلُم إحْتِرام

وائل أيضا هنا، واقف بحيث يكون في مرمى بصر سيدة لقد حضر هذه الحفلة مخصوصا من أجلها هو يعرف أنها ستحضر لذا عندما جاءه الخبر بأن هنالك حفل في حيها ظل يستعد للحضور ليومين كاملين، فمنذ أكثر من شهر عندما شاهدها أول مرة خارجة من منزل إحدى صديقاتها تعلق قلبه بها لكنها كانت صارمة لم تعطه فرصة، كما كانت طوال فترة حياتها تضع حاجزًا بينها وبين كل الأولاد الذين يطلبون ودها لجمالها، الأغنية قد لمست فيه وترا حساسا فقد قابلها قبل يومين ومد لها يده ليسلم لكنها لم تهتم ولم تنظر إليه حتى، بدأ يردد مقطع السلام مع الفنان وعيناه مركزة عليها لم يرمش له جفن هي نفسها لاحظت هذا، ويسعدها هذا، قد وقع في حبها حد الجنون كان يغني انتبهت لهذا وزاد فخرها بنفسها وبجمالها.

استمر الفنان في اختيار أجمل الأغاني وكان وائل كلما أتت أغنية بها من الألم والبعد انغمس فيها بكل أحاسيسه.

لذا ظل يردد بصوت عالٍ مع الفنان

احترت فيك يا نادي
يا أصل الندى
فيك الحياة فيك الهنا
وفيك الردى
يا سر حياتي وجنتي
راحة فؤادي وأنّتي
عطفك عليّ
اسمعني من صوتك صدى
صبري انفقد
والحب على قلبي اعتدى
أنا ليّ فيك
آمال شريفة وصادقة
اترك جفاك
ادنيها يوم لا تباعده
أنت الحبيب ياسلوتي
وأنت الطبيب في بلوتي
حلمك عليّ

والكل منتبه مع الفنان والعروس انقطع التيار الكهربائي فجأة ثم صوت ضرب وكراسي تتطاير في الهواء.

- 2 -

وصل حاج علي إلي مكان الصوت، رفع عصاته محاولا إبعاد ما تبقى من كلاب بعد أن هرب بعضها قبل وصوله، نجح في ذلك جرت الكلاب وهي تنبح ثم وقفت علي مسافة تسمح لها بمتابعة ما يحدث علي أمل أن تعود مرة أخري، أنزل حاج علي بطاريته أرضا ليجد كرتونة بها طفل موضوع، هز بطاريته التي كان ضوؤها باهتا بسبب ضعف الحجارة علي أمل أن يشتد نورها، الهزة جعلت الضوء الصادر قادرًا علي رؤية الطفل الذي يبكي بصوت لا يحتاج لتسال، صوت من أصابه الوهن والأمر يزداد سوءًا بهذا الهواء المشبع بالرطوبة، ركز حاج علي دماء تأتي من يد الطفل صاح بأعلي صوته طالبًا النجدة، لحظات حتي اجتمع عدد من المصلين وقفوا أول الأمر يشاهدون المشهد بعضهم في عدم فهم وآخرون غير مصدقين فما تعودت أعينهم علي مثل هكذا مشهد وآخرون لم يسمعوا حتي في الخيال أما ترمي طفلها.

علي: أنتو حتقعدوا تتفرجوا ولا حتقدموا المساعدة؟ كلكم متلمين كده ضرب كفيه مع بعضهم البعض دلالة علي الحسرة عليهم وعلي أولاد هذا الزمن.

بحديثه هذا كأنه صب عليهم جردل ماء مثلج في هذا الصباح البارد ليسرع أحد الشباب بحمل الطفل وهو يتحدث:

لازم نجري سريعا، الدكتور في المستوصف حق حلتنا دا بيكون فاتح؟

آخر: وما تنسوا تمشي تفتحوا بلاغ في الحادثة دي لإنو كده الله أعلم يستلموا منك بدون أورنيك غايتو نسأل ربنا يحمي ولايانا يا رب.

إنتبه الجميع بحديثه لشيء آخر غير الحوجة العاجلة لإسعاف الطفل، إنهم أمام جريمة كاملة، كاد حاج علي أن يسقط وهو يسمع ذلك وزاد الأمر عليه بعد أن اتفق الأغلبية علي أنه هو من سيفتح البلاغ، هو من وجد الطفل وهو وحده من يستطيع أن يدلي بمعلومات، اتسند علي العصاة التي يحملها فقد أحس أنه ما عاد قادر علي حمل نفسه ثم ما لبث ثواني حتي جلس علي الأرض، عاش حياته كلها بعيدا عن الشرطة يخاف أن يقترب منهم حتي إنه منع ابنه الذي كان يريد أن يدخل كلية الشرطة، اليوم وجد نفسه الشاكي والشاهد في جريمة كبرى، ماذا سيقول وإن اتهمومه هل ستنشر الصحف صورته وقد تتهمه بعضها، ماذا يقول أفراد عائلته!! مرت كل هذه الأفكار في رأسه قبل أن يقرر أنه سيكمل جميله حتي النهاية. عاد للواقع ليجد الجميع ما زال يواصل أسئلته متعجبين لما حدث.

أحدهم: مين ابن الكلب الغشي البت دي؟

آخر: غشي منو أنت مسكين دي أصلا بنت ما متربية أهلها فارغين

وبدأ الجميع يتبادل رمي الإتهام في من هو المخطئ الولد أم البنت، البنت أم أسرتها، أما علي فقد لحق بالشاب ليذهب معه للمركز الصحي وهناك سيجد العسكري ليقوم بعمل أُورنيك تمانيه أو سيرسل الطبيب في طلبه كما أخبره أحد العاقلين.

كانت هنالك فتاتان تقفان خلف أشجار خارج إطار الرؤية يرتجف جسديهما يعود ذلك للرعب من أن ينكشف أمرهما والبرد الذي لم يستطيعا مقاومته، الخوف ظاهر عليهما يتابعان بشغف ما يجري حتي تأكدتا أن الكرتونة تم حملها أخذت إحداهما نفسا عميقا وسمحت لدموعها بالنزول بعد محاولات من الأخري وإصرار من الأولي علي الانتظار بل ومتابعة الذين حملوا الطفل لتعرف مصيره حتي النهاية لكن في آخر الأمر انسحبتا ببطء شديد مبتعدتين عن المنطقة تماما دون أن يشعر بهما أحد.

****

أصيبت سيدة بالرعب لم تكن تدري ماذا تفعل والكراسي تتطاير في الجو من حولها بعد لحظات وصل أحدهم فتح بطارية يحملها بيده لم تتبينه قال لها بهدوء: اتفضلي اتبعيني أطلعك من المكان دا قبل ما يجيك مكروه السكارى كتار وبعدين أنا ولعت البطارية يعني ممكن جدًا.....

قطع حديثه وصول كرسيين في اتجاهما لينزل إلي أسفل بسرعة ليتفادهما وأمسك يد سيدة أيضًا ودفعها بعيدًا عن المكان المتوقع للكرسي بعدها خرجت معه مسرعة، بعد أن خرجت تذكرت ما حدث صاحت بغضب:

أنت كيف تمسك يدي يا حيوان أنت!

: أنا مش حيوان ناديني بوائل أفضل

سيدة: بلا وائل بلا زفت..

قاطعها: مالك أنا مسكتها بس عشان أنقذك من ضربة كرسي كان ممكن تخرب معالم الوش الجميل دا والله ما قصدي أي شيء تاني وعلى أي حال آسف ممكن ترجعي جوه.

أنهي حديثه هذا وأسرع الخطوات مبتعدا إلتفتت ناحية الصيوان سمعت الصراخ والبعض يجري وأصوات الكلاب التي تأتي من بعيد حسمت أمرها بسرعة وصاحت يا و..يا ولد

إلتفت وائل وسأل بصوت فيه من البراءة والاندهاش كأنه حضر للتو عابرًا فقط وأصبعه يشير لنفسه رغم أنها لن تشاهده مع الظلام: أنا يا أخت؟

سيدة: أي أنت

ابتسم بانتصار لو لم يكن الظلام وشاهدته لاختارت أن تغامر بالرجوع أو الذهاب وحدها رغم الخوف لكنها لم تشاهده.

: أي في شنو؟ أنا اعتذرت سيبيني أمشي بيتنا سريع قبل ما الحرامية والصعاليق ينتشروا في الحتة دي بعد الشكلة الحصلت دي ومشيتي ذاتوا يكون في تلتله

سيدة: حرامية ينتشروا هنا؟

وائل: أي أنتِ فاكرة الحفلة دي بتخرب ساي، حك رأسه ليروي لها

قصة من خياله هدفه أن يزيد الخوف بداخلها فوق الذي هي فيه الآن، أي الناس ديل ما هينين ساكت ديل بفكروا بغشو السكرانين عشان يخربوا الحفلة ويمشوا ينتظروا بعيدًا أي زول بجري علي جهة من الشاردين يقوموا يمسكوا ويسرقوا والبنات كمان ولو ما لقوا عندو حاجة بشيلو هدومو اللابسه هدوم الحفلات أنتِ عارفة بتجيب قروش ليهم

سيدة: معليش طيب لو ما شيء بالشارع الدغري دا تقدمني

وائل: لا والله دا ما طريقي....

صمت لحظات مقصودة ليجعلها تصل لمرحلة الترجي لكن عدل من رأيه وقال بصوت يحمل من الإنسانية والشهامة ما يفوق حد الوصف.

: لكن ما مشكلة ما ممكن أخلي بت تمشي بليل بطريق خطر كده أنا بوصلك والله، أخرج سكينا من ذراعه.

شاهدتها تلمع في سواد الليل.

: صاحت دا شنو؟

وائل: دي سكين ممكن الجماعة ديل يظهروا لينا ما تخافي دي لحمايتك.

سارت جنبا إلي جنب معه، الخوف والغضب يجتمعان معا لديها، فقد أجبرتها الظروف علي السير مع هذا الولد الذي لا تعرفه وهي التي ترفض أي معاملة مع الأولاد حتي لو كانت تعرفهم بل تفضل أن تقف بعيدة عنهم تستمتع بأمنياتهم أن يصلوا إليها.

حاول كثيرًا أن يتبادل معها الحديث لكنها كانت لا ترد وحتي إن ردت فكانت ردودها غير مفهومة علي طريقه هممممم لا مممممم ما

عارفة أنا خائفة بعد مجهود أخبرته باسمها رغم أنه يدري ذلك جيدًا ويعرف عنها أكثر مما تتخيل.

: خلاص أنا وصلت داك بيتنا أنت أقيف هنا أنا بمشي عشان ما يشوفنا زول ويفهمونا غلط.

وائل: ما تخافي أنا حاقيف هنا وحاراغبك لحدي ما تدخلي كان ضروري أوصلك بس أي شيء ولا يفهمونا غلط وابتسم مع ضحكة صغيرة منه

صمت للحظات وسألها وهي تتحرك ناحية دارها

: ما في شكرا ولا مع السلامة؟

سيدة: بجد والله أس...

قاطعها مضيفا: علي فكرة أنا البيت دا جيتو تقريبًا قبل كده وأسي دابي عرفتك أنتِ سيدة صحبة سهام مش كده البتقر...

لم تسمع بقية حديثه لكن من صوته الآن ومن وجهة رغم أنه غير واضح تماما بسبب الظلمة، أدركت من هو، الولد الذي يلاحقها في كل مكان اللعنة أي حظ هذا لو كانت تدري لما... قطعت أفكارها هبت جارية لم تلتفت له دخلت الدار وهي تبكي وأسرعت ناحية الغرفة لتجد أمها تسألها عن الذي يبكيها، لم تقل لها إنه وائل وأن حظها هو ما يبكيها لكنها حكت ما حدث في الحفل وأنها لم تعرف ما تفعل وأتت وحدها تجري وهي خائفة احتضنتها أمها حتي جعلتها تهدأ بعدها قالت لها في حزم:

: ما تقولي كده خلاص انتهي الموضوع لا يا شاطرة باكر الصباح لينا كلام حار.

****

دخل معاذ ومعتصم يحملان لؤي الذي كان جسده يحمل آثار ضربات وكدمات وجروح، لم يذهب للمستشفى خوفًا من الأسئلة والعلاج الذي لن يتم إلا بعد فتح بلاغ، لم يذهبا لمنزل لؤي تفاديًا للمشاكل والأسئلة أيضًا، كان الخيار الأفضل الذي يلجاؤون له دوما منزل معتصم فالصالون في منزلهم مفصول تماما عن باقي الدار فلا أحد سيدخل عليهم في العادة لذا كان هو المكان الرسمي لأفراد الشلة.

معاذ: يا زول ما ترجل شنو الجرسة دي معقولة ياخ، الله عفو دا ما حال رجال البتعمل فيه دا.

لؤي: معقولة ونص أنا ولا.. حي يدي حي أطلق سبه من تلك الكلمات النابية التي يطلقها الشباب والتي يحاول بها الشباب أن يوصلوا للمتلقي أنهم ناضجون ويفهمون في كل شيء، واصل إخراج الصوت الذي يدل علي الألم قبل أن يكمل

: أنت لو كنت الاضربت كان اسي بتعمل اكعب من كده ما بس .... حي اههه ضهري

معاذ: دا ما عزر وعاوز تحاو..

قاطعه معتصم: ياخ ما تقعدو تعملو لينا جوطه اسي المصيبة دي نعمل فيها شنو؟ الزول دا مدقوق مفلق نص جسمو معوق نعمل شنو!!

لؤي: قلت ليكم ودوني الدكتووووووور أي جسمي كلو بحرقني حي...

معتصم: نوديك الدكتور عشان يعملو لينا أورنيك تمانية وسين وجيم نحن ناقصين

لؤي: والله أعيط والم ليكم الناس هنا

نفذ ذلك حرفيًا وبدأ في الصياح أمسك به معتصم مغلقا فمه بقوة ولأن ما يمر به من ألم لا يستطيع معه فعلا شيء آخر استسلم تماما رغم أنه لو كان بكامل قوته لما استطاعوا أن يمسكوا به لقوته التي اشتهر بها بين أصحابه حتى إنهم كانوا يعتبرونه الحامي الذي به يبعدون كل الآخرين ويضمنون أن يذهبوا إلى الحفلات أينما كانت فقد اشتهر بسمعته بين الأحياء المجاورة بعدوانيته الشديدة وبالمشاكل التي يقوم بها.

معاذ: براحة عليه الراجل بتألم أنت ما شايفو

معتصم: لا لازم يتذكر إنو راجل ياخ اختشي الناس كلها بتخاف منك لما يشوفوك ما بتستحمل تقول شنو!!

لؤي بعد أن ترك فمه: هو الناس دي لو في واحد فيهم حصل لي دا بقدرو عليه أنا والله لو ما الصيوان وقع فيني وبعدها سبعة ولا أكتر ركبوا فوق علي ومسكوا ...

معتصم: هم السبعة ديل طلعوا منها ما أنت بالمطوة المعاك طعنت كم واحد فيهم

لؤي: ولسه والله الطعن دا بس علامة عشان أعرف أي واحد في...

اح اح اي

معتصم: عشان مافي زول يشك من أنك بتتحمل أي شيء أنا مستعد أربطك وأقفل خشمك كمان.

لؤي: لكن يا كلاب ما ممكن أنا أقعد كده بي الوجع واحتمال أكون مكسور لازم نمشي نتأكد ..

معتصم: وعشان يعملوا ليك أورنيك وسين وجيم ويمكن تتقفل كركون يا صحبي.

معاذ: أنا لقيت فكرة

التفتوا إليه منتظرين تلك الفكرة ولؤي كانت عيناه تصيح بأن يسرع بالحل فما يشعر به من ألم فوق طاقته.

- 3 -

ظل حاج علي ذلك النهار مهموما، لأول مرة يرفض شرب الشاي في المنزل طوال سنوات عمره لم يفعلها اندهشت زوجته من ذلك هل هو مريض حتى في حالات مرضه يطلب الشاي ويشرب منه حتى قوله لها إن صلاة الصبح حاضر تفتح له الباب للرزق بعد أن يرضي عنه الرحمن وأن كوب الشاي من زوجته يعطي الحياة لون ويجعله معتدل المزاج، هل يفكر في الزواج؟، ما الذي يجعله دون أسباب يتغير فجأة؟، ما يجعله مهموما هكذا ليس دينا، ولا تعتقد أنه الوضع المادي فحتى لحظات الحوجة الشديدة لا يغير وجهه ولا يسرح بفكره بعيدًا، أفي هذا العمر من خدعه؟، بل من خدعته لن تتركها تفوز به أبدًا، دارت تلك الأسئلة في رأس زوجته.

لم يكن يستطيع أن يقول لأهل بيته ما حدث، يعف لسانه عن ذكر هذا، أهنالك امرأة ترمي طفلها مهما كانت! وأي أسرة هذه التي لم تكتشف أن ابنتهم تحمل في بطنها جنينًا حتي موعد خروجه ! لا توجد أم لا تعرف هذا أي زمن هذا الذي يعيش فيه؟ لكن صدقت المقولة التي يقولها جده من عاش شاف العجب.

قال لنفسه: لو كان دي في وقت تاني قبل سنين كان قتلوا البت وانتهى الأمر.

ظلت كل هذه الأفكار تمر علي رأسه ويسأل الله رافعًا يده أن يحفظ من في كنفه ورعايته، يمر الشريط بأحداثه منذ أن وجد الطفل، ثم في القسم حيث ظل لأكثر من ثلث الساعة هنالك حتي أخذت بياناته وطلب منه الحضور لاحقًا لتكملة أي إجراء فيما أكمل الشباب بقية الأمر، ثم وضع الطفل في مستوصف صغير قبل تسليمه لاحقًا لدار المايقوما بعد موافقة الطبيب.

****

ظلت إحدى الفتاتين تبكي بحرقة شديدة والأخري تحاول تهدئتها لقد رمت طفلها جزءًا منها في الشارع، لكنها لا تملك أي حل آخر غير ما فعلت لن تسامح نفسها علي ذلك لكنها سوف تستعيده يومًا ما لابد.

الفتاة الأخري: خلاص ما تبكي كده كفاية نحن لازم نرتاح عشان الوضع يرجع لطبيعتوا ولا عاوزة الناس كلها تاخد خبر إنك ولدتي من غير زواج البكاء والتحسر حيزيد القصة.

الفتاة أم الطفل: لا تكون كارثة يا... تذكرت أمرًا مهمًا عادت تبكي ثم واصلت لكن الطفل ذنبو شنو و..

قاطعتها: ما تخافي أكيد حيكون بخير وشالوا الناس الطلعو من الصلاه فأكيد حيسلموا للبوليس وبعد داك حيودوا الدار القالتها لينا يوم داك المرة اسمها شنو ديك؟

أم الطفل: المايقوما

الفتاة الأخري: أي بس ياها ذاتها وهناك حيلقى البهتم بيه ما تخافي ساكت عليه.

أم الطفل: بس أنا لازم أشوفو تاني لازم بس كيف ما عارفه.

صمتت الفتاة مرة أخري حاولت أن تقول لها أن تنسي مثل هذه الفكرة لأن أي محاولة منها ستكشفها وسيقبض عليها وستصبح فضيحتها كما يقال بجلاجل لكنها خافت إن قالت ذلك تزيد ألمها وعذابها وهي الآن في وضع لا يستحمل لذا قالت لها في آخر الأمر

: أنتِ مش عملتي ليه علامة في كتفو فوق وواحدة في رجلو خلاص ساهل إنو تمشي ليه

أم الطفل: أول ما أتم النفاس دا أمشي ليه.

هزت صديقتها رأسها فهي سوف توافقها الرأي في كل ما تقول حتي تعبر بسلام من هذه الفتره ثم بعدها سيكون هنالك حديث آخر.

****

أحضر معاذ طبيبًا يعرفونه يجالسهم كثيرا ما زال في فترة الامتياز، أتته الفكرة وهو يشاهد صديقهم لؤي يتألم وما كان بمقدوره أن يتحمل، خاف أن يحدث له مكروه لحظتها ستكون مصيبة فتذكر أن لديه صديقًا ليس مقربا كان يلعب معهم الكوتشينة وفي بعض الأحيان يشرب معهم السجارة الخضراء أول ما أتته الفكرة أسرع إليه تاركًا معتصم ولؤي يفكرون فيما هنالك وفيما وصل إليه من حل كان الوقت متأخرًا عندما

ضرب الباب خرج والد الطبيب سأله

: في شنو؟

معاذ: يا عم عندنا حد تعبان شديد ومافي دكتور اسي غير ولدك.

الحاج: ما كان ممكن تودو الإزبتاليه الا بس تزعجونا؟

معاذ: حالتو ما بتستحمل أول عاوز إسعاف سريع بعد داك نودي ما تخاف.

دخل لينادي ابنه قد تعود علي هذا الأمر في البداية كان يتضجر هو وابنه، لكن وصلا لمرحلة الاقتناع أنها ضريبة المهنة ويجب أن يقوما بها، ولأنه يحلم بأن يصبح ابنه أكبر طبيب في المنطقة وجد أن الصبر طيب وجميل وهو المفتاح الذي سيقوده لما يحلم.

خرج معه طبيب الامتياز حاول أن يعرف طبيعة الأمر وحالة المريض، لكن لم يجب عليه معاذ ظل صامتًا لم يشبع حب الاستطلاع والفضول لديه، مد له سجارة ملفوفة بدلًا عن الإجابة، كرر الطبيب السؤال بعد أن دسها في جيبه ولم يجد غير صوت الخطوات المسرعة.

رفض الطبيب بشدة أن يتدخل في الحالة وتحدث غاضبًا رافضا لمس لؤي بل طالب منهم أن يذهبوا به للمستشفى لأن الأمر به شبهة جنائية يحتاج لأورنيك قبل العلاج، لم يزدهم حديثه إلا إصرارا علي أن يفعل ما يستطيع أخبروه عن عدم نيتهم أن تدرك الشرطة وتتدخل فهو ضرب في مشكلة بإحدى الحفلات ولا يعرف أي شيء عن من ضربه ومن كان معه.

الطبيب: الكلام دا كلو فهمتو أي لكن الزول دا محتاج صورة أشعة عشان نعرف مكسور ولا لا يمكن...

قاطعه معاذ: كسر شنو يا دكتور الزول دا نصيح ياه شوية رضوخ ساي

الطبيب: طيب ما دام أنت عارف ما تعالجو.

صاح لؤي: ياخ أتو ياهو سمعتو كلام دكتوركم الجبتو قال مستشفى وصورة ...

معتصم وقد أصابه الغضب من تكرار وإصرار لؤي علي ذهابه للمستشفي

: طيب أمشي وبعدين لما يدخلوك الكركون كم يوم ما تقول إنو ما نصحناك وأبوك لما يعرف ويوديك البلد ويعرس ليك بت اختو ديك تعالَ قول لي ما وقفتو معاي.

لؤي: أنت سامع الدكتور بقول شنو وإنو لازم أمشي...

معاذ: سيبك من الدكتور والبقولو عندكم سيجارة ولا حاجة نخلي الدكتور يطير النعاس كلامو دا كلام زول لسه النومة ما انتهت أكمل في سره شكلو الاديتها لي ديك ما عملت شيء.

****

عاد وائل إلي البيت بعد أن أوصل سيده منتشيا ظل طوال الطريق يغني بعض الأغاني، كل ما يمر بخاطره من أغاني، لقد أنهي أول خطوة من خطته لرمي شباكه واصطيادها لقد وعد أفراد شلته أنه سوف يجعلها

تهيم به حبا وتبكي إن غاب عنها للحظات ضحكوا عليه لقد كانوا يعرفون أنها ليست كمثل الفتيات لكنه كان يعرف نفسه وما يملكه من ملكه، لقد قبل التحدي، فشل في عدة محاولات، لم ترد له حتي السلام هذا ما جعلهم يزدادوا سخرية، منهم من يستهزئ مازحا ومنهم من يستهزئ حقدا فجميعهم يحسدونه علي ما يمتلك من موهبة في أن يكون فتى أحلام كل الفتيات، بعد أن وصل وجد أن أخته قد وضعت له كورة تحت السرير بها مديدة باللبن لقد كان يشعر بالجوع فعلا كم هو محظوظ أن له أختا مثلها دوما تخدمه دون ملل، لا.... قالها بصوت مسموع قبل أن يواصل في أفكاره في بعض الأحيان ترفض أن تقدم له أي مساعدة يحاول أن يضربها لكن قبل أن يفعل تأتي أمه علي صوت صراخه تقف وتتضامن معه وحسم الأمر بأنه رجل ويجب أن تخدمه هذا الأمر لا يعجب والده كثيرًا ويسمعه أحيانًا يحادث والدته ويقول لها إنك تدللين هذا الولد أكثر مما يجب سيضيع ولن يعتمد علي نفسه أبدا، لم يحدث أن قال ذلك أمامه لذا لم يهتم كثيرا فهو يدرك أن أمه لن تتفق مع أبيه وهذا يكفي فيما يقول، كعادة جميع من يفعل ذلك لم يكن يؤنبه ضميره فيما يفعل لعب بالبنات ولم يكن يفكر في أن أخته يمكن أن يلعب بها ، فغالبية الشباب يعتقد أن أخته ليست كمثل الأخريات جاهلا أن من يلعب بها لها أخ يقول نفس الشيء.

هب من نومه فجأة فقد تذكر أن ما أنجزه اليوم كان بمساعدة صديقه لؤي فلولا أنه قام بما طلبه منه لما حقق هذا، هب واقفًا، لبس ملابسه

وخرج مسرعا رغم أن الزمن متأخرا، سيذهب إلي منزل معتصم ومنه سيدرك الخبر وطوال المشوار كان يعيد في شريط السيناريو ففي منتصف النهار ذهب إلي الشجرة التي يجلسون تحتها قبل أن يجلس قال له أحد الجالسين ساخرًا

: الليله الزولة ديك جايه الحفلة حتعمل شنو ورينا عامل لينا فيها اكشي كومار ولا سونيل شتي ما عارف.

ظل طوال الجلسة صامتًا لا يتحدث وحاول أكثر من شخص أن يتحدث أو يستفزه ليتكلم لكنه استخدم بروده الذي يتعامل به عندما تكون الأمور ليست في صالحه، مر الزمن عليه بطيئا صعبا جالسا مجبرا كأنه يجلس علي نار مرت ساعات جلوسهم التي زادت عن الثلاثة كأنها يوم، آخر الأمر حضر صديقه لؤي بصحبة معتصم وقف صائحا

: ياخ أنا منتظرك لي دشليون ساعة يا لؤي ارح سريع أنا عاوزك في موضوع مهم

معتصم: خلينا نرتاح شوية يا ...

وائل بيتكم فاتح ولا في ضيف؟

معتصم: في زول هههه لا فاتح ومافي زول

التفت وائل وأمسك بيد لؤي وجره طالبا منه الاستعجال تاركًا معتصم الذي حاول اللحاق بهم إلا أن وائل لم يلتفت إليه.

معتصم: والله كلام كمان.

قطع حبل تفكيره فقد وصل إلي منزل معتصم حاول القفز بالحائط

لكن خاف أن يشعر به أحد بالداخل ويصيح ظنا منه لصًا فتصبح كارثة خاصة أن الجيران هنا يسرعون لأي صوت إستغاثة، الكلاب تنبح والهواء يلفح جسده ما الذي أتي به في هذا الوقت لم يفكر قبل أن .. قطع حبل أفكاره فقد شاهد عبر إحدى الفتحات في باب الشارع ضوءًا يأتي من الصالون تشجع وضرب الباب لم تمر لحظات حتى فتح معاذ الباب تفاجأ بوجوده هنا

معاذ: جاي من وين يا عمك؟

وائل: أنت مالك طردوك ولا شنو بايت ب... سمع صياح لؤي الذي كان يتألم والطبيب يحاول علاجه فقد وافق بعد محاولات كثيرة ومغريات أخري من معاذ، جرى بسرعة إلي الداخل وشاهد ما يحدث.

لؤي: جيت لشنو من قبيل وين يا دنجوان دا كلو بسببك أنت وبتك دي اه اه وإن شاء الله بعد دا يكون في فائدة ما تطلع خسائر ..

قاطعه معاذ: باندهاش السبب أنت؟ حصل شنو ؟ موجها حديثه لوائل ليه أنت الشكلة دي كانت بسبب إنو شافوك مع البت وأخوها جاك والبطل دا جاء دافعه ليك ..

وائل: بطل حركاتك وما تعمل فيها بتحلل أنت ما ناقش أي شيء التفت للدكتور

معاذ: قول ما تخاف دا شارب سجارتين

حكى له كل الذي حدث بعد أن تحرك مع لؤى من الشجرة فقد طلب منه أن يقوم بخرب الحفلة حتي يجد فرصة لأن يتحدث مع سيدة بعد أن

يقنعها إنه قدم لحمايتها وقد كان طوال الحفلة منتبها لها مركزا معها حتي حدث ما فعل وقد ساعد في أن يحدث ما خطط له كما قال لؤي أن ابن عم العروس تضارب مع أحد السكارى الذي كان يعلق بصوت مسموع عن إحدى أخوات العروس وهي ترقص في الدائرة فتدخل بضرب أخو العروس ومن بعد وجد لؤي الفرصة وما هي إلا لحظات حتى أصبح الجميع يتضارب، لا أحد يعرف سبب المشكلة وقد قام السكران بقطع الكهرباء انتقاما من لكمة أتته في فكه.

****

- 4 -

تجلس سيدة في غرفتها وحيدة تعيش مع الذكريات، توقفت عند ذلك اليوم الذي أوصلها فيه وائل إلى البيت، كانت غاضبة جدًا بعد أن تعرفت عليه، ما الذي أتي به معها؟ لقد استغل فرصة خوفها وضعفها، إنه لا يمتلك أي ذرة أخلاق وإلا لما كان قد أوصلها إلى هذه الحالة، هي التي كانت ترفض أن ترد عليه السلام، يعرف أنها في الحالات العادية لن تقبل بأن يوصلها بل لو كانت علمت بشخصيته قبل أن تصل لما كانت قد وافقت واتخذت أي حل آخر ربما دخلت بيت المناسبة أو وجدت أي طريقة أخري، لم تصدق أمها حديثها وقد هددتها أنها ستعاقبها في الصباح لأن لحظتها كان الوقت تعدي منتصف الليل ولا تريد إزعاجًا لكنها لم تقل الحقيقة خافت أن يقوم والد سيدة ويشملهم الاثنين بسخطه وعقابه بعد أن يلقي عليهما محاضرة طويلة خاصة وأنه لم يسمح لها أن تذهب لهذا الحفل لكن والدتها ظلت تلح عليه متحججة بأن رفضه سيحرجها مع صديقاتها اللاتي اتفقت معهن رغم أنها صديقة واحدة لكن لأمها رأي في ما تقول، دخلت علي غرفتها حاولت النوم لم تستطع، لا تعرف هل خوفًا من عقاب والدتها أم أن وائل الذي أوصلها هو السبب ربما سيستخدم

خدمته هذه لمضايقتها ومحاولة التقرب لها ولو رفضت أن ترد عليه السلام كما كانت تفعل ربما تحدث بأنه قد أوصلها ليلًا، وربما أضاف للحديث من خياله أمرًا بسيطًا وسينتشر الخبر لا تخاف من قوله بقدر ما تخاف من الزيادات فكل شخص تمر به القصة سيحكي ولا يستبعد أن يقال إنها تحركت معه قبل أن تبدأ المشكلة تلفيقًا من إحدى ضعاف النفوس فقط ليعيره الكل الاستماع.

أبعدت الفكرة وأعادت تحليل الأمر مرة أخري، هو لم يفعل شيئًا كل هذا مجرد شك منها، وما فعله شهامة منه قام بإيصالها وقد أخفي نفسه حتى لا يضايقها ولم يحاول أن يتعدى خطوط الاحترام طوال الطريق، كان يتحدث بأدب فائق وأستحمل تجاهلها له بعدم الرد، يستحق الشكر لا الظن به نعم إن وجدته ستشكره وتنهي الموضوع بهذا الحد.

وصلت لهذه النقطة مع وصولها لمحطة النوم، نامت وقد روادتها أحلام وكوابيس مرة يأتيها وائل هذا في صورة شيطان ويصيح لقد انتصرت عليك أنتِ يا من ترفضين رد التحية هههههههه اليوم أوصلتك للبيت أصبحتِ مدينة لي وسأرد ديني عندما أريد ولن تجدي الشجاعة في رفض رد جميلي، ثم ما يلبس أن يأتي بجلباب ناصع وهو يقول لها لا تخافي أنا موجود سأحميك من كل الأشرار حتي لو كان الشر هذا أنا ليتحول سريعًا لبطل يمتطى فرسًا بنيًا فاحمًا وهو يقول لها ها أنا حارسك وخادمك سيدفع كل من يقترب منك أيتها الأميرة درسًا سيظل حياته كلها نادمًا.

استيقظت باكرًا وحرصت علي الخروج مع أبيها حتى لا تنفرد بها والدتها التي طلبت منها أن تنتظر قليلًا، لكنها تعللت بأن لها درسًا صباحيًا إن تأخرت قليلًا ستنال عقابًا وأقسمت بذلك، لم تكذب في حليفتها فقد كانت تقصد أنها لو ظلت ستعاقبها أمها وفهم أبوها أن العقاب مرتبط بالدرس لذا حسم الأمر عندما قال

: خلاص خليها الموضوع العاوزاه فيه ممكن لبعدين أي شيء ملحوق إلا الدرس أنتِ عاوزه بتك تبدا يومها بدقة عشان باقي اليوم كلو تكون شاردة ما فاهمة شيء ولا شنو!

خرجت مع والدها وذهبت للمدرسة، كانت نظرات والدتها تتوعدها لكنها تريد تأجيل الأمر بعض الوقت وإن كان ساعات، ظلت خلال اليوم الدراسي شاردة البال تعيد ما حدث وما زاد قلقها كل الأحلام التي مرت بها في نومها.

عادت آخر اليوم مسرعة مع صديقتها كانت تتلفت تتذكر حديث صديقتها سعاد

: أنتِ اليوم يا سيدة ما طبيعية نهائي

سيدة: كيف ما طبيعية؟

سعاد: طول اليوم سرحانة وأسي ماشية وبتتلفتي يمين وشمال زي الرايحة ليك حاجة وما كده كمان جارية بينا جري، أنا يا الله حتى قادرة أمشي معاك في شنو بالجد؟

سيدة: حيكون في شنو بس تعبانة من السهر حق حفلة أمس عشان

كده ما قدرت أركز وأسي جارية كده عشان ألحق أنوم.

سعاد: نقول كلامك صاح طيب ليه بتتلفتي؟

سيدة: أنتِ مالك كلامك كتير كده خلاص ياخ براي نعسانة.

رغم محاولات صديقتها التي لم يحدث أن أخفت عليها أمرًا يخصها غير هذه المرة، لا تستطيع أن تخبرها بأي شيء.

الصديقة: طيب لكن ما قلتِ لي أمس رجعتِ البيت كيف أنا والله خفت عليك بعد الشكلة قامت كنت برقص فجأة خفت وجريت بعدها ما لقيت تاني زول من البعرفهم لما جيت راجعة وفتشت ليك.

قاطعتها: ما إتي ما ليك غير نفسك تنسي صحبتك نص السكرانين والأولاد وتجري يخسيبي عليك.

بدأت تدافع عن نفسها وعن فعلتها وهو ما تريده سيدة أن تبعدها عن الأسئلة، عادت إلى البيت استقبلتها والدتها، أصابها الرعب لكن استقبلتها بكل هدوء قائلة لها

: الله مرقك مني يا كلبة صحي حصلت مشكلة لكن بس الما متخيلاه إنك كيف وصلتِ براك لهنا وأنتِ خوافة، دقت كفًا بكف وأكملت لكن صحي والله الخوف دا مرات بعمل عمايل.

دخلت إلى غرفتها ليلحقها صوت أمها مطالبًا إياها بغسل العدة بعد أن تبدل ملابسها حاولت أن تعتذر لأنها تعبة لكن إصرار والدتها وتهديدها لها بأنها لن تتدخل مرة أخري بينها ووالدها إن رفض أي شيء لأنها لا تسمع حديثها، لقد جرحت يدها بالسكين قريبا عن قصد لأنها

لا تريد أن تساعدها في غسل العدة لتجد نفسها لابد أن تستجيب للتهديد فبدون أمها ستكون حياتها صعبة وستجد نفسها في دوامة من الرفض من قبل والدها لمعظم ما تريد ولن تدافع عنها لذا أسرعت بغسلها سريعًا مع تشجيع من أمها بما قامت به.

عادت مرة أخري تفكر في ما حدث أحست بنشوة ورغبة عارمة بالغناء أكملت الغسيل وجرت مسرعة إلى صالون إخوتها وحمدت الله أنهم خارج الدار سيعطيها وقتًا تستطيع أن تستمتع بالمسجل الخاص بهم دون إزعاج، أخفضت الصوت واختارت شريطًا من الكرتونة الموضوعة بالشباك للفنان الشاب الذي يسير بسرعة محمود عبدالعزيز أدخلته وأدارت المسجل ليأتي صوته:

خلي بالك لي إيدي وقت اسالمك لما يازولتي البريدك
أمسح من الزمن العداوة وأقول بريدك
تفرح الناس الحزينة والأسف الكان مدينة
تهدمو الريدة الحنينة
أنت وأنا من فوق على قمم سعيدة
نخلي صوتنا دوام يغني
ياصوتنا غني باللهفة والحب والتمني

وتتواصل الأغنية ولو لا بعضًا من خجل تتصف به ممزوجًا بخوف من دخول أحد أفراد أسرتها لكانت رقصت طربًا لا تعرف السبب لكنها اليوم ستعطي لما يجول بخاطرها القيادة هي حالة نادرة والمنزل فارغ لن

تجد أحدًا يمنعها من فعل ما تريد هذه فرصتها والفنان صوته يشدو

قربك بفرحني بعدك بجرحني
حبك بسمحني صدك بقمحني
إن شاء الله دايم لي قربك وحبك لي
إن شاء الله لينا تدوم المودة والريدة
ننسى السهر والنوم نحضن أغاريدا
ننسج سوا الأحلام نتفانى شوق وهيام
وهواك يحلق بي وأرعاك بضي عيني
الله العليم بالريد جافانا صدًا ليه
قسمة ما بالأيد وهواك هد الحيل

تتردد الأسئلة في رأسها ألهذا الأمر علاقة بتوصيل وائل لها أم لا؟ لقد أحست به قبل أن يذهب ينظر إليها بثقة وكأنه يحمل رسالة لا تعرف ما فيها لكنها تعرف أنه يريد أن يقول شيئًا من خلال عيونه ربما الظلام لحظتها منعها من معرفة ما تحمل تلك العيون، عادت تغالط نفسها محدثة إياها أن ما تحس به الآن مجرد نزوة قد تكررت وإن كانت تحدث في أوقات متباعدة عندما تجد البيت خاليًا تفعل ذلك، لكن اليوم الأمر مختلف فحتى لو كانت أمها التي خرجت بعد ان ضمنت إنها غسلت العدة موجودة لفعلت هذا، أخرجت الألبوم من المسجل وأدخلت آخر، إن أخاها يعشق محمود جدا ومصطفي سيد أحمد وأبوعركي رغم أن أغاني مصطفي يقال إنها ممنوعة من قبل الحكومة لقد سمعت هذا كثيرا حتي إنه يقوم بدس ما

لديه من ألبومات له في مكان لا يعرفه أحد وعندما يريد أن يستمع يدخل إلى البيت بعيدًا عن الصالون المطل علي الشارع ستسمع يومًا هذا الفنان وتعرف ما يقول، أدارت المسجل مرة أخري.

عشان نغني نسوق خيلًا للتمني
كوني أنهار العزايم حركي الموج للمغني
وأبدي مني رحلة هوى لافاتا زول لايصلني
تدخل شمس معنى القصايد وندخل الحب والمعاني
نبقي واحد الحدايق للرضا والشوارع للصبا
وزي ما الأصابع متنوعة نبقي إيد تحلم تغني
ونبقي إيد تفرح تغني

عادت بخيالها بعد أن كانت تردد معه لقد كانت تتمني أن تجده اليوم لتشكره نعم تعترف لنفسها بذلك رغم أنها كانت تسرع في مشيها لكن في داخلها الأمر مختلف ظلت تردد لنفسها بصوت هامس

: سأشكره فقط لشهامته ومن بعيد حتي إنني لن أمد له يدي أبدا وبعدها سأرتاح لأنني أمس كنت معه ثقيلة وقد قابلت ما قام به بطريقة بائخة سأمسح هذه الصورة حتي لا أكون سببًا في أن لا يقدم معروفًا لأحد مرة أخري.

تشعر بأنه نادمًا علي أنه ساعدها وأنه لن يساعد أحدا غيرها حاولت تتنبه إلى محمود وهو يغني لتطرد هذه الأفكار وبدأت تردد مع المسجل

طاب القلب يحلم بالمنى رحل الغمام

الفرح الجزيل المدي الأنسام
ابتديت بيكي أعرف شفت وقتًا بيك يصدق
يملأ قلبي يسرح سلام
شفت نهرًا شد حيلو بيكي يحلف يالحقيقة يالظلام

أحست بحركة أثناء ترديدها للأغنية التفتت لتجد شقيقها واقفًا وفي يده عصاه ينظر إليها وقد احمرت عيناه.

- 5 -

مضت ثلاثة أيام منذ أن سلم الطفل إلى المستشفي، عند المساء كان حاج علي يجلس يتناول الشاي لوحده زوجته تخاصمه رافضة أي حديث معه، لقد أحست بأن هنالك أمرًا ما وهو لا يجد ما يقوله مصدوم حتي الآن فيما شاهده كان يتمنى إن لم ينتبه لهذا الصوت وواصل طريقه دون أن يربط نفسه بأمر كهذا لا يعرف متي يأتي الشرطي ليأخذ بقية أقواله كما قال له إنه سيطلب منه أن يحضر لبقية الإجراءات لكنه قرر أن يحكي لها كل شيء أفضل من هذا الذي يحدث في حياتهم طوال فترة حياتهم لم يدخل الشيطان بينهم ولم يكن يغضب من كل تصرفاتها فهو منذ الصغر لا يأخذ في قلبه هما يعيش حياته في تسامح، حتي في أشد نقاشهما تعود وحدها معتذرة بعد أن تجده قد تجاهل ما يعكر صفوهم، أيحدث هذا بعد أن كبروا ووصلوا لهذا العمر!!!، ثلاث ليالي يمتلكها الغضب تقول إنه يخفى عنها شيئًا مهمًا لم ينفِ أو يرد، أصبحت لا تأكل معه وجبة الغداء التي تجتمع فيها الأسرة قطع تفكيره ونادي عليها.

أتت في فتور واضح

علي: اسمعي يا بت الناس أنا حاحكي ليك واليحصل يحصل

: يخسي عليك يا حاج عملت كده بعد كل السنين دي.

جلست بعد أن أحست بأن الأرض لا تسعها الآن ورجلاها لا يقدران علي حملها سيخبرها بالتي أخذته منها من تلك التي انتصرت عليها لن تظل معه لحظة واحدة بعد أن يعترف بما ارتكبه ستذهب لأخيها وتبقي معه كرامتها فوق كل شيء لن .... قطعت حبل أفكارها وما يتردد علي رأسها عندما لاحظت أنه صامت.

صاحت: سكت ليه؟

كان يحس بالندم لأنه لم يخبرها منذ أن رآها تحمل في داخلها الظنون ماذا يقول وهل سترضى بعد أن صمت ثلاثة أيام مرت عليهما كأنها دهر قطع حبل تفكيره أيضا عندما سألته عن سبب صمته

: أصلو يا حاجة دا ما بتقال

: طيب ليه عملتو لما ما بتقال؟

علي: ما كان لازم أعمل كده أي حد غيري يعمل كده.

: أهو قلت كان تخلي الغيرك هو اليعمل كده، ما أنت يا علي بعد عمرك دا كلو تتزوج علي أنا

ضحك حاج علي حتي كاد أن يسقط أرضًا جراء ما سمع حاول أن يسيطر علي نفسه إلا أنه لم يستطع حتي وصلت بنته فرحة ظنًا منها أن الأمور أخيرًا عادت لمجراها وعادت معها الضحكة للبيت

البنت: أخيرًا يا أبوي

علي: أخيرًا شنو تعالي اسمعي أمك حتقتلني بالضحك شكلها

حتخرف قال إيه قال أنا اتزوجت هههههههههههه عليكي الله ما كلام يضحك

زوجته: شنو البضحكك طيب وشنو القلتو إنو ما بتقال و..

علي: اسي عليك الله في واحدة نصيحة تعرس ليها راجل كبير مكعكك زي كده وما عندو حاجة؟

صمتت زوجته وقد أحست بأن حديثه منطقي

صاحت ابنته: ما يمكن يا أبوي يكون متزوج من زمان ما أسي وعندك كم طفل كده حلوين عليك الله عليك الله يا أبوي أشوف إخواني

علي: يا بت أنتِ عمرك ما تعقلي حتركبيني في جريمة ولا قصدك شنو بالضبط كده رفع عصايته وصاح يلا أمشي من هنا وإلا قسما عظما ما أسيبك وأدقك.

الزوجة: يمكن تكون.

صاح علي مقاطعًا: يمكن إيه يا حاجة طيري من هنا يا بت أنا حلفت وتاني حاجة عندنا كلام ناس كبار.

البنت: أنا برضو كبيرة.

نظرة والدها كانت حاسمة، شاهدت أنه جاد جدًا فيما سيقول لذا انسحبت بهدوء تاركة لهم حرية التحدث جلس علي وبدأ يحكي لها وعلى وجهه علامات التأثر مما شاهد!! حكى لها عن صدمته وعن حيرته بأن الرحمة قد خرجت من قلوب الناس كيف لأم أن ترمي طفلها بل كيف لبنت أن ترتكب جريمة كهذه وأين أسرتها و...

زوجته: لا حول ولا قوة إلا بالله صحي والله دا كلام يخلي الزول يمسخ الأكل والشراب دي آخرة إنو البنات يسافرن لي وحدن ويقرن بعيد عن أهلهم و..

حاج علي: والله يا حاجة ما قصة علام بالعكس البت البتصل في قرايتها لي الجامعة أظنها بتكون عاقلة وما بتعمل متل الكلام دا لكن....

قطع حديثه عندما سمع صوت الباب لبس جلابيته وأسرع ناحية الباب ليجده العسكري بعد أن سلم عليه أبلغه أنه مطلوب غدًا في القسم لإكمال الإجراءات شكره وطلب منه الدخول لإكرامه لكنه رفض بحجة أنه مازال لديه تكاليف أخري.

****

بعد أن انتهت الثلاثة أيام قضاها الطفل في المستشفى الصغير حتي تم الاطمئنان علي صحته بعدها حان موعد خروجه إلى حيث مسكنه الجديد دار المايقوما للأطفال مجهولي الأبوين، في الصباح خرجت سيارة بها شرطي وعلي وممرضة إلى المستشفي، السيارة تسير بخطوات مسرعة وكان الجميع يريد أن يتخلص من هذا الطفل فالكل يعتبره كارثة حلت من رابط غير شرعي يجب التخلص منها فورًا، الممرضة بداخلها تلعن الحظ الذي جعلها هي من تذهب دومًا إلى هناك، العسكري يريد العودة فهو يعلم أن الأمر روتيني لا يحتاجه فقط الإجراءات المعقدة من كل الأطراف، هل هنالك من سيخطف طفلًا رماه والداه حتي إن حدث هذا فهو خير للطفل وللدار، علي لا يريد أن يذهب إلى المكان الذي سيكشف

له حقائق كثيرة كانت غائبة عنه لا يتمناها أن تظهر أو يعرفها فالجهل ببعض الأمور خير من معرفتها.

الصمت هو العامل المشترك بينهم مع اقتراب الرحلة من النهاية بدأ صراخ الطفل وكأنه يرفض الواقع الذي يريدون أن يفرضوه عليه للأبد، يبكي أن يعيش بلا حنان أم ولا أب يرعاه يبكي أن يلصق فيه المجتمع لقبا لم يكن مشاركا فيه ولم يشاوره أحد لكنه من يتحمل إثمه وكل ما يتبعه من نتائج، تنهد علي وأخذ نفسًا وأخرجه أحس بحرارة تحرقه، حاولت الممرضة إسكاته إلا أنها فشلت صاح العسكري فيها.

: ما تسكتي الشافع دا برانا مصدعين

الممرضة: ما ياهو أنا بحاول ما شايفني أعمل شنو أكتر من كده؟

فشلت كل محاولاتها وبعد تردد طلب حاج علي منها الطفل أمسك به بيد مرتعشة والطفل ما زال مصرًا علي ألا يدخل الدار إلا وهو باكيًا.

دخلا إلى الدار استقبلهما المدير المقيم والمشرفة العامة، في غرفة متوسطة لفت انتباهم أن جدران الدار والغرف من الخارج مطلية بألوان خضراء ورسومات لعمك تنقو ورسومات طفولية كثيرة، رحب بهم وإخرج استمارة ابتدأ المدير في تسجيل بيانات عليها وظل يسأل الشرطي الذي سلم المحضر له بعد أن أكمل الاستمارة قال بصوت لا يحمل أي مشاعر فالأمر بالنسبة له بعد فترة قضاها هنا أصبح عاديًا لا يسبب أي اندهاش.

: آها باقي آخر حاجة حنسمي الطفل دا منو؟

لم يرد أحد عليه ظل يتنقل ببصره بينهم الثلاثة منتظر الإجابه ولما

مضت أكثر من ثلاث دقائق كانت بالنسبة له دهرًا أعاد السؤال

: عاوزين اسم للطفل اسم ثلاثي عادة البجيبو الأطفال هم البسمو الطفل

الشرطي: أنت معناها يا حاج التسمية عليك، أنت اللقيتو و..

كاد أن يصيح حاج علي بغضب وهل لأنه وجده سيكون عليه أن يكون الطفل كابوسًا له إلى متي سينتهي هذا الحلم، أيطلق عليه اسمًا ربما يكبر ولا يحبه فيزيد عليه الوجع الما أكبر، ثم إنهم يقولون ثلاثي أي كارثة هذه اسم ثلاثي كيف هذا وهو لا يعرف عنه شيئًا عندما يخرج من هنا إن سجنوه عشرة أعوام لن يعود إلى هنا ولن يأتي بهذه السيرة أو ما يذكره لها وسيسأل الله أن يرحم هذا الطفل المسكين.

المدير: أها يا حاج ؟

حاج علي: بس لازم أفكر ليه في اسم

الممرضة: تفكر ليه حتشاور أمو يعني أي اسم وخلاص أي شيء يمر ببالك أصلا ما حيفرق

كاد أن يصيح بها ويزجرها ألآ يكفي ما ينتظره الطفل المسكين من مصير ألا يجب أن يكون هنالك أمر يأتي بتفكير في حياته؟ لو فكر المجرم أبوه أو الخائنة لأهلها أمه للحظات لما كانا وقعا في متعة شيطانية للحظات سيدفع ثمنها هذا لسنين.

: نسميه نبيل اسم جديد وحلو..

المدير بصوت مسموع: ن ب ي ل نبيل، التفت إلى علي طالبا أن يكمل

الاسم

علي: نبيل حسن كمال

أكمل تسجيل الاسم وأخذته المشرفة إلى أحد العنابر مع الممرضة غابتا لحظات وعادتا ليقول لهم المدير إن بامكانهم الآن أن يغادرا، فقد انتهت المهمة لكن أمرا ما جعل حاج علي يطلب من المدير أن يجعله يذهب ليشاهد من الداخل، أستجيب لطلبه دخل إلى العنبر عبارة عن غرفة بها أكثر من عشرة أسرة لكن المتواجدين أربعة أطفال لم يتبين نوعهم فقد وقف من علي البعد، كانت هنالك مشرفة بدأ عملها فعلا بعد أن رفعت الطفل نبيل وبدأت محاولة إسكاته بعد أن عاد في نوبة بكاء أخرى.

****

أسبوع بأكمله مر منذ أن أوصل وائل سيدة إلى دارها حاول بكل الطرق أن يغيب من كل الأماكن التي تظهر فيها وقد نجح في ذلك كانت خطته التي رسمها أن يجعلها تحس كأنه لا يهتم بالموضوع كثيرًا، إنه لن يجعل من توصيله لها عزرًا لفرض نفسه.

لقد كانت إصابات لؤي ولحسن حظه مجرد رضوخ وكدمات، قال للناس: إنه قد أصيب في مباراة مهمة رغم أنه لم يشاهد يومًا قد لعب، لكن لا أحد يستطيع أن يقول له إنك كاذب لست من لعيبة الكرة أصلًا دعك من أن تصاب فيها، وشخصًا مثله يدرك الكل أنه لن يصاب إلا في عراك كبير يكثر فيه خصومه، ارتاح ثلاثة أيام ثم تحامل علي أوجاعه وقام ليمارس حياته الطبيعية ظل معاذ ومعتصم يضحكان في لؤي ومما

فعله لم يكونا يتخيلان أن يصل الجنون بوائل لأن يطلب من لؤي أن يقوم بخرب حفل كامل لأجل أن يوصل فقط سيدة ولحظتها لا يعرف إن كانت ستقبل أم لا، أي حماقة وفخرًا بالنفس تجعل لؤي يوافق علي فعل ذلك فقط ليؤكد أنه قوي ويستطيع فعل الكثير وأنهم جميعًا يحتاجونه رغم أنهم يدركون هذا من دون أن يفعل

لؤي: سيبوا ضحك عارفين نحن فوق للبينا الخلانا نتمسك ببعض كده شنو؟

معتصم: لا قولوا يا عريف

لؤي: من غير استهتار لإنو نحن محتاجين لبعض بنكمل بعض كل حد فينا باقه في الثلاثة

معاذ: ما فاهم!! قول قصدك شنو؟

لؤي: أها إجابتك دي إجابة لسؤالي لإنك عندك نقص في الفهم.

معاذ: أنت عا..

لؤي: اصبر أكمل وبعدين اعمل البعجبك، نحن كلنا محتاجين حد دماغو صاحية وذكي ما في شيء يقيف ليه قداموا ودا لقيناه في وائل..

قاطعه معتصم: يا زول ما في شيء شنو أسي ليه كم سيدة دي..

قاطعه وائل: اصبر لي بس وشوف أنا أعمل شنو

لؤي: لو سمحتوا أكمل والله أخلي الموضوع دا شنو دا!!

هز الجميع رأسهم وعدا منهم بالصمت ليواصل هو إكمال حديثه

: شعر خطابات حب أي شيء من دا وائل بظبطك عشان كده نحن

التلاتة محتاجين ليه

أحس وائل بالرضا عن نفسه، رسم ابتسامة سرعان ما بدلها بنظرة جادة كان الأمر لا يهمه أو مفروغ منه، ليواصل لؤي حديثه أنا بالنسبة ليكم مصدر أمن أي واحد فيكم لو عمل شيء لو الناس عرفت إنكم أصحابي المقربين مني وبرنامجنا كلو مع بعض حيتحاشوا إنو يزعلوني أخذ نفسًا عميقًا ونظر لهم بتمعن ليواصل معتصم موفرًا لينا المكان من غيرو نحن ولا شيء

معتصم: يعني لو البيت دا بقي مافي حتنسوني

لؤي: هههههه بعد شنو ما حنقدر لأننا اتعودنا عليك

معاذ: هههههه طيب أنا الخليتوني آخر واحد.

وائل: أنت منو واحد فيكم يعرف الشخص دا؟

لؤي: أبدا يمكن يكون واحد من أهل معتصم ولا شيء

معتصم: أبدا في الأصل هو كان زمان جدي بعطف علي أبوه وبقي كلو ما يجي البندر بجينا نديهو الفيها النصيب.

ضحك الجميع، فيما كتم معاذ غضبه حتي لا يعطيهم فرصة ليشعروا بأنهم أوصلوه لما يريدون

بعد أن سكتوا عن الضحك قال وائل: بجد عاوزين نعرف الإجابه أها معاذ دا محتاجين ليه في شنو؟

التفت ثلاثتهم ناحية لؤي.

- 6 -

في نهاية الرحلة العلمية لطلاب إحدي الكليات وقف الأستاذ المشرف وأشار بيده إلي إحدي الطالبات بأن تقف، وقفت الطالبة المذكورة، جالت ببصرها في الحضور زملاء من الجنسين، وضعت ابتسامة فخر تتناسب مع ما سيقوله الأستاذ.

الأستاذ: زميلتكم الواقفة دي اقترحت بعد نهاية الرحلة العلمية دي نقوم بزيارة لدار اسمها المايقوما لو سمعتوها بيها وطبعًا نحن أشدنا بالفكرة وأنا أول واحد حأبدأ المساهمة، فتح محفظته أخرج منها ورقتين ووضعها في علبة كانت أمامه قبل أن يواصل حديثه ونحن كلنا لازم نقيف مع الفكرة ونسهم عشان ننفذها طيب هي حتوريكم الاقتراح شنو وبعد داك الناس تسهم اتفضلي.

مسحت حبات عرق وهمية، حاولت التماسك شجعتها صديقتها الآ تخاف وتتحدث مباشرة

: أولًا شكرًا للدكتور أستاذنا الأشاد بالفكرة، طيب يا جماعة الفكرة دي حقتي أنا وصحبتي دي، مشيرة بأصبعها إليها وواصلت حديثها دار المايقوما دي دار لرعاية الأطفال البرمومهم أمهاتهم وبعني الأطفال الجوا

من علاقة غير شرعية الدار دي بترعاهم، تنقلت ببصرها بين الحضور قبل أن تواصل، هي دار تطوعية يعني كل التسيير بتاعها من التبرعات والخيرين وأنتو عارفين الأطفال احتياجاتهم كتيرة من لبن بديل للبن الأمهات ومرايل وملابس ليهم وبعض أدوية الأطفال وغيرو وغيرو، نحن طلاب كلية تمريض ودي مهنة إنسانية يعني نحن أكتر ناس مفترض نكون لينا إحساس بي كل الفئات المحتاجة دي لأنها مهنة إدتنا لقب ملائكة الرحمة أها نحن عايزين نساهم وبالقروش دي حنشتري مستلزمات للأطفال ديل.

بعد أن انتهي حديثها كانت هنالك مداخلات أعلن عنها الأستاذ، اختلفت ما بين من عبر عن اندهاشه بأن تكون هنالك دار كاملة لظاهرة قد لا تكون منتشرة حتي تحتاج لدار كامل، البعض كان رأيه أن تكون الحكومة هي المسئولة عن رعايتهم لا التبرعات لأن التبرعات دي حاجة ما منتظمة، آخرون ذهبوا إلى أن الدار بهذا الشكل تشجع ضعاف النفوس لأنهم سيقومون برمي أي ثمرة تنتج من جريمتهم، وكان يجب أن يتركوا بلا دار حتي يأخذ أي شخص أو أم طفلها ليكون دليلا علي العار الذي ارتكبته لتتعظ غيرها.

كثرت النقاشات وكانت الردود علي أنهم يريدوا أن يتناقشوا عن دورهم لا دور الحكومة وما يفترض فهنالك واقع معاش والهدف أن نكون جزءًا من المساعدة في استمرار الحل الموجود ثم يمكن أن تقام أفكار لمحاربة الظاهرة.

قطعت صديقتها الحديث وقامت بالخروج ووضع مساهمتها وخاطبتهم بهدوء أن الذين يجدون أن الموضوع يستحق الدعم يقوموا بالدفع والآخرون يمكنهم الخروج، لم يخرج أحد ليس لأن الجميع مع الفكرة لكنهم يريدون الانتظار لمعرفة ما سوف يحدث بعدها عادت أدراجها ليوقفها الأستاذ يطلب منها الوقوف جوار الباب وقال للمتواجدين إن الذين سيشاركوا عليهم أن يقفوا بعد أن يضعوا مساهمتهم جوار زميلتهم بجوار السبورة كان حديثه بمثابة إنهاء الجدال فحتي الرافضين أو الذين لا يريدون المشاركة وجدوا أن عدم مشاركتهم ستجعلهم معروفين بعد أن أوقف الأستاذ الدافعين من تبرعوا بالقرب منه.

بعد يومين تحرك الجميع في طريقهم إلى دار المايقوما وكعادة الطلبة في كل رحلة تجمعهم مع بعضهم البعض كانت الروح والفرحة ظاهرة عليهم يتغنون والآخرون يصفقون، أغاني مختلفة، ردد الجميع مع الفنان الشاب جمال فرفور الذي يخرج صوته من مسجل البص

اسألوهو

اسالوهو قايل الناس نسوهو...

يوم سافر قطاري ....

يوم لهلبت ناري ....

فيك فارقني حبي ...

يا ناس أنا دمعي جاري....يا ناس دمعي جاري

وحدها صاحبة الفكرة كانت صامتة فقد ظلت علي مدار يومين تفكر في هذه الزيارة كانت تريد أن تزور طفلها الذي رمته قبل عام ونصف ولا تعرف خبرًا عنه بعد ذلك هل مازال حيا أم مات؟ ما الاسم الذي أطلق عليه؟ هل يهتم به أم أتعبته الحياة؟ عام ونصف مر عليها والحزن لم يغادرها، دموعها قد جفت فقدت نضارتها يلح عليها كل من يعرفها أن تذهب للطبيب، تقول لهم إنها بخير فقط تعب القراءة هو مرضها، النوم قد رحل عنها طوال هذه الفترة الفرح نفسه قد رحل، كانت فتاة مرحة تحب اللهو واللعب والأغاني الآن قد تركت كل هذا أصبحت أكثر التزامًا ربما يغفر لها الله ما فعلته، هي متأكدة أن الله سيغفر لها لم تستجب لفكرة قتل الطفل هذا وحده يكفي، الآن تفكر أن ترتدي النقاب وترتاح من أسئلة الناس، الجميع يسأل ما الذي حدث لها تعبت من الأسئلة أكثر مما هي فيه، تمنت الموت كثيرًا فكرت في أن تنتحر وتضع حدًا لمعاناتها لكنها تتراجع فتخاف أن يصبح عليها كبيرتين من الكبائر.

بقية الطلبة ما زالوا مع الأغنية يرددون فرحًا مع الصفقة وتسمع أحدهم يردد بصوت أعلي من رفاقه وكأنه يريد أن يقول أنا معكم

كيف قاعد مطمن... مطمّن ؟؟!!

وسحر الريد يجنن ... يجنن

ومن تأثير عيونو....

لحياتي أنا مأمل .....أنا مأمل

يا السمرة ولحبيبة ...

يا النادية ورطيبة ....
أدوب في القصر العيني .....
وتنقذني الطبيبة... الطبيبة.. الطبيبة

وهي في دوامة أفكارها وأسئلتها تتواصل، إن كان ما زال علي قيد الحياة هل ستتعرف عليه؟ أم ستحتاج لأن تبحث عن تلك العلامة التي قامت بعملها أعلي يده جوار الكتف وأخري برجله اليمني، تخاف إن حاولت البحث عنه أن ينكشف أمرها أو يشك أحدهم فيها وهي تقوم بهذا العمل.

أخرجتها صديقتها وهي تقول لها بصوت عالٍ

: خلاص وصلنا يا صاحبة الفكرة العبقرية

أخرجت ابتسامة باهتة وبدأت في النزول، لو لا صديقتها هذه لكانت قد ماتت أو في مصحة للمجانين لقد ساعدتها ووقفت معها طوال الأزمة وما زالت، تحاول كثيرًا أن ترجعها كما كانت لكنها اكتفت أصبحت لا تثق في أحد وليس لها استعداد لتجرب الحياة مرة أخري.

وقفت أمام لوحة كتب عليها دار المايقوما.

****

كان معاذ أغني أفراد الشلة ولم يبخل علي أحد منهم فيلجاون له في كل المواقف الحرجة ويحل لهم مشكلاتهم بابتسامة، يفتخر دومًا بأنه لو لا أمواله لما أصبح وائل معشوق الفتيات في أحد النقاشات التي يكون هدفها إثارة أحد الأربعة وإخراجه عن طوره.

: أنا محتار مكبرين لي وائل دا راسو كده ليه ياخ دا لو ما أنا مافي بت بتعبرو مكرهني يا معاذ عاوز لي خمسة جنيهات عازم زولتي يا معاذ، عاوز البنطلون الأسود شدة ماشي أقابل الحنان

فيثور وائل ويقول إنه لن يطلب مرة أخري من معاذ شيئًا ويذهب غاضبًا لكن سرعان ما يأتي طالبًا منه أمرًا ناسيًا ما قاله فيضحكو جميعًا، ينطبق الأمر علي الآخرين أيضًا.

لكن هذه المرة أصيبوا جميعًا بالحيرة لا يعرفون هدف وائل الحقيقي، أي فتاة دخلوا في تحدٍ لرميها في حباله بعد أسبوعين فقط كان يعود مبتسمًا رافعًا شعار النصر والفوز بالتحدي، وائل يستعجل وله هواية في أن يعلق الفتاة في أقصر فترة، سأله لؤي عن سبب الصبر والتأني هذه المرة وهو الذي يستحق أن يسجل في موسوعة جينيس للأرقام القياسية فهو لا ينافس إلا نفسه في كسر الفترةالزمنية التي يعلق بها فتاة.

: اسمع يا صحبي دا درس مجاني مني ليك أي واحدة وعندها طريقة وسيدة دي طريقتها مختلفة تمامًا ولسه ممكن تدخلني برضو برقم جديد للموسوعة بس المرة دي في الصبر علي الفتاة قبل صيدها.

كان اليوم شديد السخانة رغم محاولات منتصر من منع وائل من الخروج إلا أنه أصر أن يخرج، الجو أصبح متقلبًا لكن لا يهم اليوم قرر بعد أكثر من أسبوعين من توصيله لسيدة أن يقابلها وصل إلى أحد الطرق التي تمر عبرها سيدة وصديقتها اختار هذا الطريق الذي يبعد أكثر من نصف المسافة بين البيت والمدرسة حتي يكون اللقاء وكأنه صدفة غير

مرتبه كل ما كان يخافه أن تغير طريقها اليوم، لقد ظل لأيام يتابعها من بعيد حتي عرف موعد خروجها وما تفعله وقف أمام سبيل بانتظارها حتي إذا ما أتت سوف تظن أنه واقفًا ليشرب جرعة ماء مع هذا الجو شديد الحرارة، يعتقد أنه محظوظ لأن الطقس قد ساعده في خطته.

ظل يقف لأكثر من نصف ساعة قبل أن تمر هي وصديقتها ويا للقدر والصدف أتت وصديقتها طلبًا للماء، عندما شاهدته واقفًا ومركزًا ببصره بعيدًا وكأنه لم ينتبه لها كادت أن تطير فرحًا فقد ظلت تتمني طوال الفترة التي مضت أن تقابله، بداخلها كانت تقول إنها تريد فقط أن تشكره رغم أن الأمر مختلف تمامًا هي أعجبت به نعم هذه حقيقة لكنها لن تسمح لهذا الإعجاب بأن يظهر ستشكره فقط وتذهب في حال سبيلها اقتربت ومدت يدها له.

: إزيك يا...

مد وائل يده ورسم علامات الاندهاش كاذبًا لوجودها أمامه وقال لها بصوت مهذب وائل اسمي وائل يا سيدة

سيدة: كيفك وائل؟

وائل: بخير الحمد لله ثم مد يده في اتجاه صديقتها

أخبرته أن صديقتها اسمها سعاد، سألته عن سبب وقوفه؟ رد لها بأن سخونة الجو هي السبب الذي جعله يقف هنا ويشكرالله إنه وقف هنا حتي يلتقي بها، أخبرته أنها مندهشة لغيابه الذي طال رغم أنه كان يعترض طريقها كل فترة وأخرى، رد عليها بهدوء إنه خاف إن ظهر

لها بعد أن أوصلها أن تفهم أن توصيله لها لم يكن إلا ليتقرب منها وأن ظهوره بعد ذلك طلبًا لرد الدين كان يتحدث وعيناه ترسل لها رسالة نعم لا تصدقي ما أقول لأنني أنتظر رد الدين منك، شكرته علي ما فعل وأخبرته أنها حقًا تتمني رؤيته حتي تشكره، قال لها إن الواجب لا يشكر عليه ثم استأذنها وذهب في حال سبيله.

طوال الطريق ظلت سعاد تسأل عنه وإن كانت أخيرًا صديقتها قد وقعت في الحب رغم أنها ضد هذه الفكرة وأرجعت الكثيرين ووائل أحد الذين أرجعتهم لكنها الآن تشاهد بأم عينها وبوضوح نظرة الحب لقد كانت قبل قليل ترسل عينيها رسائل لهفة وشوق لوائل الذي ذهب دون أن يقول شيئًا.

لقد غضبت منه سيدة لأنه ذهب بهذه الطريقة لكن الحيرة ملأت قلبها أكل هذا الأدب في هذا الشاب رغم أنه ظل يتعرض لها لأيام وكانت لا ترد عليه حتي السلام لقد أعجبها أنه إختفى طوال الفترة الماضية حتي لا تسيء فهم مقصده، رغم كثرة الأسئلة من سعاد إلا أنها كانت ترد لها إجابات مختصرة تظهر أنها لا تحب مثل هذه المواضيع، طوال اليوم ظلت تفكر فيه وفي حديث سعاد لها بأن عينيها تظهر لهفة الحب، يا الله هي تخاف من الحب وخداعه وتخاف من كل جنس بني آدم بسبب ما تسمعه من قصص ثم إنها لا تريد أن يتحكم فيها أحد وقد شاهدت الحب كيف يفعل في من تعرفهم وكيف يتسلط الأولاد في من يحبون وهي غير مستعدة لذلك يكفي الأوامر وتحكم إخوانها في البيت.

****

رجع وائل رغم أنه تمنى أن يحكي معها قليلًا وأن يمشي معها حتي يوصلها قريبًا من دارها لكنه كان يرسم خطة بعيدة المدي لا يريد لأي شيء أن يفشله، استعجاله سيكون كقطع الثمرة قبل أن تنضج، أحس بشعور جديد وهو يقف معها، لا يعرف هل هو شعور ببداية تحقيقه النصر وتأكيد نظريته لا توجد بنت تعصي عليه، يستطيع أن يرمي بكل البنات في شبكته لكنه يعرف طعم النصر وشعوره وهذا مختلف هل هو الحب هل أحب سيدة فعلا؟، هذه الفتاة تمتلك جمالًا يجعل الكل يتمناها وتشع منها ومن عينيها الراحة والمرح هل سيقع أخيرا في شر أعماله ويصبح أثيرا لمثل هذه الأمور؟ هل سينطبق عليه الشعر الذي يكتبه والذي يقرأه؟ لم يكن يصدق الشعراء أبدًا فقد كان يكتب هو وإن كان ما زال هاويا وكل ما يكتبه يعجب الآخرين ومن يعرفه يقسم له كأنه كتب هذه الأبيات له، كأنه عاش ما مر به، لكنه يكتب دون أي روح لم يكن يعيش ما يكتبه بإحساسه فقط كلمات يريد أن ينال بها إعجاب الآخرين، لم يشعر بحرارة الجو رفض الذهاب إلى أصدقائه فما بداخله شعور جميل نبيل لا يريد أن يلطخه بحديث شلته، تذكر أحد أصدقائه شريف ذلك الفتي المهووس بالقراءة يمتلك مكتبة بها كثير من الكتب مختلفه التصنيفات وفوق كل هذا مشترك في إحدى المكتبات التي تعمل في إعارة الكتب، سيذهب إليه ويستعير أحد كتب الرومانسية لقد اكتشف أنه يحتاج إلى الكثير ليتعلم فنون الرومانسية فرقا بين شعور تحسه يختلط بالدم ويجري في وريدك

شعور يجعلك هائمًا في بحور سعادة لم تمر بك من قبل وبين حب يخرج من النفس الأمارة بالسوء والشهوة، لعن إبليس بصوت مسموع وسار في طريقه إلي حيث شريف وهو يدندن بإحدي الأغنيات العربية سوف يستمع للأغاني العربية كثيرا، يمتلك مذياعًا سيساعده في الاستماع إلى إذاعة سوا والأغاني العربية الجديدة وأروع الأغاني القديمة كل شيء اليوم مختلف له طعم.

أسبوع لم يلتقيا بعدها لا يريد أن يتعلق بها يجب أن يفهم أن كل ما يفعله لعبة يجب أن يفوز فيها، ظل في صراع طوال الأسبوع لا يريد أن يفكر فيها كثيرًا حتي يقع أثيرًا يجب أن ينساها حتي يدرك حقيقة ما يريده، حتي التفكير في الخطة أبعده أراد أن يبعدها عن أفكاره تمامًا وقد نجح بقوة في ذلك إلا أن التقاها حقًا هذه المرة صدفة دون تخطيط.

- 7 -

تبًا لك يا وائل يختلط الشعور عندي بالغضب والرضا، أريد أن ألعنك لكن قلبي يرفض، كم أكره اليوم الذي جعلني حظي العاثر أن أذهب للحفل حتي توصلني، أيمر أسبوع ولا تظهر أين تختفي وأنت الذي كنت تظهر لي في كل مكان مراقبا وكنت أصدك لأني أكره أن أرتبط أو أتعلق بأحد فحريتي ليست محل تفريط أو نقاش، كنت أضحك على كل الذين يقولون إنهم يساهرون الليل لأجل حبيب أو حبيبة، الآن بعد أن تعلقت بك أصبحت تختفي بحجة واهية تقول: إنك لا تريد أن تشعرني بأني مجبرة علي رد جميل وأنت لا تعرف أنني لا أجبر علي شيء، تقول أمي وشقيقي إني عنيدة ورأسي قوي، تقول إنك شعرت برفضي السابق فانسحبت لو قلت هذا فأنت كاذب لقد مضى الزمن وما عدت كما أنا باختياري قيدت نفسي بك ولا أكذب هذه المرة فأنا أحبك، أحبك لدرجة الجنون لدرجة أنني علي استعداد لفعل كل ما كنت أقول بالأمس إنه تافه وأضحك فيمن يفعله، سأفعله سأسهر الليالي، سأستمع للأغاني، سأنسى كل ما قلته لو كان يسمح في مجتمعنا بأن أعترف لك بحبي لفعلت قبل أن تقول، لو كان فعلي سيجد

احترامك لأخذتك عنوة من كل من حولك فأنا الأحق بك وحدي.

سعاد: يا بت أنت جيتي بيتنا هنا عشان تسرحي لينا ولا شنو؟

انتبهت سيدة أنها لأكثر من نصف ساعة ظلت صامتة تحدث نفسها، كوب العصير أمامها لم تشرب منه هزت رأسها وقالت محاولة وضع ابتسامة

: لا بس أنتِ ساكتة وكده

سعاد: يا بت هوي ومتين أنت بتنتظري زول يتكلم عشان تتكلمي!! شغلك دا والله أنتِ خلاص وقعتِ في الولد داك.

سيدة: أنتِ عارفاني كويس وما بعترف بي الحب دا والعاوزني يجي لأبوي طوالي

سعاد: لا بالله أحسن كمان يجي ود عمك يغطي قدحو ويعرسك دا ما علي أنا سريع يا بت اعترفي قابلتِ؟ قال ليك شنو؟ قلتِ لي شنو؟ قابلتِ كم مرة ووين؟

سيدة: يا بت دا شنو دا؟ بطلي جن أديني الكتاب الجيت عشانو، أتبعت حديثها بالقيام وكأنها تعلن نهاية الحوار.

سعاد: دقائق طيب براحة علي ماشيه أجيبو

لحظات وأتت قادمة وقد ارتدت ثوب والدتها وفي يدها الكتاب

سيدة: لابسة التوب لشنو إن شاء الله!

سعاد: أقدمك طبعًا حيكون لشنو؟

جرت سيدة الكتاب وأمسكت به أشارت لسعاد بيدها أن تجلس

ثم قالت

: هوي أنا ما ناقصاك وكلامك دا كفاية عاوزة كمان تواصلي فيه في الطريق زي ما جيت براي برجع براي

سعاد مردده: جيت براي برجع براي

قلدتها دلالة علي عدم التصديق ثم أردفت بعد أن رسمت بسمة علي جبينها

: قولي جابك وراجعة معاهو ولا يكون ميعادك معاه دابو؟

خرجت سيدة دون أن ترد ولم تكن تعلم أن سعاد لديها حق فيما قالت، سارت في الطريق تفكر فيما قالته سعاد ألهذه الدرجة بان وظهر شوقها وعشقها لوائل، هل لاحظ أفراد أسرتها هذه التغيرات ضربت نفسها برفق دلالة علي المصيبة فنعم ستكون مصيبه لو.. قطعت أفكارها عندما سمعت صوت يناديها

سيدة سيدة سيدة

التفتت لتتفاجأ بأن من يناديها هو وائل.

****

كان في العنبر أكثر من عشرين طفلًا أعمارهم بين الشهر والخمسة أعوام أغلبهم يبادل الزوار الضحك بابتسامات، بعض الأطفال يصمت طفل واحد يبكي أكثر من غيره هذا الطفل يختلف تمامًا.

قالت المشرفة لصاحبة الفكرة عندما رأتها تقف ونظرها مع الطفل الذي يبكي بحرقة

: نبيل دا مما أنا جيت والمشرفة القبلي حكت عنو السنة ونص دي أغلبها مقضيها بكاء ما بسكت إلا عشان ياخد نفسو وتاني يرجع زي ما كان حتي الأكل دا بياكل بس بسيط الشيء اليخليه يعيش كانوا عارفو، الود دا متعب شديد والله غلبنا عديل كده.

إذن اسمه نبيل هي تحس بأنه ابنها الذي رمته، ابنها الذي أتي في لحظة خداع لا بل ضعف ليس خداع أبدًا لقد ضعفت ووقعت في المعصية ونتج عنها هذه الجريمة، نبيل خرج شقيًا متعبًا إذن كأبيه، لكن ربما هو يفعل ما يستطيعه لكي يعلن عن غضبه علي أمه وعلي أبيه يرفض أن يكون ضحية حماقة أبويه وعدم مسئوليتهما هما من عصيا ربهما لما يكون هو المعصية؟! كيانها كله يحن له عاطفتها تتجه نحوه لكن هل تستطيع فعل شيء، لقد حذرتها صديقتها من أن تقوم بأي حركة تجعل الشكوك حولها، يا الله.. تحس الآن بضعف عاطفة الأمومة أقوي من أي تحذير ومن أي خوف كانت تحمل طفلا آخر وضعته بهدوء ثم تحركت في اتجاه أحد الزملاء وحملت منه طفلا وبدأت تلاعبه، فهمتها صديقتها فتحركت ناحية نبيل قامت بأخذه واللعب معه وهو لا يزال يصرخ ولحظتها كان قد أفرغ مثانته، نادت علي المشرفة بأن تأتي لتساعدها لتغير لهذا الطفل لم تهتم المشرفة كثيرا فنادت علي صاحبة الفكرة التي أسرعت وساعدتها للتأكد من العلامة، وجدتها زادت ضربات قلبها أحست بالدوار جلست قبل أن ينتبه لها أحد، صمت الطفل، هذا الصمت أخاف صديقتها فقامت وأمسكت عضلات

رجله بقوة وشدتها دون أن ينتبه أحد مما أدي إلى عودته للبكاء، أرادت أمه أن تحمله وتسكته لكنها رأت إشارة الصديقة تطالبها بالصمت وعدم فعل أي شيء انتبه الكل للبكاء قدم أحد الزملاء وحمله محاولًا أن يسكته.

قالت لها صديقتها بعد رجوعهم إن ما قامت به لم يكن إلا محاولة لجعله يصرخ حتي لا ينتبه أحد له وهو صامت في يدها.

استطاع زميلها أن يعيد له الهدوء بعد أن ظل يؤرجحه بيديه يعلم أنه سيتعرض للمزاح وأنه سيكون بسبب هذا، من تقام علي شرفه السهرة عند المساء لكنه قدم ليقدم مساعدته وها هو يفعل، عند انتهاء زيارتهم وخروجهم عاد نبيل للبكاء بصورة أشد مما كانت.

****

لم تنم سيدة تلك الليلة، لحظات السعادة التي تعيشها تخاف أن تنام وتستيقظ تجدها قد اختفت أحيانًا نخاف أن نضيع دقيقة من السعادة لأننا نعتقد أن الحزن أطول من السعادة، لقد سألت وائل بعد أن التقت به قال لها إن اختفاءه خوفا لأنه لا يريد أن يدمنها وتختفي أو يضايقها وجوده، فقدت لحظتها كل ما كانت تؤمن به لقد قاطعته وقالت بصوت أقرب للهمس والرجاء.

: حتي لو كنت أنا بفتقدك لما تغيب وبكون ماشية في الشارع وبتلفت أقول يمكن تظهر؟

لا تدري كيف نطقت هذه الجملة هل هي سيدة نفسها!! هل هي

التي كان كثير من الشباب ينتظر منها ردًا للسلام فقط؟ الآن بكل جراءة تقف وتقول كل هذه الجملة، لقد أحست بالأمان معه وكبر في نظرها منذ أن أوصلها واختفي لذا هي ستفعل المستحيل لتمتلكه.

وائل الذي كان قد قرر أن يجعلها تحبه ثم يخبر أصدقاءه بانتصاره ثم يتركها وجد نفسه يقول لها دون أي تفكير

: أوعدك إنو مدام دا طلبك ما أغيب عنك لأي سبب ومن هنا وماشي أنا حاكون قريب منك اعتبريني حارسك الحيخاف عليك من كل شيء.

لم ترد عليه، ما يقوله حديث سمعته كثيرا يقال لغيرها وقرأت مثله لكنها الآن تحسه يدخل في مساماتها ويجري مع كل قطرة دم كأنه لا يخاطبها من لسانه بل يخاطبها من قلبه

واصل في حديثه بعد أن صمت ليتركها ترد لكنها ظلت صامتة.

: أنا شكلي حبيتك خلاص يا سيدة

عندما عاد سأله أصحابه لم يرد عليهم حاولوا وألحوا، لا يعرف ما يقوله هل يقول لهم إنه كان ذاهبا في مرسال لوالده فقابلها صدفة ونسي طلب أبيه أو يقول لهم إن أباه غاضبا منه بعد أن عاد بخفي حنين كما قال له، أم يحكي عن الشعور الذي أحسه أول مرة رغم أنه عرف عشرات البنات غيرها لكن ما يشعر به الآن نوع جديد لقد قال لها إنه ربما يكون قد وقع أثيرًا في حبها لم ترد ظلت لدقيقة أو أكثر تنظر إليه ثم أسرعت مغادرة، لم تحاول أن تودعه احترم تصرفها هو متأكد أنه أول

من وقفت معه وقال لها مثل ما قال، لن تكون علاقة عابرة شهر فقط كما يفعل دومًا

معاذ: خلي بالك يا عمنا أنت سرحت وما جاوبت

لؤي: شكلو فشل

معتصم: يا خسارة في ناس اتدقت ساي

هههههههه ضحك الجميع إلا واحد وقف غاضبًا والتفت إليهم ومن عينيه تخرج شرارة الغضب.

- 8 -

جلست سيدة تراجع دروسها، لم يتبقَ إلا أيام للامتحانات، تحيط بها الأوراق من كل جانب وكتب موزعة علي الغرفة بلا انتظام، صبارة كبيرة ممتلئة بالشاي وأخري بها جبنة قامت والدتها بإعدادها لها حتي تساعدها علي السهر رغم أنهما يدركا أنها لن تغير كثيرا وغير مجديات طالما شربت منهما الكثير لكنها تستسلم للنوم سريعا بعد أن تشربهما، ظلت أمها وإخوانها يكثرون عليها النصح منذ بداية العام الدراسي ويذكرونها بأنها في هذه السنة ستمتحن للجامعة ويجب أن تجتهد أكثر في دروسها، أكثر من أي وقت مضي حتي تحصل علي نسبة تساعدها في دخول الجامعة والكلية التي تريد، أصبحت تساهر لكن ليس بسبب القراءة فقط، حبها لوائل له نصيب من السهر في تذكر كل موقف، فقد مرت الأحداث سريعًا وأصبحا حبيبين عاشقين يسهران الليل معا وفي اليوم التالي عندما يلتقيان آخر اليوم الدراسي يحكيان لبعضهما تفاصيل ليلة الأمس وكل ما تخيلاه، أصبحت تبحث عن فرص وحجج من نوع ذهابها لدروس التقوية، المذاكرة مع صديقتها فقط من أجل أن يسرقا أوقات بعيدا عن أعين العزال كما أسموهم، لقاء في كافيتريا يجلسان لساعة أو أكثر يتبادلان

الأنس، أشتري لها جهاز هيتفون صغير لتستمع للأغاني التي أدمنتها بعد حبه لأنها حدثته أن إخوانها يرفضون لها أن تستخدم المسجل الخاص بهم، فرحت كثيرا عندما أهداه لها فهو جهاز صغير تستطيع أن تذهب به إلي أي مكان وسماعته علي الأذن، قالت لأمها إنها دخلت في صندوق واشترت هذا الجهاز لقد أطلقت كذبة وصدقتها أمها رغم أنها عاهدت نفسها في بداية علاقتها أنها ستنسحب دون تفكير إن جعلها الحب وعلاقتها مع وائل تكذب وتفقد الاهتمام بالدراسة.

رفعت إحدي المذكرات تريد أن تتأكد من إجابة كتبتها علي ورقة امتحان، صفقت لنفسها بعد أن وجدت أن إجابتها مطابقة لما كتبت أخذت نفسًا طويلًا وقررت بداخلها أنها تستحق راحة من المذاكرة قبل أن ترجع لها مرة أخري، ذهبت إلى سريرها رفعت الفرش حملت الجهاز وعادت إلي كرسيها صبت لنفسها كوب جبنة ثم أدخلت السماعة في أذنها وأدارت مفتاح التشغيل وبدأت تستمع لكوكتيل أغاني كانت الأغنية الأولي لمحمد فواد.

الحب الحقيقي .... بعيش يا حبيبي
بيعلمنا نسامح .... بينسينا امبارح
بيعلمنا نفكر دائما في أيامنا اللي الجاية
لو نبعد ثواني ... بيرجعنا تاني
وأجري عليك يا حبيبي وأقولك حقك عليا
هو ده أيوه دا هو دا الحب الحقيقي

سرحت بخيالها مع الكلمات، هل حبها لوائل هو الحب الحقيقي فعلًا؟ لقد صدت قبله كثيرين، وحده من غير حياتها وجعلها تترك كثيرًا مما عاهدت نفسها عليه، إن لم يكن حبا حقيقيا لماذا حدث كل هذا! لو كان أول من يحاول أن يرتبط بها لقالت إنها فقط تفعل كما تفعل صديقاتها التي اتخذت كل واحدة منهن حبيبًا لكنه لم يكن الأول الذي يحاول أن يدق قلبها لكنه أول من فتحت له باب قلبها وحياتها كلها، تشعر بسعادة كبيرة من هذا الحب فكيف لا يكون حقيقي!!

عادت مرة أخري لتستمع للكاسيت لتجد أصالة تصدح

قلبي بيرتاح لك مشتاق نفسو يلمح ليك
لو يوم دقيت علي بابو
من غير ما أشرح لك
قلبي حيسمح لك
تبقالو كل أحبابو
قلبي بيرتاحلك مشتاق نفسو يلمح ليك
لو يوم دقيت علي بابو
من غير ما أشرح لك
قلبي حيسمح لك
تبقالو كل أحبابو
لكن بشروط لو تعشق تموت
وتشيل عن قلبي عذابو

لقد كتب لها في أول خطاب هذه الأغنية، قال إنها تعبر عنه لذلك كتبها وتمنى أن تكون هي كل أهلو وأحبابو وحياتو وقد تعاهدها علي ذلك، الآن مرت ثلاثة أشهر لم يختلفا فيها كانت تعرف كيف ترضيه وهو يعرف كيف يسعدها لذلك بعد نقاشات كثيرة قال لها مرة

: أنا يا سيدة ما أغش عليك ارتبطت بيك بعد ما بقيت ناضجا في فكري وفي الحب وبعرف أفهم أي بت، أنا ارتبطت قبلك بكم بت بس كان يا عشان أعمل زي ما بعملو أصحابي وبرتبطوا يا عشان حاسي بالفراغ لكن ما حصل حبيت أنتِ أول حب وملكتي كل أركان كياني.

استمرت في الاستماع ثم قامت بغلق الجهاز وعادت لاستذكار دروسها.

****

عاد الطلاب من دار المايقوما وبعكس ما كانوا عليه قبل ثلاث ساعات وهو الزمن الذي قضوه بين الأطفال فالصمت هو سيد الموقف أصابهم الحزن وهم يشاهدون أطفالا في سن صغيرة حرموا حنان الأم وعطفها ورعاية الأب لا لذنب ارتكبوه هل يفكر كل من ارتكب معصية الزنا في ثمرة معصيته، صاحبة الفكرة أكثرهن حزنا ظهر ذلك علي وجهها لم تستطع أن تخفيه سألت دموعها جبرًا لم تستطع أن تقاومها، يزيد ألمها ودموعها أنه كل لحظة يقطع أحدهم أو إحداهن الصمت عن قسوة الأم التي تركت ولدها لماذا رمته كأي قطعة قماش تهتكت لماذا لم تتحل بقليل من الشجاعة وتتمسك بطفلها بدلا من أن تزيد معصيتها بأخري، طالبة

تتحدث لاعنة أمهات الأطفال وآباءهم وتمنت أن يعود لهم ما ارتكبوه في حياتهم، لم تتحمل كل هذا فتركت لعينيها أن تنزل ما تختزنه من دموع، لو كان الدمع يخفف الحسرة والندم، قالت صديقتها بصوت مسموع

: والله أنا ما لاقني زول زيك شوفوا الحنية بتبكي حسرة علي الأطفال، أكثر ما يولمها الطفلة التي أكل الكلب الأصبعين حقاتها الله شيء مؤلم شديد أنا برضو الليلة ما حاقدر أنوم.

مرت ثلاثة أيام بعد الزيارة وهي رافضة أن تأكل أي شيء، ازدادت نحولا، قالت لصديقتها إنها تفكر في أن تأخذ طفلها عن طريق برنامج لديهم يسمي الأم البديلة أو التبني كما شرحت المشرفة في حالات التبني، لم يجد رأيها ترحيبًا من صديقتها فقد أعادتها للواقع

: أسي عليك الله تودي وين مع الكلية ونحن المافي الخرطوم ديل لو كنا بندرس هنا ومع أهلنا كان معليش وحتي لو كنا في أهلنا تفتكري ناس بيتكم حيرضوا إنك تجيبيه البيت ولو قبلوا موقفكم مع الجيران شنو وهو ذنبو شنو يسمع من الكبار والصغار حقيقتو ياخ خلي في الدار علي الأقل هناك مافي زول بعايرو.

وجدت أن حديثها بالنسبة لها أقرب للمنطق لكن لم يكن أقرب للحقيقة فاتبعت المنطق، ظلت تستغفر طوال الليالي التي مرت حتي انتهت الإجازة ثم عادت إلى منزلها فقد كانت مع الطالبات مدة الرحلة في إحدى الداخليات لتكون قريبة بطلب من صديقتها.

****

شهر مضى منذ أن رمت طفلها ستعود إلى جامعتها الآن لا أحد يعرف أنها كانت في الخرطوم فأفراد أسرتها يعتقدون أن ابنتهم في الجامعة تواصل دراستها، أما في الجامعة فقد كانت حتي لا يبان الحمل ترتدي ملابس واسعة لو كانت ترتديها في أيامها العادية لاختفى جسدها بداخلها وما بان منها شيء، كانت مع صديقتها تفكران في كيفية أن يتخلصا من الطفل بعد ولادته دون أن يشعر بهما أحد لكن كل الأفكار التي أتت بها صديقتها تتراجعان عنها سريعا لأن بها كثيرًا من الثغرات التي تفتح للشك ممرات، ما زال هنالك أمران يعذبانها، الأول بعد الولادة ستظهر تغيرات كثيرة كيف تواجه من حولها لأن أي طالبة لديها قليل من الخبرة ستدرك أنها قد وضعت وكيف لا تكون لدي أغلبهن خبرة وهن طالبات كلية الصحة العامة مصيبة ستواجهها وسينكشف أمرها ربما يفتح بلاغ ضدها وتبلغ الشرطة، رفعت يدها بالدعاء يا الله استرني فقد تبت وسأظل أستغفر ما عشت، عادت تواجه الفكرة الثانية الأصعب لو لم يكتشف أحد أنها وضعت كيف تفسر لهم النحول الذي سيصيبها بعد عودتها ولن تستطيع ارتداء نفس اللبس مرة أخري وإلا اختفت بداخله لا توجد فائدة ففي كل الأحوال سينكشف أمرها وربما أحد أفراد أسرتها ينصدم بالخبر علي الصفحة الأولي لصحيفة الدار.

عادت بذاكرتها لقبل الولادة، قدمت صديقتها تجري وهي تقول لها البشارة عاوزة حقي كاش لقيت فكرة عبقرية قريتها من إحدى المجلات أظنها سيدتي طلبت منها أن تسرع بالحل فهي تعيش في قلقل وخوف.

الصديقه: حتقولي إنك مسافرة برة السودان حيعملوا ليك شفط للدهون مثلًا تقولي حتمشي مصر.

: وحيصدقوني إني حامشي مصر ولو صدقوا ما أنا قاعدة هنا حاعمل شنو و...

قاطعتها: أنتِ أي فكرة أقولها تجيبي ليها مليون عيب!

: طيب أنا ساكتة كملي

الصديقة: أنت حتمشي الخرطوم توضعي وتاخدي كام يوم لحدي ما كل الآثار تختفي

: وحامشي الخرطوم ناس البيت حيقتلوني طبعًا!

الصديقة مقاطعة: لا طبعا أنتِ ما حتمشي البيت الحيوان الجبان العمل كده نسافر ونخلي هو يتصرف

: تفتكري حيتصرف أو يقبل إنو يساعدني؟

الصديقة: ولا علي كيفو وإلا والله نفضحوا وتقولي ليه علي وعلي أعدائى.

****

أما وائل بعد أن ارتبط بسيدة فقد أصبحت الأيام تمر وهو في سعادة لم يعرفها مع كل البنات اللاتي ارتبط بهن سابقًا أصحابه مندهشون من التغيير الذي أصابه، في إحدي الأمسيات عندما جلسوا يتبادلون الأنس قال معتصم

: أخيرا الولد دا قدر ينتصر علي البنت ويستحق اعتذار مننا.

لأول مرة يقف وائل غاضبًا علي أصدقائه بعد أن قال معاذ ردًا علي معتصم إنه لن يعتذر إلا بعد أن يشاهده يتركها انتقاما لطول المدة التي عذبته وهم يواصلون الحديث عن سيدة إلى أن وقف غاضبا طالبا منهم الصمت وألا يتحدث أي أحد منهم بكلمة تمسها.

- 9 -

العام 2002

نهار مشمس رغم الأمطار التي هطلت ليلة الأمس ما زالت الأرض مبتلة، تشاهد مياها متجمعة هنا وهناك، أحدهم يصيح لاعنا صاحب سيارة أتت مسرعة فبللته بالمياه جعلت ملابسه تتسخ آخر يشتم الحكومة وأهل البلد معبرا عن سخطه من تجمع المياه في بعض أحياء العاصمة، أطفال يلعبون في الماء ورجل يصيح فيهم طالبا منهم أن يخرجوا منها لأنها تسبب الأمراض.

كانت مني مركزة مع كل هذه المناظر صامتة، ومني هذه فتاة في العقد الثالث من عمرها ترتدي نظارات طبية وترسم علي وجهها لمحات تلخص لك شخصيتها وتعرف أنها حازمة جادة في حياتها وإن كان هذا لا يخفي آثار الجمال الظاهر، لطالما سمعت من الكثيرين عبارات وجملا علي شاكلة (البت دي اسي مالها ومال المشاكل المعيشة نفسها فيها دي، البت دي مش خلصت دراسة، طيب ليه لسه شايلة مراجع وكتب كبيرة كده) قد درست مني علم نفس وتم تعيينها مرشدة نفسية في مستشفى التجاني الماحي والآن بدأت في تحقيق حلم قديم فقد أكملت مقررات الماجستير

وتبقى أمامها البحث التكميلي، وجدت أن الأطفال هم النواة التي ستحقق بهم ما تصبو له فهدفها الأساسي مساعدة كل الذين يحتاجونها.

وصلت إلى دار المايقوما، كانت قلقة يظهر ذلك من كمية العرق في جبهتها ورجفة خفيفة في يدها، فما تعيشه من هاجس بسبب الخوف من الفشل في مهمة وحدها من يقوم بها وأطفال لن تجد منهم المساعدة ولا الجدية فقد يعتبرونها دخيلة أو لا يبالون بها أصلا قدمت نفسها لمدير الدار وتبادلا أطراف الحديث إلى أن قالت له محاولة الإفصاح عن سبب الزيارة.

: في الحقيقة أنا بعمل في بحث تبع الماجستير بتعلق بالأطفال واخترت مجهولي الأبوين رغم إنو في البداية كان فاقدي الأبوين بس لقيت إنو ديل محتاجين رعاية خاصة.

المدير: فعلا وموضوعك يعتبر مهمًا جدًا.

حكت له طبيعة عملها والفكرة وما تحتاجه وستقوم بدراسة حالة أربعة أطفال ولدان ومثلهم من الإناث وستختار أكثر ولد وبنت مشاغبين يظهران عدم تقبلهما للواقع الذي وجدا أنفسهما فيه، والآخران ولد وبنت يعيشان في هدوء تام ناتج من استسلامهما للواقع، لم يأخذ الأمر وقتًا كثيرًا فقد كان الخيار الأول نبيل الذي أكمل أعوامه الثلاثة، عامان منهما ظل فيهما يبكي معظم الوقت ثم تحول إلى عدواني يرمي ويكسر كل اللعب التي تحضر له، ثم أصبح يرمي لعب الآخرين يقابل كل من يحمله بهدية بسيطة بغرس أسنانه في آي مكان يصادفه حتي المشرفات أصبحن نادرا ما يحملنه، الثانية تدعى علا مثله تماما إن لم تكن أكثر تعصبا منه وحماقة،

تستيقظ ليلا وتبكي حتي تشعر بأن من حولها هب من نومه فتصمت، ثم فتحي ومروة هما الهدوء نفسه لا يتكلمان أو يلعبان إلا لو طلب منهما فبإمكان أي واحد منهما أن يظل في سريره ست ساعات دون أن يتحرك أو يطلب شيئًا لا يضحكان ولا يبكيان.

طلبت مني أن يوفر لها غرفة صغيرة ستكون مسرحا لدراستها إن وافقت الدار علي الدراسة وسوف تتكفل هي بكل مصاريفهم فترة اختباراتها.

وافق المدير لأن الدار تشجع كما قال مثل هذه الدراسات متمنيا لها التوفيق

غابت أسبوع واحد فقط وعادت بعد أن أكملت استعدادها للدراسة استعانت بإحدى الجمعيات وطرحت عليهم زيارة الدار وتقديم المساعدة، فقد كانت تحتاجهم لتهيئة الغرفة بشكل جديد.

نبيل أكثرهم احتجاجًا علي تدخل مني، لو كان يستطيع ترجمة ما بداخله لقال إنه كره حياته بكثرة الذين يتدخلون فيها من زوار ومشرفين لكنها كانت قد عزمت علي أن تنجح ولكي تنجح لن تهتم بأي شيء آخر

****

أنهت الصديقة كل إجراءات الإذن الخاص وكذلك إذن لها حتي ترافقها إلى الخرطوم بعد إلحاح، حتي وهم في البص في طريقهم إلي الخرطوم كانت الصديقة تحاول تهدأتها فالخوف من افتضاح أمرها في أي لحظة كان يسيطر عليها، حتي وهي في البص غير مصدقة أن الحيلة

التي أطلقتها صديقتها قد نجحت، قالت لهم إنها مصابة بالطوحال فقد رفضت هي فكرتها الأولي إن ما بها تجمع للدهون وقد كان رأيها الأفضل فالطوحال يجعل البطن بهذا الشكل، يقتلها التفكير فيما بين أتبلغ أسرتها أم لا؟ حالفها الحظ كثيرا في الفترة الماضية ما بين اختيارها اللبس الواسع وسفر والدتها لأكثر من شهرين مواسية لأختها التي توفي زوجها إلى متي سوف تعيش في هذا الرعب، قبل مجيئها إلي الجامعة بيومين حاولت الانتحار لكن صديقتها الملازمة لها أغلب الوقت كانت سببًا في إنقاذها فقد حضرت لحظة كانت تقوم بخلط الجبنة مع الصبغة، لو كانت تستطيع أن تتغلب علي مخاوفها وتنتحر بطريقة أخري لفعلت لكنها لا تريد أمرا بشعا أو مؤلما، كوب جبنة مخلوط مع حبتين منومة توصلها لما تريد بهدوء، شكر والدها صديقتها التي كانت ملازمة للأسرة أغلب الوقت وهو لا يعرف أنها تفعل ذلك لتساعدها في التستر علي المصيبة، ولو عرف لغير رأيه تماما، عادت من أفكارها نقلت بصرها ناحية اليمين ثم اليسار، البص يقطع الأسفلت بسرعة جنونية، ماذا لو انقلب هذا البص؟ ستكون رحمة من ربها تموت وسط مجموعة وتتحقق أمنيتها بالموت ولن تكون قد انتحرت رفعت يدها سائلة الله أن يتحقق ذلك، انتبهت لها صديقتها وهي ترفع يدها رغم أنها قررت أن لا تسألها وتتركها مع نفسها لكنها نست كل ذلك بعد أن شاهدتها تدعي ربما تلطف الجو بطرفة.

: مالك رافعة يدك عاوزاه ولد ولا شنو؟

وقعت عليها الطرفة في موضع ألم جعلها تندم إنها أطلقتها بعد أن

شاهدت وجهها وهو يتغير للون الأصفر، فعاد الصمت بينهم للحظات لتقطعه مجاوبة علي السؤال

: كنت بدعي ربنا يقلب البص دا ويريحني

دقت صديقتها رأسها خوفا مما سمعت قبل أن تقول

: يعني عاوزة البص دا كلو يموت بس عشان أنتِ تموتي؟

: ما أنتِ ما مخلياني أموت براي أنا عاوزه أريح نفسي وأريح أهلي من الفضيحة ال..

قاطعتها: أنتِ نسيتي اتفقنا علي شنو؟

عادت بالذاكرة لما اتفقتا عليه، لقد طمنتها أنها ليست الأولي ولن تكون الأخيرة التي تخدع وتضعف لن ينكشف أمرها كما قالت لها ستفعل المستحيل حتي لا ينكشف الأمر سيكون سرًا بينها وبين من ارتكبت معه الإثم وربما اثنان من الأطباء، قالت لها إنها سوف تساعدها حتي لو رفض هو ورفع يده فقد هددها بذلك في تلك الليلة المشؤومة التي كشفت فيها الأمر بعد أن أخبرته بما حدث طلب منها أن يذهبا ليقوما بإنزال الطفل لكن الخوف جعلها ترفض ثم مرض زوج خالتها ومرافقتها له جعل الوقت يمضي وأصبح من الصعب القيام بالانزال، غضب لهذا تذكرت ما قاله لحظتها

: ما تنسي إنك أنت الرفضتي تنزلي كنت عاوز أساعدك

: بس أنت عارف الظروف والخوف....

قاطعها: علي كيفك أنا قلت ليك حاكون معاك بس ما سمعتي الكلام

عادت مرة أخري من هذه الذكرى لتعود لما قالته صديقتها لها وافقت علي كل شيء لكنها رفضت فكرة طرحتها صديقتها في أول الأمر بأن ترمي الطفل في أي حفرة، كانت ترفض فكرة القتل كيف تقتل روحا بلا ذنب حاولت صديقتها معها كثيرا قالت لها

: الفرق شنو يعني أنتِ قلتِ عاوزة تنتحري لو إنتحرتي حتقتليه برضو وحتموتي معاه يعني في كل الأحوال دا ما عندو غير الموت ما تصري ساي علي كلامك لو ما راسك قوي والله كان خلصنا من الموضوع دا من زمان.

ليصلا في آخر الأمر لشبه اتفاق لأن تترك الطفل حيا لكن تقوم برميه في الشارع وسيجده شخصا سيعتني به أو يذهب به للشرطة.

وصلوا إلى الخرطوم، كانت تواجههم مشكلة المكان الذي سوف ينزلون به، في آخر الأمر اتفقتا علي الذهاب إلى إحدي الداخليات لتقضيان فيها اليوم وتخرجان منها باكرا قبل أن ينكشف أمرهما، لم تنم طوال الليل وظلت تستغفر ربها.

منذ أن إكتشفت أنها حامل عادت إلي الله، كانت تتمني أن تموت في العملية لكنها في نفس الوقت لا تريد أن يفتضح أمرها حتي لا ترمي بأسرتها وسمعتهم الأرض، لو كان الأمر يتوقف في ما سيفعلونه فيها لما ترددت وأخبرتهم حتي تضمن أن ينال عقابه، لكن والدها المريض بالضغط والسكري لن يتحمل ربما يقع من الصدمة وتكون السبب في وفاته، عندما أشرقت شمس اليوم التالي هبت من السرير بفرحة كأنها مسجونة وأطلق سراحها بعد ليلة طويلة قامت بإيقاظ صديقتها طالبة

منه الخروج باكرا بحثا عن ذلك الوغد الذي شاركها لحظة المتعة الحرام وتركها في عذاب طال أمده.

****

إنتهت امتحانات الشهادة، وبعد الامتحان مباشرة التقت سيدة ووائل ذهبا إلي توتي فقد قررا أن يحتفلا، بهذه المناسبة، جلسا قصاد النيل بالقرب من مجمع الأسكلا، حكى لها عن أغنية من الأسكلا التي كان يحفظها وأهدي لها كاست للفنان نادر خضر طلب منها أن تزوره غدا في دار صديقه قبل أن تسافر فقد أخبرته أنها سوف تقضي بعض إجازتها خارج الخرطوم، سؤاله أعادها لذكرى في منتصف يناير خرجت في إحدى الأيام مبكرا، من دروسها إلتقي بها بعد أن كانا متفقين علي هذا الزمن، قالت له عندما طلب منها الذهاب لإحدي الكافيتريات إن الوقت مبكرا ووجودها في أي مكان عام قد يسبب لها كثيرا من المشاكل، ربما شاهدها أحد أفراد أسرتها أو شاهدها أحد المدرسين، قد يتحدث معها أي شخص فالساعة تقترب من العاشرة، ما الذي يجعلها وبزي المدرسة في مكان عام؟ اقترح عليها أن تذهب معه إلي منزل صديقه معتصم رفضت ذلك، حاول معها كثيرًا وأخبرها أنه لن يفعل معها شيئًا حتي تخاف كل الذي سيحدث سيجلسان معا ويتبادلان الأنس كأنهما في الكافيتريا التي طالما التقيا فيها، لأنها هي التي قالت إن أي مكان عام يمثل مشكلة لها لم تستسلم ردت له : أنا مصدقاك وما خايفة منك لكن أفرض زول شافني داخلة بيت بالنهار ما فيه زول حيقولو علي شنو؟

وائل: ما تشيلي هم بسيطة أصلا البيت مقسم لاتنين حوش للنسوان وواحد للرجال، حوش ناس البيت جوه بتلقيهم قاعدين حاسبقك أنا جوه حتي أنتِ تلحقيني تدقي الباب حافتحوا ليك عادي كأنك في زيارة أو أي شيء

سيدة: طيب لكن كيف وناس البيت قاعدين؟ وتاني شيء لبسي دا ما ممكن يكون لبس زيارة.

وائل: أول حاجة الديوان دا ما في زول غيرنا نحن الأربعة أصحاب بدخلو، وبعدين ناس البيت ما بجوا بهنا ولو عاوزين حاجة أو يجيبوا حاجة بنادونا وأصحابي ذاتهم ما في أسي.

وما بين التردد والخوف والإصرار من وائل آخر الأمر وافقت علي الذهاب معه مع تكرارها طلبها طوال الطريق أن يوعدها علي ألا يكون شقيا وأن لا يزيد علي الأنس والحكي كان يرد بابتسامة ويقول لها بهدوء : أنا بخاف عليك زي ما أنتِ بتخافي علي نفسك وأكتر.

تحركا معًا إلى منزل معتصم حتي وصلا بالقرب منه، الشارع خالي من الناس لا يوجد أحد حتي صاحب الدكان الذي كان يخاف أن يشاهده يسير معها قبل الدخول لم يجده، صعد عبر الحائط وقفز إلي الداخل ليفتح الباب، التفت يمينًا ثم يسارًا، كانت ترتجف لو مرت ورقة بجوارها في تلك اللحظة لوقعت مغمي عليها، العرق يتساقط منها رغم برودة جو يناير في آخر الأمر دخلت وأغلق الباب خلفها.

- 10 -

المكان دار المايقوما غرفة متوسطة دهنت باللون البمبي مرسوم علي جدرانها أشكال حيوانات وألعاب، هي الغرفة التي اختارتها مني لتجري بحثها سعيا منها لإكمال دراستها المتعلقة برسالة الماجستير، مر شهران منذ أن قدمت، اختارت مشرفتان متطوعتان للدراسة هن طالبات علم نفس، خلال هذه الفترة ولم يتغير شيء الأطفال كما هم، عدم تقبل للانفصال عن البقية، نبيل أكثرهم عدوانية وعلا تنافسه فكلما زادت عصبيته ازدادت هي أيضا، مروة وفتحي يعبران عن رفضهما بمزيد من الصمت والهدوء، كانت مني تضع في حسابها أنهم سيعاندون شهرا واحدا بعدها سيتعود الجميع علي هذا الوضع لكنهم خذلوا توقعاتها، أصيبت بالإحباط لكن ستواصل لن تتوقف لأي سبب ما بدأته حتي لو كانت النتيجة عكس ما توقعته فسوف تسجلها وتغير علي أساسها تصورها، كانت علا في الثانية والنصف من عمرها أما مروة وفتحي ففي الثانية من العمر.

المشرفة تجري بسرعة ناحية المكتب المخصص لمني في زيارتها للدار لتحضير برنامج عملها قبل أن تعطيه للمشرفتين حيث إنها لا تتواجد في كل الأوقات.

: يا أستاذة يا أستاذة أجري

وقفت مني مفزوعة بسبب صياح المشرفة وتساءلت بينها وبين نفسها هل أصاب أحد الأطفال مكروه؟ حاولت الإسراع لكن لم تساعدها قدميها فتحركت ببطء بحثًا عن الإجابة، تصادمتا مع الممرضة عند الباب، لم تهتم مني بالأمر فقد كان هنالك أمر واحد فقط يشغلها وتتمني ألا يكون كما ظنت مخيلتها.

مني: في شنو إن شاء الله خير؟

المشرفة: مش أنا كنت بحكي ليك عن موضوع الأكل بالنسبة للأولاد؟

عادت مني بذاكرتها لتستحضر الأمر، فقد اشتكت المشرفتان من علا التي تأكل طعامها ومن ثم تقوم بأخذ طعام مروة وفتحي ولا يفعلان شيئًا يستسلمان لها تمامًا عند أخذه بينما لا يستطيع أحد أن يسأل نبيل، أحيانا يأكل وجبته وأحيانًا أخرآ يتركها حتي تجف وتصاب بالبكتريا دون أن يسأله أحد ولا يستطيع أحد من الثلاثة أخذه، المشرفات بتوصية من مني يقمن بجلب طعام مرة أخري لمن أخذ طعامه وتتحدثان مع علا لعلها في يوم تعقل، مر كل هذا بعقلها سريعا قبل أن ترد علي المشرفة.

: أي الموضوع دا متذكراه بس علاقتو شنو بالموضوع البخليك جارية وبتكوركي كده.

المشرفة: علاقتو مهمة جدًا بالموضوع أنا اليوم قعدت جمب الشباك وقدرت أتابع الحصل كلو.

منى: طيب احكي الحصل من غير ما توقفي عشان أنا خلاص ما قادرة أصبر

كانتا تسيران وهما تتحدثان، قابلهما كرسي في الطريق لغرفة الأطفال أشارت المشرفة لمني بالجلوس قبل أن تتحدث

المشرفة: أول حاجة جيت لقيتهم كلهم نايمين قمت ختيت لكل زول أكلو في التربيزة الجم سريرو قبل ما أطلع أسمع صوت كيس التفت لقيت دي علا صحت وشالت أكلها أكلت بمزاج بعد عشر دقائق صحا فتحي وقعد وبقي بشوف في علا وهي بتاكل بعد شويه قامت مشت شالت أكل مروة وبدأت تاكل منو، قام فتحي مشي براحة لسرير مروة ودقاها براحة لحدي صحت وأشر ليها بيدو إنو بياكلو غداها.

منى: دي ملاحظة جميلة أخيرا حتكون في علاقات بينهم وارتباط كان لازم واحد فيهم يصاحب حد ما ممكن يكونوا معزولين مع بعض وما في زول فيهم عاوز يعبر التاني.

المشرفة: لا اصبري لي في الأهم من دا وحيفرحك أكتر

منى: وساكتة مالك ؟ قولي سريع.

المشرفة: مروة الصامتة والبزيدها الزعل والحزن هدوء وصمت الليلة عبرت عن غضبها بعد ما شافت علا بتاكل قامت بكت بأعلي صوتها وقعدت تقطع في شعرها إلا لحقتها ومسكتها عشان ما تقعد تقطعوا

منى: فعلا دا خبر جميل دقيقة واحدة علي، ارحكي علي الغرفة هبتا واقفتين وتحركتا ناحية المكتب.

في المكتب، جلست المشرفة علي الكرسي بينما ذهبت مني ناحية أحد الدولايب أخرجت منه دفترا وقلما جلست وأشارت للمشرفة التي وقفت لكن دعتها مني للجلوس، ثم بدأت بتسجيل ما سمعته فيما كانت المشرفة تجول ببصرها علي المكتب وما هي إلا لحظات حتي قالت مني :

: اها واصلى

المشرفة: مروة كسرت هاجس الخوف من علا كونو تبكي، أسي ليها كم ما بكت؟ وشدة ما كان بكاء جد وصوتها عالى لما نبيل قام من النوم مخلوع..

صمتت للحظات أشارت لها مني بأن تكمل دون انقطاع

مني: أها نبيل قام أنا رجعت الشباك ما دخلت بس لما البت بدت تقطع في شعرها. إلتفتت لمني التي هزت راسها دلالة علي الفهم وكانت تضرب بالقلم علي دفترها ومركزة بنظرها مع المشرفة.

لتواصل المشرفة: قام نبيل من سريرو مشي لسرير علا وأها بقي يجر منها الأكل وهي بتجر لحدي ما اتقسم علي اتنين في يدهم وقام مشي ودا الجزء الاتقطع لمروة.

صفقت مني بيدها فرحًا وصاحت دا كلام حلو الحصل دا أنا عاوزاكي أنت وزميلتك تركزوا أكتر وأي ملاحظة ولا حاجة أول بأول حتي لو تضربوا لي في تلفون البيت.

: المشرفة واااي دا كلام دا خليت الشفع براااهم

لم تدع لمني فرصة الحديث معها فقد قامت تجري ناحية الغرفة

****

أخذ وائل عهدًا علي نفسه ألا يصيب سيدة بأي ضرر لن تكون إحدي لعباته فهو يحبها حقا، ولأنه لعوب لم يوقف علاقاته الأخري لكنه احتفظ بها بعيدا عن أعين سيدة لقد وعد سيدة إنه بعدها لن يربط نفسه بأي واحدة لكن يجري ذلك في دمه لأن حبه لسيدة خالص أجبر نفسه علي مواصلة اللعب بعيدا عنها مع الاحتفاظ أمامها بصورة الشاب الشهم الذي أنقذها، كان أفراد شلته يضحكون عليه ويقولون إنه أصبح يخاف وإلا لماذا يرتبط ببعض البنات ممن يبعدون عن مناطق تواجد سيدة لكنه لا يرد فقد كان يكتفي بالصمت دوما عندما تأتي سيرة سيدة.

سيدة كانت سعيدة جدا لأنه تغير من أجلها وأصبح شابا تتمناه أي فتاة، فبدأت تطلب منه الخروج أكثر مما مضى حتي تتأكد إنه معها، فالشك يكاد يقتلها تخاف من كل بني جنسها أن يخطفنه منها، يرمينه بشباكهن وهن الماكرات عندما تقول له ذلك يجبر نفسه حتي لا تخرج منه ضحكة فأي مكرهذا الذي ينتصرعليه، هو من يذهب إليهن ويجذبهن بسحره وجاذبيته لا العكس.

عندما طلب منها الذهاب معه لمنزل صديقه لم يكن مخططا للأمر لكن خوفها من أن يشاهدها أحدهم بزي المدرسة خاصة أنها قد خرجت باكرا جعله يبحث عن حل حتي لا يضيع اليوم الذي اتفقا علي تقضيته معًا.

وصلا إلي المنزل دخلا إلي البيت أحضر فطورا وعصير وألحق ذلك بصبارة شاي، تناولا الفطور معا وهما يتبادلان الضحك والأنس لكن

بصوت أقرب إلي الهمس حتي لا يسمع صوتها عن طريق الصدفة من أهل البيت.

وائل: عاوز أسمعك أغنية مخصوص نسختها في شريط وجبتها ليك.

سيدة: الله حلو تسلم كتير يا وائل أجمل حاجة إنو المرة دي أنا حأسمعها معاك في نفس الزمن

وائل: فعلا دي حاجة حلوة شديد

أخرج شريط كاسيت وأدخله في المسجل أداره ثم خفض الصوت، ليخرج صوت لطيفة يصدح بأغنية قديمة لها لكن تظل هدايا المحبوب جميلة وهو يعرف أنها لن تكون قد سمعتها من قبل لأنها لم تهتم بالغناء قبل حبه، جلس قصادها يتأملها فقد قال لها إنه يريد أن يركز بصره عليها وهي تستمع للأغنية التي أهداها لها.

كتبت ليك حبي معاني معبرة عن وجداني
بيفكروها تأليفي وبيحسبوها ألحاني
وهي أحاسيس جوايا طلعت علي شكل أغاني
كتبت ليك حبي بإحساس بقلب مخلص أوي حساس
من كترة ما هو صادق جدا وصل لجوه قلوب الناس
الناس خدوه وصدقوه ورددوه وتنقلوه من كل عاشق للتاني

أدخل يده في جيبه خفية حتي لا تشاهده كانت قد راحت مع الأغنية التي اختارها لها، أخرجها مغلقة والأغنية ما زالت تتواصل

وأنا المقصدتش أبدا غير إني أقول ما في وجداي

طلع علي شكل أغاني

كتبتلك حبي الموجود بشكل عفوي ومش مقصود

عند هذا البيت اقترب منها لتنتبه له وهو يقف أمامها أخرج ورقة وقال لها

: اتفضلي دي أول قصيدة كتبها عنك أنتِ وكنت بأخرها علي طول بس مع الأغنية دي تستاهل إني أديك ليها اسي رغم إني كنت واخدها ما عارف متين تصلك

أمسكت الورقة وصاحت الله حلو أنا بعشقك.

حاولت أن تفتحها لكنه أمسك يدها وطلب منها أن تقرأها في المنزل وجدا أنفسهما يتحدثان في قصص الحب بعد الجو الرومانسي الذي قام به.

عندما وصل لهذه المرحلة من الذكريات كاد أن يقع مغشيًا عليه فقد وقع ما لم يكن علي البال.

- 11 -

انقضت ستة أشهر بالكمال، منذ أن حضرت مني إلى دار المايقوما شهدت خلالها الكثير من الأحداث، كل يوم أطفال جدد يدخلون ما بين محظوظ قدم سالم وبين آخرين فقدوا أصابع أو أذن أو أعضاء آخرى أكلتها الكلاب بعد أن وجدتهم لقمة هنية مرمية علي الأرض وفي مكب النفايات من غير ضمير من والدة وقعت في الحرام واستمرت فيه بجرم آخر محاولة التخلص منه بلا إثم، آخرون لم يتحملوا الأمر والبعد عن حضن أمهم منذ صرخة الميلاد فوقعوا فريسة للمرض شاهدتهم يذهبوا بهم للمستشفى ولا يعودون فقد ذهبوا لعند كريم في رعية أبو الأنبياء فارتاحوا من عذاب كان في إنتظارهم، أطفال آخرون وجدوا أسرا بديلة فذهبوا لخصت حال الدارفي رسالتها كمقدمة قالت:

(في عالم الشوارع قد يحدث أن تلد بنت في عمر الزهور طفلا، وتدرك المستقبل الذي ينتظره والذي عاشته قبله سنين حياة الأقوي فيها هو المسيطر، طفل قد لا تعرف والده لكنها تتمسك به ترعاه بالقلة التي تملكها وتشمله بعطفها تقاتل من أجل لقمة له تحرم نفسها منها، لا تفكر في أن ترميه او تتركه حتي لو تدفع الثمن حياتها، قد تكون هي وقعت في

كثير من الحرام لكن المجتمع هو المسؤول أولا عندما تركها في الشارع مع آخرين يجمع بينهم قطعة من القماش بها سلسيون تذهب العقل في محاولة للهروب من واقع وجدوا أنفسهم فيه بل حتي في قطيع الحيوانات تتمسك الأم بطفلها وتحميه وتقاتل من أجل حمايته ومن أجل توفير اللقمة له أما أطفال المايقوما فغير، والذين قد يكونوا نالوا حظا كبيرا من التعليم ويتمسكون بوهم ثقافة قدمت من بعض المسلسلات لهم أسر قد خانوا ثقتها وباعوا الإنسانية والفطرة حتي يحافظوا علي صورة يعيشونها في المجتمع لم يقدروها عندما كانت حقيقة فحاول بقتل أطفال ثمرة لجري خلف شهوات زائلة أو رميهم علي أمل أن يجدوا من ينقذهم فالويل الويل لهم من عذاب إن لم يكن هنا فهنالك فبكل ثانية تمرعلي هؤلاء الأطفال ويتعذبون فيها سينالون يوما إثمها).

ستة أشهر مرت، ظهرت الاختلافات بين الأطفال الأربعة، حول الصغير نبيل كل طاقة الغضب في حماية الصغيرة مروة من شقاوة علا، علا بفطرة البشر أصبحت تميل للضحك واللعب مع فتحي فالجميع يبحث عن الأضعف منه في العادة.

ستة أشهر مضت وأصبح نبيل يتحدث في الخفاء بعيدا عن أعين الكبار شاهدته إحدي المشرفات مرة فصمت فظلت تراقبه أياما لتثبت لنفسها أنها لم تكن في لحظات خيال أما علا ومروة كأنهما تتنافسان وبدأت الغيرة معهما وهما صغيرتان لا تدركان الكثير في الحياة فأصبحتا تتعلمان الحديث وتتبادلان بعض الكلمات المفهومة الممزوجة بأخري لن يستطيع

أمهر مترجم أن يعرف ما يقولون دعك من أن يعرفوا أي لغة هي.

ستة أشهر وقد ابتسم يومًا نبيل فاحتفلت المشرفات ومني فقد كانت أول مرة يشاهدونها فيه، قل فيها بكاء نبيل وعلا وكأنهم قد استسلموا أخيرًا للواقع الذي وجدوا أنفسهم فيه إن لم يكن قد أحسوا بالأمان لوجود مني.

ولأن كل بداية في الحياة لها نهاية، انتهت فترة مني في الدار بعد أن أنهت الجزء العملي في رسالتها كان يوما مشهودا لم تتمالك نفسها فقد ظلت تبكي طوال اليوم الذي سبق هذا اليوم وفي اليوم الختامي مسكت بالأربعة وظلت تبكي وشاركها الأطفال كأنهم يدركون ما الذي يحدث، مني والمشرفتان المساعدتان سيذهبون.

أربعة أيام مرت والحزن لم يفارقهم، نبيل وعلا أصيبا بالهبوط الحاد لعدم الأكل، لم ينفع معهما محاولات المستوصف الخارجي لذا حولوا لمستشفى الرجل النبيل حقًا وفعلًا ابن عوف ذلك الرجل الذي وهب حياته وعلمه لخدمة الأطفال دون تمييز.

بعد محاولات تمكنوا من العثور علي مني وأخبروها بما حدث لتأتي ومعها المشرفتان مسرعات إلى المستشفي، كان اللقاء بينهم بكاء، كانت أعينهم تحملان سؤالا واحدا لا يستطيعون نطقه لصغرهم أين اختفيتم بعد أن وجدناكم ووجدنا معكم بعض الحنية؟.

المشرفة في الدار تحاول أن تكون أماً لسبعة أطفال أو أكثر أما مني ومعها اثنان يقومون برعاية الأربع أطفال، هي تبكي لأنها لا تملك في

يدها الآن غير أن تتركهم بكت المشرفات، حتي الطبيب المعالج دمعت عيناه رفع عينيه لأعلي محاولا أن يخفيها عن أعين الجميع وقد ساعدته النظارة الطبية.

بعد أن خرجا من المستشفي، طلب منها المدير المقيم في الدار أن تذهب معهم للدار لأنه يريد أن يتحدث معها، وافقت علي طلبه في الدار

المدير: يا أستاذة نحن لما جيتي هنا ساعدناك وقدمنا ليك خدمة ما أظن تلقيها من أي حد تاني وافقنا نديك أربعة من أطفالنا عشان تجري فيهم تجاربك..

حاولت أن تقاطعه لتعبر عن الرفض من جملة تجري تجاربك إلا أنه بإشارة منه بيده مع نظرة صارمة جعلها تسكت ليتابع هو

: أنت غيرتي في طبع الأربعة ديل الكانو بمثلو حالات شاذة في الدار اتنين مصدر الجوطة والإزعاج واتنين ما بتعرف إنهم حيين إلا بالنفس والعيون البتتحرك لحظات ونحن شاكرين علي دا كثير

مني: وأنا كمان شاكرة و....

قاطعها مواصلا: ممكن تشوفي وأغلب الناس إنو نحن الشغالين بالدار دي جامدين بنعمل بلا عواطف وأي شيء بالنسبة لينا بقي عادي لكترة ما مر بينا بس أبسط شيء صدقيني مافي شيء جابر حد هنا علي الإزعاج مع إنو العائد المادي ما بقدر المهمة ولا جاذب عشان نتمسك بالشغل لكن ديل هنا كلهم بيعملوا بمنطق الإنسانية وما مهم إنو يكون الشيء دا ظاهر من جواهم لكن العمل القايمين بي باكد إنسانيتهم، واحدة تهتم

بأطفال أكثر من أصابع اليد الواحدة، تغير ليهم تغسل ليهم بعد يعملوا زي ما بعملو الناس و..

قاطعته: أنا عشت بينكم ستة شهور وشفت كل شيء يعني ما محتاجة تشرح لي عشان تأكد إنكم بتقوموا بمهمتكم وأكتر وأنا كتبت دا في مقدمة الرسالة و...

المدير: طلبي بسيط رد الدين ما لي أنا ولا للدار للأطفال الأربعة الكانوا هم أصحاب الفضل في بحثك بعد ربنا سبحانه وتعالى ما ممكن تمشي كده والمعاك علي طول اتصرفوا المهم إنو تلقوا حل.

****

وصلت والدة الطفل القادم الذي يظهر الآن في انتفاخ بطنها برفقة صديقتها إلى حيث يقطن والد الطفل شريكها في الإثم وقفتا بعيدًا عن الدار وتحركت الصديقة لأقرب مكان من الدار وظلت تراقب وتنتظر علي أمل أن يخرج فتنادي عليه لقد تعبت من لعب الدور الذي تقوم به لا تعرف ما الذي يجعلها تعمل كل شيء من أجلها، ربما تريد أن تثبت لنفسها قبل أن تثبت لصديقتها أنها أفضل منها من كل شيء تريد أن تحسسها بالذنب، تريد أن تجعلها تحس علي الدوام أنها صاحبة فضل عليها وأنها تمتلك سرًا كبيرًا ربما يكون ثمن كشفه حياتها نفسها.

مضت نصف ساعة من الانتظار أصابها الملل لكن ماذا تفعل الشارع فارغ الآن فالساعة الآن التاسعة.

الموظفين قد غادروا وكذلك الطلاب بمختلف مشاربهم، ربع ساعة

أخري مضت وهي تنظر في ساعتها ابتسمت عندما مرت بخاطرها ما تعيشه صديقتها أحيانا فقد بعض الأشياء نعمة لا تدركها إلا بعد أن تشاهد ما تجلبه تلك الأشياء لأصحابها، لقد كانت حزينة لأنها الوحيدة التي لم ترتبط من زميلاتها ومعارفها عندما تجلس بينهم تحس بأنها ليست مثلهن فكلهن يتحدثن عن حبيب ما، أما هي فالصمت هو العنوان أحيانا تقول لهم

: عيب يا بنات دا كلام مخجل ما بتونسوا فيه.

إحداهن: مخجل شنو نحن بنات زي بعضنا

أخري: وتاني حاجة دا شيء عادي من زمان الناس بتتكلم كده البنات لما يكونوا لوحدهن والأولاد برضو

ثالثة: ما تصعبي الأمور أنتِ ولا ما لاقيه البعبرك.

فتصاب بالهياج وحتي تبعد نفسها عن محور الونسة ونظرة الشفقة منهن تحكي قصصا من خيالها عن حبيب ليس كمثل أي ولد عرفنه، الآن كم تتمني أن يقعن جميعا في مثل هذه الجريمة حتي ترد الدين لهن.

عادت للحاضر من رحلة خيالها، الزمن يمر ربما تكون صديقتها الآن قد أصابها الملل وربما عاد إليها صاحب الركشة الذي أحضرهم سألهم بكل قلة أدب

: الأخت دي مالها نزلناها بعيد وأنتِ أقدمك لي قدام خائفة من الفي بطنها؟

كادت أن تشتمه لقد طلبت منها أن ترتدي زيا واسعا كالعادة لكنها

رفضت ذلك بل ارتدت لبسا وكأنها تريد أن تخبر الجميع إن في بطنها طفلا، عندما احتجت ورفضت أن تخرج معها بهذا الشكل قالت لها إنها تريد أن تخبره بالخطر القادم إن لم يتعاون، ولأنها تعرف عنادها وتخاف أن تتراجع في كل ما وصلن إليه فهي الآن لو انكشف أمرها ستكون ضمن أفراد الجريمة فقد مضت شهور وهي ضمن الأمر وقد يتسبب هذا في أن يصر والداها علي إرجاعها للبيت ولن ترجع للجامعة التي لم يمضِ عليها فيها شهر واحد، لقد أصر والدها عليها ألا تذهب، رافضًا فكرة الدراسة خارج الخرطوم، لكن مع إصرارها وتأكيدها أن صديقة عمرها معها وافق والدها فكيف الآن لو عرف أن صديقتها هذه تحمل طفلا سفاحا وأنها تعلم ولم تقطع علاقتها بها بل وتساعدها، أعادها سائق الركشة مرة أخري للسؤال

ردت غاضبة: أولًا أنت مال أهلك توصلنا وترجع دي كل مهمتك ما شغلتك، تاني حاجة هي متشاكلة مع حماتها فعشان كده ما حتقدر تدخل لراجلها تالت حاجه نزلني هنا لأني جني وجن البتدخل في حاجة ما بتخصو

حاول إيصالها لمكانها تماما ليشبع بعض فضوله لكنها أصرت وأقسمت له أنها سوف ترمي نفسها من الركشة واليتحمل بعدها نتيجة فعلها فأنزلها خوفا عندما شاهد الجدية في عينها.

وفي مكان قريب منها كانت صديقتها تقف أصابها اليأس، يدور في مخيلتها العديد من الأسئلة ربما رفض المجرم أن يقدم مساعدة لهم هل

حان وقت الانتحار أخيرًا؟ هي ميتة الآن بل من شهور بسبب الرعب الذي تعيش فيه، عندما يناديها والدها ولا تسمعه فيرفع صوته تقف مرعوبة تعتقد أن أمرها قد انكشف، حتي الآن غير مصدقة أنه لم يكشفها أحد، لقد أنقذتها الجامعة وكذلك مرض صديقتها، فقد أحست في الشهر الذي سبق الجامعة أن والدتها ستكشفها عند زيارتها للمنزل في أوقات متباعدة من منزل أختها لتطمئن علي وضع البيت كأي أم تؤمن أن بيتها في بعدها تنعدم فيه الحياة، ستنتحر هذا آخر رأي عندها.

نظرت صديقتها لساعتها، ساعة وثلث الساعة منذ أن وقفت هنا لابد أن تفعل شيئا ما، الأمر يحتاج لبعض الجنون والجرأة تقدمت بخطوات واثقة لمنزله تريد أن تحسم الأمر لو خرج لها أي شخص آخر غيره ستسأل عن أي اسم، ستقول إنها في زيارة له ستتحمل الأسئلة ومحاولة المساعدة السخيفة، ظلت كل عمرها تغضب من محاولة تقديم المساعدة من أحد لا يدري شيئًا عن الموضوع، لكنها الآن ستفعل من أجل صديقتها ومن أجل نفسها تريد أن تنهي هذا الرعب الذي عايشته كثيرًا وتعبت منه ملت دور الإنسانية الذي تقوم به لشهور لو عاد بها الزمن لرفضت تقديم أي مساعدة وانسحبت فلا شيء يجبرها علي أن تعيش في هذه المصيبة، ضربت الباب وأصوات أقدام تأتي لفتح الباب وأخيرًا الباب قد فتح.

- 12 -

بعد تفكير بين مني والمشرفتين اللتين كانتا تساعدانها في الرسالة علي أن يجدن حلا مؤقت حتي يمر نبيل وعلا ومن معهما من هذه الأزمة، أثبتت لها الأيام أنهم لن يستطيعوا فراقها بهذه السهولة، يجب أن تجد حلا فهى تتحمل جزءًا مما هم فيه، بعد تفكير واجتهاد وجدن حلا، إتفقن أن تأتي كل واحدة منهن الثلاثة يومين في الأسبوع في أول الأمر ثم يتم التقليل تدريجيا حتي نهاية المدة عندما طرحت الفكرة للمدير أخذ نفسًا طويلًا قبل أن يتحدث:

: والله الفكرة من حيث المبدأ ما بطالة وحقوا تعملوها الأيام حقتكم دي يوم في ويوم ما في نقول سبت اثنين أربعاء جمعة

مني: والأسبوع البعدو حيكون من الأحد

المدير: لا نفس الأيام دي ثابتة ما مشكلة السبت والجمعة مع بعض

مني: طيب أنا حأناقشهم وأكلمك

مرت الأيام شهران بعد الاتفاق، في بداية الأمر لم يتقبلا علا ونبيل النظام الجديد فيما لم يلحظ أولم يهتم بذلك كثيرًا مروة وفتحي، ثم تعودت علا علي هذا الوضع سريعًا فيما مر شهر بأكمله قبل أن يتقبل

نبيل الوضع، مني كانت تحضر كل جمعة إليهم لتتابع ما وصلوا إليه، لم يكن السبب الوحيد في هذا إنها تعلقت بالأطفال الأربعة وأصبحوا جزءا من حياتها.

أحدى المشرفتين وجدت عملا ولن تستطيع أن تواصل بنفس البرنامج المتفق عليه بعد الآن، قد تأتي يوم الجمعة من كل أسبوع إن وجدت طريقة مع أنها ستكون بحوجة ليوم العطلة لتقضيته في التجهيز لأسبوع كامل وقليلا من الراحة.

خرجت مني في أحد الجمع بالمواصلات العامة وبداخلها تفكر في ما سيحدث من الصعب أن تترك مشرفة واحدة تقوم بكل العمل فهي لن ترضى والأطفال لن يقبلوا بأخري بسهولة ثم حتي إن رضوا سيكون حلا مؤقتا يعود بعده الأمر للأزمة، هي نفسها كانت تخطط أن ينخفض العمل إلى ثلاثة أيام لكن حتي ولو تم ذلك في آخر الأمر سيكون أيضًا حلًا مؤقتا لا أحد سيستمر متطوعًا كثيرًا متفرغًا، نبيل وعلا يظهران عدم رضاهم لهذا الوضع لكن ماذا بيدها؟ الحزن القديم أكثر ظهورًا في عيني نبيل، هذا الطفل يفهم ما حوله أكثر من غيره، أخذت نفسًا عميقًا وتحدثت بصوت مسموع ما في شيء اسمه ماذا بيدي؟ لازم في حل انتبهت لنفسها عندما شاهدت جارها ينظر لها بتوجس فابتسمت له رد البسمة بأخري تحمل بعض القلق فبدون أدني شك أنه قد وضعها في قائمة المجانين، تذكرت أنها مدعوة لمناسبة إحدي صديقاتها في الحي القديم التي كانت تقطنه فأشارت إلى الكمساري أنها تريد النزول، عندما أوقفت السيارة ضرب

جارها في المقعد كفيه ببعضهما وهمم بصوت مسموع.

: ربنا يستر علينا الجن بقي ظاهرة وموضة في البلد دي

فقد دار في مخيلته خاصة وأن المكان غير مأهول بالسكان لا يمكن أن ينزل فيه أحد، والمسافة بين محطة المواصلات إلي هنا ليست بالبعد الذي يحتاج إلى وسيلة نقل عامة إلا لو كان الراكب هذا له وضع خاص.

التفتت له مرة أخري وهي ترسم له نظرة تحمل الشر ولأنها تعاملت مع المرضي النفسيين فهي بإمكانها أن تتقمص دورهم بل كانت تفعل ذلك فعلا حتي يتعاملوا معها بدون خوف، لذا بعد أن نزلت من الحافلة مدت يديها إلي الأرض وكأنها تريد أن ترفع شيئًا ثم رفعتها وأغلقت الكف وعندما مرت الحافلة وأصبح الرجل علي موازاتها تماما مدت يدها للخلف كأنها تريد أن ترمي شيئًا ليرقد هو ومن خلفه، ابتسمت بعد ذلك ثم أوقفت عربة أجرة، واتجهت إلى دار المناسبة وصلت متأخرة قدمت اعتذارها بلهجة تفهم المستمع أن هنالك أمرًا جللًا قد أخرها لكنه لا يعرفه فكلماتها غير واضحة مغلفة بهمهة وانتهي العذر بسؤال في موضوع آخر فتجبر المتلقي للاقتناع وعدم مواصلة الأسئلة، مع همهمات من خالة العروس احتجاجا علي التأخير هذا بسب إصرار أخت العروس علي أن تجهز صينية لها وحدها لكن قبل أن توضع دخلت إحدى الجارات اللاتي تعرفهن مني بعد أن تبادلا التحية جلستا لتناول الطعام

مني: والله زمن يا خالتي نجوي

نجوي: يا كعبين والله مافيكم خير معقول تطلعوا من الحي وتنسونا

كده

مني: لا والله إنتو ذات.....

قاطعتها: كيف الكلام دا نحن جيناكم أكتر من مرتين بس لما ما رديتو الزيارة قلنا خلاص ما عاوزينا حتي رسلت ليكم الدعوة لعرس نزار ولدي ما عبرتوني والله زعلت من أمك زعل

ضربت مني صدرها علامة الدهشة قبل أن تسأل

: هو بالله نزار عرس!؟ والله ما جانا الخبر وبعدين أنتِ عارفة الوالدة مع المرض بقت حركتها تقيلة ونحن مع الشغل وبراها ما بتقدر تجي

تواصل تبادل العتاب ثم تحولتا لتبادل الأخبار الجديدة والقديمة، نجوي الآن تعيش مع بنتها التي وصلت للثانوي فيما تزوجت بنتها الكبرى وولدها، شكت لها من الوحدة وإن بنتها مع الدروس والمذاكرة وقد تكون العام القادم في الجامعة بعيدًا عنها، زوجها ما زال مصرًا علي العمل خارج السودان رغم أنهما أوصلوا أبناءهم لبر الأمان ومن حقه أن يرتاح ويمكنه عمل مشروع بالسودان ليكون بجوارهم، شكت لها من إنها لا تجد ما تفعله خلال ساعات اليوم خاصة أن ابنها يصر علي أن تكون هنالك خادمة تعمل معها في المنزل، لقد طلبت منه كثيرًا أن يأتي ويسكن هو وزوجته معها فالبيت واسع إلا أن زوجته العقرب كما وصفتها رفضت، تقول إنها تريد حياة منفصلة وظلت لربع ساعة تتحدث عن هذه الزوجة التي أخذت ابنها دون مراعاة لها وأن ابنها مسكين وقع في يد من لا ترحم ولولا الشيوخ وبعض الدجل الذي تمارسه لما استمر

معها شهرًا هذا إن كان تزوجها أصلا، حكت عن ابنة أختها الخلوقة التي توضع في أي جرح يلتئم وإنها كانت تريدها له لكن المحايات والفقرة هم الذين أغلقوا عين الولد.

طوال حديثها كانت مني تهز رأسها بأنها توافقها الرأي رغم أن ما بداخلها يرفض الفكرة والدجل تماما لكن هنالك فكرة قد لمعت في راسها فجعلتها تظهر هذا حتي تكسبها بعد أن انتهت من الحديث قالت لها مني

: والله يا خالة غايتو البنات ديل الله يختهم لكن بكرة بعرف غلطتو ويجي يبكي وأنتِ ذاتك ما تقصري ممكن تطفشيها ربنا يفك عميتو، رفعت يدها مكملة حديثها قادر يا كريم.

أمنت نجوي علي الدعاء وابتسمت لحديث مني، شكرتها أخبرتها أنها تحبها ومنذ أن كانت تسكن جوارهم كانت تعبر عن ذلك وتقول عنها إنها ذات عقل يفوق الجميع ثم تلفتت يمنى ويسرى وأفضت لها بسرها إنها قبل أسبوع زارت أحد الفقراء ولن يهدأ لها بال حتي تطلق ابنها من هذه المجرمة.

بعد أنهت نجوي حديثها قالت لها مني وهي تهمس حتي لا يسمعها أحد

: والله يا خالة طول عمرك قلبك حنين وعشان كده عاوزة أديك حلا موقتا يملأ وقتك لحدي ما المحروس ابنك يرجع وبرضو في نفس الوقت تلقي من وراه أجرا كبيرا

نجوي: قولي يا بتي أنا سامعاك

حكت لها مني عن بحثها الذي قامت به وعن تخصصها وعن أطفال المايقوما وما يجدونه من عذاب وكيف يعيشون في مأساة تتكرر يوميا وإن حياتهم ستتواصل للأبد بهذا العذاب وأنها تعرفت علي أربعة منهم يحملون براءة الدنيا كلها ثم عرجت لها تحكي عن نبيل وفي آخر الأمر طلبت منها أن تتبني نبيل فسوف تجد ما تشغل به فراغها وستجد أجرًا عظيما

صاحت نجوي حتي انتبه الجميع لتسكت قليلا حتي تبعد الأنظار عنهم

إحدي النسوة: ديل لي اسي بياكلوا بالغن والله جن متأخرات وما خلن شيء

أخري: وبتعيط كده مالها اتخنقت ولا شنو؟

ثالثة: بري بري يا بت أمي يمكن الشطة حرقتها

رابعة: مخير الله لا خجل لا احترام سيبكم منهم ما نأخذ ذنبهم ساي ليتركوا مني ونجوي ويعودون في سيرة إحدي الغائبات

عادت نجوي للحديث بعد أن تشاغل الناس عنهم.

: أنا أجيب ود حرام لي بيتي أنت ما نصيحة دا كلام وأنا الأقول عنك عاقلة و..

قاطعتها مني وبدأت تحدثها عن براءة الطفل وعدم ذنبه في إن كانا أبواه للحيوانات أقرب منهم للبشر وما ينتظرها من أجر إن فعلت ذلك، في آخر الأمر طلبت مهلة للتفكير ومشاورة إبنها الأكبر.

****

فتح الباب وخرج بنفسه من كانت تنتظره عندما رأى صديقة أم طفله القادم كاد أن يقع من الخوف والغضب الذي أصابه ليقول لها بصوت عال سريعا ما حوله لهمسة خوفا من الفضيحة

: أنت الجابك هنا شنو جنيتي يا بت الناس ؟

الصديقة: أنت احمد الله إنو أنا قدرت أعقلها وأخليها تنتظر بعيد ببطنها الكبيرة دي.

: عاوزة تعملي لي مصيبة صاح وفضيحة أنا أختي في البيت اسي لو هي الفتحت كان حتقولي شنو؟

ضحكت باستهتار ثم قالت له بغضب

: يعني خائف أختك تعرف وما خائف علي المسكينة بت الناس دي الرميتها في بحر وعاوز تهرب!

: أختي .... اسي دا ما موضوعنا ثم تاني حاجة ياخ أنت الحاشرك شنو في الموضوع دا ياخ نحن استشرناك لما عملنا شيء ياخي اطلعي منها وهي بتتحل.

بنفس الضحكة: يا ريت لو استشرتوني ما كان حصل الحصل دا، حنقيف كده كتير ونتناقش لحدي أختك الخائف عليها دي تجي ولا نمشي للمسكينة الواقفة هناك منتظرة؟

لم يكن ينوي أن يذهب معها إلا أن حديثها عن النقاش الذي ربما يجعل أخته تسمع طلب منها أن تذهب علي أن يلحق بها لكنها رفضت

فلم يجد إلا أن ينفذ طلبها لكنه استأذنها أن تنتظر دقائق يدخل للدار ثم يعود.

****

عادت سيدة إلى الواقع ومازال وائل ينتظر الرد علي طلبه بأن تذهب معه مرة أخري إلى منزل صديقه أخذت نفسا عميقا، كم تحس بأنها تكره نفسها إلى أقصى حد، عادت بذاكرتها مرة أخري لقد وقعا في الممنوع ارتكبا الفاحشة وبرضائها تماما لم تمانع لقد تحول الرقص بينهما إلى شعلة جعلتهما يقعان في المحظور بعد أن عادا بعد رحلة من لحظات المتعة والشهوة الحرام كان أول من تأثر هو وائل نفسه شاهدته يبكي بحرقة بكاء ينبع من القلب ليس بكاء شخص يكذب، نعم هو أحس بالذنب، إنه أخلف وعده ووقع مع محبوبته في المحظور تمنى إن كانت رفضت الرقص أو لو كانت مانعت وتصدت له لكن كل هذا لا ينفع وقع المحظور وسوف يتحمل ذلك كرجل لن يجبن ولن يتركها فهو من قادها لهذا ضرب رأسه بالحائط حتي نزف دما كم كره في هذا اليوم هذا البيت كم تمنى إن لم يكن هذا الدار والصالون خاليا يستطيع أن يدخل في أي وقت بل كره صديقه واليوم الذي صادقه فيه، هي صامتة لم تستطع أن تقول شيئًا بعد الذي حدث، خرجت عائدة إلي بيتهم، عادت وقد فقدت الكثير وما عادت تلك البنت التي وضع فيها أهلها الثقة.

شاهدتها أمها بهذه الحالة فدخلت إليها في الغرفة.

: يا بت في شنو بتبكي؟ شكلك ما عاجبني

- 13 -

لاحظ زملاء نزار في العمل أنه يبدو في حالة صعبة يظهر عليه أن هما كبيرا يشغله، سأله بعضهم مستفسرًا، آخرون يضحكون ويتحدثون خلفه لكن بطريقة مقصود بها أن يسمعوه دون أن يستطيع الرد، كان الحديث موجه لشخص آخر، أحد الزملاء يقول ضاحكا وكأنه استمع لأحد الطرف الجديدة

: الراجل دا شكلو مرتو هارشاه ما شايفين اتغير كيف؟

ولأن الحديث دون ذكر أسماء ظل ينظر لهم فقط ووصلت بهم الجرأة أن أدخلوه بكثرة الأسئلة في حديثهم عن الزوجات والزوجة التي تطلع في رأس زوجها كما وصفوها وما رأيه.

وما يكدر عيشه ليس بعيدا عن ما يقولون لكن تختلف في الترتيب فأمه منذ اليوم الأول لزواجه أعلنت الحرب فقط لأنها كانت تتمنى أن يتزوج ابنة أختها عندما رفض تقبلت الأمر ظاهريا وقررت سرًا أن تنتقم من الزوجة، وأصبحت حياته ما بين تظلم الزوجة وهي تبكي

: ما كنت عارفة دا بحصل والله كان أحسن أقعد في بيت أبوي، سنين وأنا بحلم إنو أنا وأنت نتلم مع بعض ونعمل جنتنا بس ما كنت فاكرة

أمك رافضة زمان خالتي قالت لي أوعك تعرسي راجل أهلو ما عاوزنك، لي أنت ما وريتني إنها رافضاني؟

كل يوم أو اثنين يسمع هذا الحديث ثم أصبح الأمر أكثر خطورة، تتهم أمه بأنها تذهب للفقراء لتضرها، تقول إن الأولاد الذين يلعبون أمام البيت ويحفرون لا يفعلون ذلك إلا بطلب من أمه.

عندما يذهب لوالدته نجوي تقابله باكية بحسرة ظاهرة تقول إنها تبكي علي تعبها وتربيتها في الولد الوحيد الذي كانت تعده مع والده الذي تغرب من أجلهم ليكون سندًا لهم في أيام شدتهم، لكن يا لحظها الأسود ابنها سرقته فتاة أنسته أمه، تقول له إن حظها منذ أن ولدت أسود ثم تبكي وتنهي حديثها بأنها رغم كل ذلك عافية منه لأن قلبها أبيض وربنا يخلي ليها بتها القاعدة معاها في البيت.

كان حديثها هذا يعذبه أكثر، رغم أنه يعلم أن ما يسمعه منهما معظمه حديث لكسب تعاطفه، كان قد أعد لنفسه مطرحًا في البيت ليسكن فيه وقد رحبت زوجته أول الأمر لكن بعد مقابلة أمه رفضت بلا تفكير ليتحول حديث أمه أنها رفضت البيت لأنها تكرهها ولا تريده بجوار أمه، هو يحمد الله أنهما يسكنان بعيدًا عن بعضهما وإلا لكان الحديث والنقاش أكثر وسيتطور الأمر، ستحلف كل واحدة إن الأخري اعتدت عليها لفظيًا، ستقول زوجته إن والدته قد قطعت سلك الغسيل لتتسخ الملابس وستقول أمه إنها تقوم بزيادة الملح في حلتها لأنها تعلم إصابتها بالضغط، هذا غير تبذيرها، عندما تسألها عن تبذيرها في كل شيء تقول

إن المال مال زوجها وهي حرة.

في هذا اليوم كان يمني نفسه أن لا يحتك بأي واحدة منهما فأمامه عمل مهم يريد إنجازه سوف يتصل علي تلفون داره ويطلب من زوجته أن تذهب لبيتهم لأنه اليوم سينام خارجًا، لكن تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن في منتصف النهار أتي مديره المباشر يخبره أن مكالمة دولية من والده بانتظاره، طلب منه والده أن يذهب لوالدته بأسرع ما يمكن لينهي معها بعض الأمور كرر أن يتم هذا اليوم ويجب ألا يتأخر لأي سبب وقال له علي سبيل التحذير إنه قد اتصل علي والدته في المنزل يخبرها بالأمر وسيتصل ليتأكد من أنه قام بما طلب منه.

تحرك نهاية دوامه مجبرًا يمني نفسه أن تهتم والدته فقط بالرسالة ووصية والده وألا تتحدث في موضوع زوجته ومشاكلهما التي تحدث في خيالهما فقط، لكنه تفاجأ بأمر آخر عندما وصل

نجوي: يا نزار في موضوع مهم لازم أقولو ليك

نزار: يا أمي عليك الله الليلة خلينا منها و...

قاطعته: أنت ما عندك سيرة غير الكبيرة دي الخطفتك أنا خلاص بطلت أجيب سيرتها لإنو اسمها بجيب لي المرارة والقولون الله يجازيها كان عاوزة تكتلني

حمد الله سرًا أن الموضوع لا دخل له بزوجته وأنه لن يسمع ما يسمعه كل مرة.

: طيب يا أمي أها قولي أنا سامع.

حكت له فكرة مني عن تبني نبيل وعن رفضها مبدئيًا للفكرة تمامًا لأنها لن تجلب للبيت الطاهر حسب وصفها خطيئة، في الوضع الطبيعي سيقول لها نزار نعم العقل عقلك وسيوافقها الرأي تمامًا، لكن الآن هو في وضع آخر أنه يعرف والدته تمامًا لو أحضرت هذا الطفل ورعته سوف تنسي كل شيء آخر وربما تخفف الحديث عن زوجته والتركيز عما يفعل الطفل إن أظهر اهتمامه بالطفل فسوف تغير حديثها معه وتترك البكاء أمامه فهو يدرك أن والدته عندما تتأثر تحزن لفعل أحد أبنائها تخفي ذلك، قد تبكي إن تغلب عليها الأمر لكن من خلفهم، لذا ألح عليها أن توافق، أقنعها أن الطفل بلا ذنب، حكى لها عن الأجر الذي ينتظرها إن هي وافقت علي أن تجعله في كنفها.

نجوي: طيب بس كده ممكن زوجتك تعايرك بي ....

نزار: لا ما تخافي وحتي لو حاولت أنتِ بتعملي في شيء عظيم وأي حد ما عندو القلب الأبيض الحنين العندك أنتِ يا أحلي من في الكون حيحاول يتكلم فارغ فما تشتغلي بيهم.

****

خرج غاضبا لكنه لم يجد طريقة فها هي صديقة والدة طفله القادم من حملها سفاحا تقف أمام البيت، أخته التي يخاف عليها من كل شيء هي من تجعله أن يذهب حتي لا تسمع ما حدث لقد زاد خوفه علي أخته أضعافا بعد أن علم أن فتاته قد حملت سفاحًا أي غباء هذا أما كان عندها من العقل ما يجعلها حريصة علي نفسها حتي لا تدخلها في هذه المصيبة،

يشدد علي أخته في الفترة الأخيرة وأصبحت كل خطواتها بالحساب يعرف أن ما قام به يضايقها لكنه أفضل من وقوعها في كارثة، حتي أمه تطلب منه أن يخفف عليها لكنها لا تدري بما يحدث في الشارع لو كانت تعلم لطلبت منه أن يزيد في حرصه.

سارا معا لا أحد يحدث الآخر كل يبحر في أفكاره طوال المشوار الذي كان قصيرا قبل قليل، كانت تفكر في ردة فعله تخاف ألا يقدم لهم العون ولحظتها ستكون كارثة لا تعرف كيف تتصرف لقد أدخلت نفسها في محيط من المشاكل والآن التيار يحاول أن يجرفها وهي تقاوم .

ظهرت تقف عندما شاهدها بلبسها هذا كاد أن يقع منذ متي ترتدي هذه الملابس هل قدمت وفي نيتها فضحه وإشانة سم.....قطع حبل أفكاره بصوت نابع من داخله اسمه الضمير خاطبه وما الجديد أنت نفسك تسببت معها في دمار سمعتها وليس إشانة فقط فلتنتظر مصيرك القادم، هز رأسه محاولا طرد الأفكار ليتعامل مع الواقع الذي أمامه هل يدخل عليها واضعًا قناع الغضب من قدومها؟ أم يتعامل معها بهدوء وشفقة حتي يقنعها بالذهاب منه علي وعد لن يتحقق، حسم أمره ابتدأ حديثه عند وصوله

: دا شنو الانتي لابساه دا يا بت؟

صاحت بحسرة: بت!!!! هزت رأسها بأسف وأكملت بت دي انتهت زمان من يوم عرفتك يا إبليس

رد غاضبا: أنا إبليس ما أنت ...

الصديقة مقاطعة: إنتوا حتقعدوا تشاكلوا وتلموا الناس ولا ...

تحدث مقاطعا كأنه لا يسمع الصديقة: أنتِ زمان ما كنتِ بتلبسي كده أسي ليه؟ عاوزة الناس تشوف بطنك منفوخة؟

إجابة ببرود: كنت زمان محترمة وعندي سمعة بخاف عليها أسي ما عندي أي شيء أخاف عليه لو قالوا أي شيء عني فأكيد كلامهم صاح

أخذ نفسا عميقا احتار فيما يسمع متي تحول ضعفها إلي هذه القوة واللامبالة يجب أن يغير طريقته في الحديث معها ابتسم ثم أخفي الابتسامة سريعًا فالمكان والأمر لا يسمحان بها، تحدث بهدوء مصطنع

: أنا خائف عليك والله أي الحصل حصل لكن....

قاطعته الصديقة: خائف عليها هههههههه وين تهديدك ليها إنك لو ما رمت الفي بطنها ما عندك بيها شغلة؟ وإنك عملت العليك و..

قاطعها: دا كان كلام في حالة غضب و.... أقيفي أنتِ دخلك شنو أصلا دا موضوع بينا الاتين...

قاطعته: اسمع اعرف حاجة واحدة إنو نحن ما جايين نحنسك ونقول ليك عليك الله و..

حاول أن يقاطعها لكنها رفعت صوتها متجاهلة حديثه مما جعله يصمت خوفا من أن تعاند وترفع صوتها أكثر فتلفت انتباه الآخرين

: أنا دخلي كتير إني متحملة بلوتك العملتها لي أكثر من خمسة شهور دخلي إني الوحيدة المصبراها ومخلياها إنها تقدر تصمد ومافي زول يعرف لكن إسي جيت عشان أقول ليك من هنا ما عندي دخل وهي عارفة وما

عندك غير واحد من الاتنين يا تتصرف وتشوف البت دي حتلد كيف في أمان وبعيد من أي زوبعة وأسئلة يا كمان تتحمل العملتو وهي تمشي بيتكم وما تموت براها أولاد عمها لما يلقوا الخبر بكرة في الجرائد يجو من البلد يقتلوها هي وأنت وهي ترتاحو وتريحوني أنا دي.

- 14 -

لأول مرة يجد نبيل نفسه في جو أسري، إمرأة تقف علي راحته ليس لأن هذا عملها الذي تؤديه بمقابل وتعتبره حالة مثلها مثل غيرها، بل إنه لأول مرة يجد رعاية خاصة ليس بسبب أنه وقع عليه الاختيار لتقام عليه التجارب وإن كانت مني هي من جعلت نجوي تتبناه إلا أنه بداخله لكنه يعتبر أن نجوي هي أول أم حقيقية له في حياته، نعم ما زال صغيرا لكنه يشعر، في بداية الأمر وبعد أن فارق الدار بكى حزنا علي رفاقه فلأول مرة يخرج إلي مكان لا يعرفه ولا يصاحبه أحد الثلاثة علا ومروة وفتحي، بكي في الطريق بشدة وظل ينادي بأسمائهم، يصرخ ويبكي، مني التي بجواره تحاول أن تسكته لكنه لم يستجب مما أغضب نجوي كثيرًا حيث التفت لمني في زهج واضح:

: الود دا بعيط كده كتير؟ أنتِ ليه اخترتِ لي دا؟ أنا ما بحب الإزعاج والله أحسن أرجعو بلا فلقة رأس

مني: لا بس عشان فارق أصحابو وكده

نجوي: طيب نرجعو أسي لأصحابو يشبع بيهم ونجيب واحد تاني ما عندو أصحاب بعدين أنا ذاتي ما كنت عاوزهو لو ما أصريتو علي أنت

ونزار وأنا قلت ليك عاوزة بت هادية ورضية أنت قلتِ ولد وأنا جني وجن شقاوة الأولاد دي تتعبي فيهم وتربيهم ويمرضوك ويزعجوك لا بساعدو لا شيء ياكلوا ويشربوا وينوموا بس في البيت وبعد دا كلو ما عندهم ضمير يكبروا جزاك يجيبوا مرة تقسي قلبهم عليك اااااه، يا سلام علي البت تساعد وتغسل وتكنس وتطبخ ومهما اتزوجت أمها وأبوها ما تنساهم و...

مني: بس البت وضعها أصعب يعني الولد ممكن يندمج في المجتمع في الحالة بتاعتنا دي لكن البت كلام المجتمع عنها وعن طريقة جيتها للدنيا ممكن يخليها تمشي في طريق غلط انتقام و..

نجوي مقاطعة: خلاص اسكتي اسكتي بس شوفي لي ولد مسكين

مني: جربي دا أسبوع لو ما نفع نبدلوا

نجوي: لسه أنا أصبر أسبوع منو البساعدني أنا أكنس ولا أطبخ ولا أغسل ولا أشيلو هو ولا أعمل شنو؟

مني: بتك حتساعدك؟

نجوي: هي ها هو بنات الزمن دا بقن بنات يا حليل زمنا كان أمهاتنا ديل نخليهن يشتهن يعملن شاي ساي أصلا ما بنخليهن يدخلن المطبخ ولايشتغلن إلا بنات الزمن دا يكرهنك نضمي الدراسة والمذاكرة والشغل ما بخليني وماشية درس العصر والتقوية والبنات كلهن بعملن إلا ..

صمتت مني والتفتت للخارج كاتمة ضحكة لتناقد نجوي في أقل من خمس دقائق.

لكنه خاب التوقعات كما خالفت هي التقديرات قد ظل يبكي طوال اليوم حتي حان موعد النوم، وجد نفسه في حياة أخري قامت بتغيير ملابسه بعد أن أدخلته الحمام تغسله بماء دافئ ثم وضعته في حضنها ونامت لو كان يستطيع الكلام لقال إنه مندهش، لم ينم حتي الصباح وإن أغلق عينه استهبالا كما يفعل ذلك كثيرًا في الدار، لكنه في الدار يفعل ذلك حتي يبعد عنه الطفيليين أو إصرار المشرفة في محاولة تنويمه أما اليوم فالقصة مختلفة إحساس جديد هل يشعر بالأمان إن كان يعرف هذه الكلمة لقالها دون تردد لكنه لا يعرفها.

ظلت مني تعمل باجتهاد حتي وجدت أسرة أخري لم يرزقها الله بطفل فتبنوا مروة مع إنها كانت تريد لهم علا إلا أن زيارة الأب والأم للدار وجلوسهم مع الأطفال جعلتهم يختاروا مروة بلا تفكير قالت الأم معتذرة لمني

: والله يا دكتورة معليش ما حنشيل بتك الإخترتيها دي لكن نحن بنشيل البت التانية شكلها مسكينة ومنكسرة كده ومحتاجة زول يرعاها ما زي دي شكلها لئيمة ظاهر من وشها والله.

****

لم يجد والد الطفل القادم أمامه إلا أن يتصرف بلطف حتي لا يفتضح أمره ، هو الآن في حيه ويعرفه أغلب ساكنيه، لو سمع أحدهم كلمة لرسم له صورة أسوأ مما عليه وكتب سيناريو وتبرع بتوزيعه للجميع فالناس يحبون السوء أكثر من الخير لو فعل أحدهم عملا يستحق الثناء لقاله

أحدهم علي استحياء وما علق أحد ومن تحامل علي نفسه يقول لك: إن الله أخبرنا بأن الرياء شرا من أراد فعل جميل فليفعله بينه وبين ربه أما لو قال أحدهم كلمة سوء في حق شخص ولم يكمل يلح من معه طالبه أن يكمل حتي لو اضطر أن يكمل الباقي من خياله ليشبع رغبة مريضة عند بعض البشر لينقلوا دون طلب ما سمعوه بعد أن يدخلوه للتعديل إلى كل من يصلونه ويستطيعون.

بعد أن مرت كل هذه الأفكار التفت إليها وقال لها بهدوء

: صحبي مسافر مع أسرتو ممكن تقعدوا في البيت لحدي ما نشوف حنتصرف كيف وممكن ما تطلعوا لما أنا أتصرف

صديقتها: ودا حيستمر كم؟

: هو تقريبا عندهم مناسبة وأمو حتقعد الإجازة يعني شه... قطع حديثه وسألها طيب هي مفترض تلدي متين؟

: ممكن كمان عشرة أيام أو أقل.

أوقف رقشة دون أن يشاورهم لم يعطهم حق القبول أو الرفض وهي نفسها كانت لا تملك حلًا آخر خافت إن عارضت صديقتها يتخلى عنها متحججًا بأنه للمرة الثانية يقدم حلولًا وهي من يرفض ظلا طوال الطريق صامتين رغم أن المشوار بعيد، بعد أن أوصلهم أخبرهم أن من حسن الحظ ألا أحد من الأصدقاء يدرك أن المنزل خاليًا فقد أوصاه صديقه أن يظل الأمر سرًا حتي لا يلوث الأصدقاء البيت ويسببوا لهم مشكلة مع الجيران، أرادت أن تقول له كما فعلت أنت يومًا ولوثت بيت صديق، كيف يستأمنك

علي البيت ألا يعرف أحد أنك ذئب بشري أخطر من أي أحد آخر؟

ذهب للسوق أحضر لهم بعض المستلزمات الضرورية طلب منهما أن يكونا هادئتين وألا يعلو صوتهم حتي لا يثيرا شكوك الجيران.

الصديقة: طيب يعني ما نفتح الأنوار بليل؟ نقعد في الضلمة كيف؟

: لا ممكن تفتحوا نور البرندة أصلو الجيران عارفني إني هنا وممكن أجي بليل عشان لو حد منهم نادي ولا شيء يلقاني ولحدي بكرة أفكر في حل أتحل بيه من المصيبة دي.

بعد يومين دله أحد رفقاء السوء علي امرأة قد تساعده في هذا الأمر، ستقوم بمساعدتها مقابل مبلغ مالي كبير، لم يهتم كثيرًا فسوف يدبر المبلغ لأنه سيكون فيه حل ينتهي من هذه المشكلة، عاد إليهم وأخبرهم بذلك طلب أن تتصرف في الطفل بعد وضعه فهو لن يتحمل أي مسؤولية بعد وضوعها ولا يريد أن يعرفها بعد ذلك تقبلت الأمر دون نقاش فهي الآن تحت يده ورغم أن صديقتها تقول لها يجب أن تتعامل معه بصرامة أكبر من حالة الضعف التي فيها، فهو شريك لها وفي كل الأحوال سيتضرر إن عرف أحد من أسرته بما فعل كما ستضرر، لكنها تدري أن المجتمع سيحاسبه لأيام قبل أن ينسي ويعفو عنه وربما افتخر بما فعل أمام أصدقائه، لكنها لو حدث لها هذا إن لم يقتلها والداها فسوف تكون وصمة عار للأبد ولن يقترب منها أحد ولن تستطيع أن تحكي لأصحابها بندم دعك من فخر بما حدث هذا إذا ظلت لها علاقات.

****

ستة أشهر مرت علي نبيل وهو يعيش مع نجوي تبدل حاله تمامًا، أصبح يدرس في إحدي الرياض الخاصة وجد فرصة لا يجدها كثير غيره في هذا الزمان ومنذ اليوم الأول له في الروضة كان كثير الأسئلة لا يميل للعب كثيرًا إلا نادرًا يميل للوحدة والهدوء لكنه يتحول لشخص آخر تربى علي العنف إن تدخل أحد في عزلته هذه، كاد أن يتسبب هذا في طرده إلا بعد استرحام، بعدها اضطرت نجوي أن تهدده أنه سيرجع إلى البيت ولن يخرج منه وطلبت مني للتحدث معه، وقد كانت تزورهم كل فترة عندما قدمت هددته أنه إذا ما طرد من الروضة فسوف يرجع للدار مرة أخري فنجوي لا تحب العنف وسوف تأتي بطفل آخر من الدار.

لم يكن يثير في البيت شغبًا كثيرًا وقد وفرت له نجوي كل ما يحلم به الأطفال وساعدها نزار وزوجته فقد شغلها عنهم وعن إثارة المشاكل إلا في فترات متباعدة، كان يسأل عن أين والده؟ ولا يجد إجابة واضحة.

في أحد الأيام تشاجر مع ابن جارتهم يدرس معه في الروضة كان شجارًا عظيمًا كما يقال رغم أنهما أطفال إلا أن أم الطفل تعصبت وقالت لبنت نجوي بغضب شديد

: ما فضل كمان يدقوا أولادنا إلا أولاد الحرام، الولد أمو جابتو ساي ورمتو عشان ييجي يطلع مشاكلو النفسية في أولاد الناس.

رغم محاولة البنت بأن تنهي الموضوع دون عنف إلا أن أمها نجوي أصرت علي أن تقوم بنتها بالذهاب وضرب هذا الطفل حتي لا يقترب من أخيها مرة أخري.

- 15 -

منزل متوسط دهنت جدرانه باللون البمبي ورسمت ألعاب مختلفة وشخصيات كرتونية مأخذوة من مسلسلات أطفال كتبت عليها روضة المستقبل بالداخل وزعت بعض الألعاب وقسمت الغرف لفصول.

بالداخل يلعب الجميع ويتبادلون الضحكات تعبيرا عن فرحتهم، أطفال في مختلف الأعمار، ثم بعد قليل دخل الجميع للفصول بطلب من الأستاذة المشرفة.

في إحدى الفصول الصغار يصرخون بالنشيد المخلد في تاريخ السودان يرددون خلف أساتذتهم وهم يتمايلون:

واحد هو ربي اثنين هما بابا وماما

ثلاثة هم إخوتي أربعة هم أصحابي

يقف أحد الأطفال يصيح مصرًا علي الحديث بينما تحاول الأستاذة أن تجعله يجلس وهي تطلب منه الانتظار بإشارات من يدها لكنه لم يهتم كثيرًا بل زاد إصراره في آخر الأمر انتصرت رغبته أوقف النشيد رغم إصرار بقية الأطفال علي المواصلة دون الالتفات لزميلهم هذا.

الطفل رافعًا أصابعه الخمسة: أنا إخواني خمسة ما تلاتة وأصحابي

«بلضو خمسة أحسب ليتم»

الأستاذة: لا خلاص بس ديل القلناهم ديل إخوان واحد تاني فاااااااااااالح ما بتكلم كتير وقت القراية.

هز رأسه فهما للأمر وراحت حيرته إذا كيف تنقص الأستاذة عدد أفراد أسرته اثنين

الأستاذة: نواصل

وبدأ الصغار يعيدون القراءة إلي أن وصلوا

خمسة أصابع يدي «مع رفعهم للتأكيد علي ذلك» ستة أقوم من نومي سبعة أروح مدرستي....

أحد الصغار يحدث جاره بأنه يقوم من النوم عند السابعة وليس السادسة ويأتي إلى الروضة في الثامنة يؤكد له الجار أنه يفعل نفس الأمر

تسعة أبدأ درسي عشرة ألعب وأجري

ألعب وأجري ألعب وأجري

واستمروا في التكرار والأستاذة تحاول أن تسكتهم لتصيح بأعلي صوتها في محاولة لإسكاتهم

روضاااااااااااااااااااااتي يا روضاتي

ليصيح خلفها الكل

روضاتي تفتح بدري

أشيل فطوري وأجري

أجري تحت الكبري

استمروا يرددون الأناشيد حتي حان موعد الفسحة جلس نبيل مع أحد أصدقائه يتناولان معًا الإفطار ليحضر بعد قليل ابن جارهم الذي كان قد تشاجر معه قبل أيام وخلفه اثنان ليصيح فيه:

وي وي وي وي وي وي

يصفق الاثنان اللذان يقفان خلفه فيما يواصل هو ليكمل:

نبيل دا لقوهو واقع في الكوشة

وي وي وي وي وي ، مع صوت الصفقة.

****

لم تخبر سيدة أمها أنها خيبت أملهم وخانت ثقتهم اليوم لم تقل أنها فقدت حياها ونست أن ربها ينظر إليها لم تقل لها أنها من الآن أصبحت بلا شيء تخاف عليه فقد فقدت في لحظة متعة عابرة شرفها مع شيطان بشري وسوس لها حتي جعلها تقع في المحظور، لم تقل لأمها إنها تبكي نفسها وتنعي الفتاة الطيبة سيدة، مع إصرار الأم قالت:

: من الصباح كنت زهجانة شديد وبعد مشيت المدرسة جاني طمام ووجع بطن وحاسة بتعب و...

ضحكت أمها قبل أن تقول لها

: طيب كان تشيلي إذن وتجي البيت ذكرتيني زمان لما كنت صغيرة بس ما كنت بدرس وأول مرة تحصل لي الحاجة دي جيت لأمي ببكي وقعدت أشرح ليها كان في خالتي وحبوبتي وأبوي أمي جرتني شاكلتني وقالت لي أووع اسمع تاني تقولي كده قدام زول

خرجت أمها للمطبخ، زاد بكاؤها لا تعرف أتبكي لأن أمها لم تهتم كثيرا أم لأن أمها مازالت تضع ثقتها فيها وتظن أنها إنما في طور المراهقه وتمر بالتغيرات الطبيعية، لقد شاهدت وائل يبكي بحرقة ويضرب نفسه بالحائط حتي نزف دما وهو يشتم نفسه ناعتها بأنه كلب لا يستحق العيش، لم تعرف كيف تتصرف لحظتها مع مصيبتها أم مع هذا الذي يقف أمامها؟ كانت تبكي وهو يبكي ويحاول أن يهدي روعها ثم يعود ويبكي مرة أخري ووسط بكائه

سألته: ليه يا وائل ليه عملت كده؟

وائل: ا...ا.. اااااا نا أنا أنا ثم عاد مرة أخري يبكي بحرقة أعلي

سيدة: أنا بسألك بعدين بكاؤك بصوت عالٍ كده حيخلي ناس البيت يسمعوك

وائل: أنا اس اس اس آسف يا سيدة و..

قاطعته: تفتكر آسف حتنفع بعد ضيعت نفسي ومستقبلي وثقة أهلي أنت ظهرت لي من وين؟ ليه ما عندك أخت حترضي ..

قاطعها: سيدة أنا عمري ما حاسيبك وصدقيني مستعد أتزوجك في اللحظة التقولي آجي بيتكم آجي حاصلح العملتو ما حاكون جبان.

لم ترد عليه وطلبت أن يذهب بها إلى البيت فورًا لم يجد إلا أن يستجيب لها، غسل وجهه وحاول إيقاف النزيف ثم أخرجها لكنه عاد بعد أن خطى خطوات قليلة من الباب لأن النزيف لم يقف ولا يريد أن يجتمع الآخرون ليسألونه عن الذي حدث.

مر أسبوع ولم تشاهده كانت تتوقع هذا فبعد ما فعله لن يظهر مرة أخري لها هي وحدها الغبية كلهم يفعلون ذلك يترددون وباسم الحب يرتكبون الفاحشة ثم يهربون ولن يقتربوا ممن وقعوا معها في الجرم عند التفكير بالزواج وتكوين أسرة كانت تسمع حكاوي من هذا النوع والآن أصبحت هي التي تعيش القصة، هي من سيحكي عنها بهذا، عند هذه النقطة نزلت دموعها أكثر وأكثر.

سألتها صديقتها عن الحزن الذي تعيشه بعد أن كانت تطل السعادة من عيونها هل تركها وائل أم اكتشفت خيانته لها كانت تتمنى أن تقول لها يا ليته فعل أيا من الاثنين لكنه فعل ما لا يمكن تصليحه فلو ذهب لوجدت غيره وإن خانها لتركته دون تفكير لكنه أخذ كل شيء مسحت دمعها، سؤال يتكرر في رأسها هل سيحكي لشلته ما حدث؟ أيحكي مفتخرا أنه استطاع أن يدمر حياة من يقال إنها عنيدة؟ هل قال لهم إنها الآن لا تملك ما يجعلها تواصل العناد؟ كانت مجبرة علي أن تظل قوية داخل البيت حتي لا تجعل الشك يدخل لأحد أفراد البيت تمسك بالكتاب أكثر مما مضي يظن والدها وإخوتها أنها أخيرًا استجابت للنصح، قال لها والدها إنه يثق بها ويعرف أنها لن تخيب ظنه وستجتهد كثيرا، حديثه أصابها بالحزن أكثر غالبت الدمع حتي لا يشاهدها منهارة، يا ريت إن كان مسكها للكتاب مذاكرة فهي لا تقرأ الحروف لكنها تقرأ تفاصيل ذلك اليوم.

****

لو لم تحضر الأستاذة مسرعة لكان نبيل قد قتل هذا الطفل وحتي

بعد أن أبعدته منه ظل ينظر له نظرة غضب تقول الأستاذة إنها تشك أن تكون نظرة طفل تعدي الرابعة بشهور فقط، ومنذ ذلك اليوم أصبحت العداوة بين الاثنين لا تحتاج لمن يحكي عنها، حتي في اللعب كان يتعمد نبيل أن يحول اللعب لألعاب بها اشتباك أو بتعمد تخريب لعبة له، الطفلان اللذان كانا مع الطفل يصفقان ارتعبا، بل كل الأطفال أصابهم الرعب ولم يستطع أن يتعرض له أحد بعدها أو حتي يفكر مجرد تفكير، ولأنه مخطئ لم تجد الأستاذة ما تفعله ولا أم الطفل فإن استدعت نجوي ستدرك أنها مخطئة وأنها تتحدث عنها من خلفها وإلا كيف عرف الطفل هذه المعلومة؟ هي تدري كم هي شريرة نجوي هذه؟ يعمل الجميع حسابهم منها، لذا لم تجد إلا أن تأخذ ابنها لروضة أخري بعد أن تفهمت إدارة روضة أخري الظروف التي حكتها لهم من خيالها وحمدت الله كثيرًا أن نبيل لم يحكِ لنجوي بالأمر، الأستاذة نفسها ارتاحت بعد نقل الطفل فقد كان الأمر كأنبوبة البوتاجاز التي يدرك الجميع أنها ستنفجر في أي لحظة.

بدأ نبيل يتذكر إخوته الذين كانوا معه في الدار علا وفتحي ومروة قال لنجوي في أحد الأيام قبل العشاء

: ماما نجوي أنا عاوز إخواني عاوزهم بس

نجوي: إخوانك منو كمان؟

حكي لها عن من يقصد ومع إصراره ليومين قامت بالاتصال بمني التي حضرت، ذهبت للدار وتأكدت من وجود فتحي وعلا أما مروة فقد أخذتها أسرة ولم تتصل بهم منذ أن خرجوا، قالوا إنهم لا يريدون أي

شيئا يفكر مروة بالدار وتاريخها هنا فهما يريدان تربيتها علي أنها ابنتهما رغم أن للدار شروطًا منها أن يتم إخبار الطفل في الخامسة أن له أبا وأمًا وبالتدريج حتي يصل للحقيقة كاملة، قامت مني بطلب زيارة له وافقت أسرة الدار التي كانت نفسها تتابع نبيل شهريًا بواسطة إحدي المشرفات وكانت الإدارة راضية تمامًا عن ما تفعله نجوي، ليجد نفسه في صباح أحدي الأيام ومعه مني ونجوي داخل الدار في الطريق حكت نجوي لمني أن نساء الحلة أصبحن يتاهمسن سرًا عن نبيل وتخاف أن يصل إلى سمعه شيء مما يقال.

- 16 -

قضت مني ونجوي برفقة نبيل يومًا ممتعًا في اللعب، أحضروا معهم للدار بعض الاحتياجات كمساعدات للأطفال، لعب نبيل كما لم يلعب من فترة أحس بالأيام الخوالي عندما كان أحد أفراد الدار، فقد كان يحن كثيرا لعلا وفتحي ومروة. وجد أن مروة غير موجودة فقد وجدت أسرة مثله، تغلبت نجوي علي ما بداخلها في أول الأمر حيث إنها كانت رافضة زيارة هذا المكان، كانت تريد أن تمحو من نبيل كل ذكرى تجمعه بهذا المكان لكنها لم تستطع مع إصراره بالقدوم للدار. طلبت مني من إدارة الدار النصح لها ولنجوي فقال لها المدير

: نحن طبعًا متابعين الطفل دا معاك يا نجوي والحمد لله هو طول الفترة دي كان في أحسن حالاته وكمان اهتمامك بيه خلاك توديه روضة خاصة وكده ودا بأكد إنو أنتِ أمينة عليه ولو ما القانون بقول نتابعوا الخمسة أعوام الأولي ليه بعدين نحن برضو عندنا بعد دراسة نقطة إنو الأسرة البديلة هي التقوم توري الطفل بالتدريج وضعو شنو بدل إنو يسمع دا من الشارع لأنو حيكون موقفو صعب لإنو الشارع حيعايروا والأسرة البديلة حتوريه المعلومة دي بهدوء وبالتأكد حتشرح ليه إنو ما

عضو فاسد في المجتمع بل جزء مقبول فيه ومهم وإلا ما كان الأسرة دي قبلت بيك، وأنتِ لازم توريه لإنو زي ما سمعت إنو في طفل قال ليه إنك رموك في كوشة ودي بداية يعني حقو تسبقو الشارع.

هزت مني ونجوي رأسيهما دلالة علي الموافقة.

لاحظت مني أن الفترة الأخيرة التي غابت فيها زاد بشكل واضح عدد الأطفال لهذه الدرجة إذن المجتمع يسرع في الانحلال اين الواعظ الديني؟ ألا يوجد أحد يقف ويصرخ ويجعل هدفه نصح الآخرين، لقد بكت حتي بح صوتها عند مشاهدتها إحدى الطفلات رغم أنها شاهدت كثيرًا في فترتها التي كانت هنا قبل حصولها على الماجستير، طفلة حاولت أمها خنقها لتموت فلم تفلح فكونت لها خطوطًا بحبل في رقبتها وحاولت كسر رقبتها لكنها أيضًا لم تفلح فقد كانت حكمة الله وقدرته بأن تعيش، في هذا اليوم ظهرت أم لأحد الأطفال عاد إليها قلبها فقد قررت أن تواجه المجتمع وألا تترك طفلتها التي وضعتها سابقا هنا، تحدث في كل فترة مثل هذه الأمور أماً تأتي لتأخذ طفلها بعد أن تدرك الأسرة الجريمة التي وقعت فيها بنتهم أو عودة ضمير للأب فيأخذ ابنه ويتزوج أمه ليحاولا معًا التكفير قليلًا عن حق الطفل ويبقى حق الأسرة التي خاناها فما لها تعويض.

في نهاية اليوم تفارقوا بالدموع فقد كانت علا تمني نفسها بأن تجد لها مكانا مثل نبيل فقد تغير شكله كثيرا، لبسه وشكله بعد أن فارق الدار ويبدو أنه فارق معه الحزن، كم تكره مني هذه رغم أنها كانت تحبها لأنها

تركتها وفتحي وجعلت نبيل ومروة يغادران دونهما بعد فراقهم رفضت اللعب مع الجميع إلا في أحيان قليلة مع فتحي وحتي فتحي نفسه سيغادر الدار قريبًا فقد سمعت أنه سيذهب به رجل ليعلمه القرآن.

وما سمعته كان حقيقة فقد قام بعض الشيوخ من إحدي الطرق بزيارة الدار وفي آخر اليوم تكفل شيخهم بأن يقوموا بأخذ خمسة أطفال من الدار ليبعثوهم لمنطقة همشكوريب ليحفظوا القرآن هنالك، شيخ الخلاوي في همشكوريب متكفل بكل من يأتي لحفظ القرآن لم يرفض المدير فقط طلب منهم أن تأتي الموافقة من وزارة الشؤون الاجتماعية وفي أقل من أسبوعين كانت الدار قد استلمت الموافقة ولم يبقَ إلا أن يأتوا ليأخذوهم فقد كان فتحي ضمن الخمسة الذين اختارهم الشيخ لحسن حظه.

لا تعرف ماذا ستفعل هي إن كانت هذا حقيقة لن تظل للأبد هنا ستلحق بهم لا تعرف كيف لأنها صغيرة لكن لن تظل هنا وهي تعرف أن الكل يكرهها لا أحد يحبها وإلا لكانت الآن مثل غيرها فكثيرون خرجوا من هنا لمكان أجمل لا تعرف أين هو؟ لكنها متأكدة من ذلك ونبيل أمامها الآن لا تملك إلا أن تبكي أو تمتنع عن الأكل أو تقوم بالفوضي لأنها صغيرة.

مرت الأيام وأصبح نبيل في السادسة من عمره أدخل إلي إحدى المدارس الخاصة عاش في نعيم وكان الحظ يريد أن يعوضه قليلا عن الأيام التي عاشها.

أتي اليوم الذي إتفقت فيه نجوي ومني علي أن يتم البدء في الحكي لنبيل

عن حقيقة الأمر، قالا له إن له أما وأبا مثل بقية الأطفال سأل عن مكانهما فكان الرد أن الأب قد سافر إلي بلد بعيد بكي كثيرًا لأن أباه لا يحبه، حاولا إسكاته وبعد جهد كبير صمت رغم أنه لا يدري كيف للأب أن يسافر دون أن يأخذ أبناءه لكنها حكت له عن والد نزار سافر وترك أبناءه هذا جعله يهدأ قليلا فهو منذ أن حضر إلى هذه الدار لم يشاهد والدهم إلا علي الصورة فقط إذن كل الآباء يفعلون ذلك يسافرون إلي مكان مجهول، لكنه يسمع أن أباهم يرسل لهم أموالا كما تقول بنته ثم إن له صورة كبيرة في هذه الدار وهو لا يملك أي صورة له، التفت لمني

: يا ماما مني طيب خلاص عاوز صورة لأبوي زي ما ديل عندهم صورة أبوهم سافر بس خلي صورة كبيرة في البرندة.

قبل أن يرد له أحد علي سؤاله الذي لا تملكان له إجابة أتاهما الإنقاذ حيث دخل في هذه الأثناء نزار برفقته وائل

صاحت نجوي واااااااااااااائل

****

لقد حصلت والدة الطفل القادم علي أغاني لعبدالحليم حافظ تحمل الحزن في أول يوم لها في هذه الدار قامت بتشغيلها علي جهاز هيتفون تحمله لعل ما بها يخف قليلا، هم لو كانت الجبال من ترفعه لرمته بعيدا.

ظاااااااااااااااااااااااالم

ظالم دا أنت كان حقك تبكي

الهنا من يوم ما هويتك ما عرفتلوش معني

والحب يا ريت يوم ما رأيتك يا ريت ما جمعنا
كانا هوايا كله أنت كان منايا برضه أنت

طلبت منها صديقتها أن تترك هذا المسجل فهي تحمل ما يكفيها من عذاب لكنها لم تهتم بها بل واصلت في الاستماع

ظلموه
ظلموه ظلموه القلب الخالي ظلموه ظلموووووووووووه
قابلو شبكوه وارتاحو لما شغلوه
وعدوه يزوره ونهار ما افتكروا يهنوه
نسيوا وفاتوه وأتاريهم قبل ما ينسوه
ظلموه ظلموه
طول عمري قلبي خالي ويخاف من الغرام
من كل رمش جارح في نظرة وابتسام

دخلت في نوبة بكاء حار، كان يقف في نفس الوقت يسمع الصوت الخارج من الهيتفون، تأثر بما يسمع لكنه لا يعرف ماذا يفعل ظل يمشي في الحوش تمنى لو يستطيع إسكاتها هو غير قادر علي هذه الكلمات.

حاولت صديقتها

أن تمسح دموعها لتسكت لكنها أصرت لم تجد إلا أن تجري له في الصالون لتطلب منه أن يسرع ليسكتها حتي لا يرتفع صوتها ويسمع الجيران، حضر وكأنه قد وجد الفرصة قام بإغلاق الهيتفون وإخراج الكاسيت ثم طلب منها أن تصمت شرح لها الموقف بأكمله ثم قال لها

بهدوء وكأنه ملاك لم يكن شريكا لها في هذه الجريمة

: أنت الأفضل أسي تقومي تتوضي تصلي ركعتين لربنا وادعيه يساعدك وإن شاء الله كل شيء حيمشي تمام ما تخافي

أرادت الصديقة النوم لكنها تذكرت الموقف الذي أدخلت نفسها فيه، كيف لها أن تنام في بيت مثل هذا، بنتان وولد لا تجمعها به علاقة؟ وأي ولد هذا شاب ينتظر أن تضع من ارتكب معها المعصية طفلا بعد أيام، رجل غير أمين بكل ما تحمل الكلمه تبًا لها وتبًا لكل ما جعلها تنقاد وراء هذا الأمر الذي اختلط عليها خوفها على صديقتها مع رغبتها في الانتقام، ظلت طوال الليل مستيقظة حتي حركة القط تجعلها تقف علي أهبة الاستعداد أحضرت سكينا تحملها شاهدها تحملها من المطبخ سألها

: دي شنو؟!

رفعتها في وجهه وحركتها يمنى و يسرى قبل أن تقول له:

: سكين

: سكيييييين!! لشنو يعني؟

: ما معروف الظروف لازم يكون معاك شيء تحمي بيه نفسك.

: يعني أنا هنا ما كفاية؟

: أنت الخوف أصلا وما أظن في شيء أكتر منك أنت أخاف منو

: لي معقولة أن...

قاطعته: لي ما معقولة؟ كفاية الشفتو في صحبتي وقالوا المحظوظ يشوف في أخو

تركته وذهبت دون أن ترد عليه.

****

وائل في المستشفى طريح الفراش هكذا عرفت بعد أسبوعين من الحادث أو الكارثه التي وقعت فيها معه ظنت في بداية الأمر أن للقصة علاقة بالنزيف لكن أدركت من صديقتها سعاد أنه مريض لأنه لم يتذوق طعم الأكل لأيام ظنت سعاد أنهما تشاجرا وانفصلا فعاد عليهم الأمر وبالا، نصيب سيدة كل هذا الحزن وكان نصيب وائل المرض سألتها سعاد :

: حرام عليك الولد راقد في المستشفى ..

قاطعتها: حرام علي منو يا سعاد علي أنا دي حرام عليه هو سرحت مع خيالها أن سعاد لا تعرف ما حدث لذلك تتحدث وكأنها في فيلم لعاشقين ارتبطا حتي أصبح فراقهم يعني الموت

سعاد: لما أنتوا الاتنين ما قادرين علي دا طيب ليه انفصلتوا.

وكأنها لم تسمع السؤال إذ إنها بادرت بسؤال آخر

: أنتَ القال ليك منو؟

سعاد: صحبو والله زعلان عليه وقال لي قولي ليها معتصم بيقول ليك وائل عمرو ما حب بت بصدق لما يحبك تبقي ليه سبب..

لم تسمع بقية الحديث فقط أتتها فكرة واحدة أنها لابد أن تزوره فقد مرض بسببها حزنا عليها بل حتي ما وقعا فيه كان مشتركًا فهو لم يجبرها بل أوصلهما الشيطان إلي حالة الشهوة معًا ووقعا في الحرام خرجت مسرعة تاركة زميلتها.

- 17 -

لم تصدق نجوي أن وائل يقف أمامها الآن، متي عاد؟ لقد اختفي طوال الأربع سنين التي مضت، كلما تسأل عنه لا تجد جوابًا مفهومًا يتحاشي أهله الحديث عنه، تقول أمه أنه سافر ليعمل في الجنوب وتتحدث عن تجارته التي ازدهرت وعندما تسأل أخته تشاهد نظرة الحزن والانكسار قبل أن تقول إنه سافر مع جماعة باكستانية يخرجون في سبيل الله لكن عندما تقول لها إن الخروج في سبيل الله لا يكون أكثر من سنة ترد بكلمات غير مفهومة، لو سألت أمه نفسها مرة أخري

:خبر ولدكم شنو في الجنوب؟

يأتي الرد لا ما هو خلي الجنوب ثم تتلعثم في الحديث إذ سألتها أها بعد داك مشي وين؟ قبل أن ترد والله قالوا مشي ليبيا بالتهريب وما منو خبر تحاول أن تواصل في الحديث تتغير حالتها وتقول بغضب في شنو يعني ما كل الناس دي قاعدة تمشي وتغيب؟ أسي عليك الله مرتضي دا ما ظهر بعد عشرين سنة محلو وين ما كان معروف؟ و.....ثم تعدد لك من يعرفونهم وقد اختفوا خارج السودان وخارج ليبيا بل إن نجوي نفسها لها شقيق خرج قبل سنوات ليعمل في سكر عسلاية وإختفى بحثوا عنه كثيرا دون

أي فائدة، لم تقتنع بالحديث لكنها لا تجد غير الصمت مع أن أسئلة كثيرة تدور في رأسها، آخر مرة شاهدته في زواج أخته، إختفى بعدها، ما الذي جعله يختفي هكذا رغم أنه ذكي وكان قاب قوسين علي إنهاء الجامعة؟.

والدة وائل ونجوي بنات خالات يتواصلن علي فترات متباعدة يقلن إن ظروف الدنيا والحياة التي يرمي عليها الناس كل شيء هي السبب، وائل أكثرهم تواصلًا لم يكن يغيب أكثر من أسبوعين، مرت كل هذه الذكريات وهي تشاهد وائل أمامها يدخل مع نزار

نجوي: وائل وين أنت يا ولدي؟ أصلو ما مصدقة عيني والله

ابتسم وائل ابتسامة باهتة قبل أن يمد يده لها مصافحًا مع رده

: والله مع جري الدنيا بس يا خالتي.

جذبته إليها واحتضنته قبل أن تقول

: دا شنو السلام البارد دا أنت قائل نفسك كبرت علي يا ود أختي؟ بعدين دا شنو الكلام الماسخ دا جري الدنيا أنت أربعة سنوات مافي تجي تقول لي جري الدنيا!

أخذ وائل نفسًا طويلًا قبل أن يقول

: والله دا كلام كتيييييير وقصة أكبر ليها وقتها كده أسي خلونا في أخباركم أنتو

نزار: أمي حنقيف كده كتير أنا رجلي تعبت!

نجوي: لا نقعد

جلسوا جميعًا وقفت مني ألقت التحية قبل تستأذن وتخرج

نزار: استاهل شنو يا أمي طبعا لقيتو صدفة وبعد تعب حتي وافق يجي معاي.

نجوي: والله تستاهل البتطلبو يا ولدي لكن كدي ليه هو ما كان عاوز يجي؟ وكمان دا شنو الحصل ليك دا؟ معقولة أربع سنوات تكبرك كده! يا ولدي والله دا مبالغة عديل أنت كبرت عشر سنوات عديل كده

ابتسم وائل ونظر إلى أعلي وأخذ نفسا حارا ثم التفت إلى نجوي واصفا بيده

: طيب ممكن كوباية شاااااي من حقتك الزمان ديك

****

وصلت سيدة إلي المستوصف كان وائل يرقد يظهر عليه التعب والألم كأنه مريض منذ شهور، يقول الطبيب إنه مصاب بانهيار عصبي، زاد الأمر عليه أنه مصاب أيضا بضعف دم وهبوط حاد تقول أمه إنه رجع قبل أيام ورأسه مصاب حاولت أن تعرف السبب لكنه كان يقول إنه وقع بسبب قشرة موزة وجدها علي الأرض ولسوء حظه كان هنالك حجر إصطدم به، دخل غرفته رفض يومها الأكل في الصباح زاره أصدقاؤه حاولت أن تعرف منهم ما حدث قالت لهم

: الولد صاحبكم أمس رجع راسو معور سألتو قال زحلقتو موزة و..

قاطعها لؤي: هههه يا خالة ولدك مشكلتو ما بشوف تلقي ماشي وبحلق فوق عندو شنو ما عارف!

معتصم: ياخ دا أكتر من مرة كان حيقع في حفرة ربنا يعينو

: طيب مالو الولد دا دخل جوه ما طلع من أمس أكل ما أكل ياخ الحمام دا لا مؤاخذة ما طلعو!

معاذ: يا خالة بسيطة دلع ساي بنخلي أسي يقوم زي الحصان

دخل له أصدقاؤه كان جالسا شارد البصر تظهر على خدوده آثار الدموع

معاذ: في شنو يا أخونا مالك أمك واقفة بره بتقول إنك وقعت وكده؟

لؤي: قول لي منو الضربك؟ والله أعمل فيه عملية عمرو ما شافها، صحبي أنا يدقو وأنا قاعد ما بتجي والله عفو.

وائل: مافي حد ضربني أمي ورتكم وقعت موزة رمتني زول غبي رماها في الشارع ..

قاطعه معتصم: معقولة هههههه دا تقولو لزول غيري بعدين بتبكي الحاصل شنو؟

ساعة كاملة لم يستطيعوا أن يخرجوا منه بمعلومة خرجوا غاضبين لم يهتم بهم كثيرا مر يومان وثلاثة، حللوا أن الأمر له علاقة بسيدة هل شاهدهم أخوها معا فقام بضربه علي رأسه حتي نزف؟ أهو خجلا من سيدة لأنه ضرب أمامها؟ لذا ترك الطعام والخروج، أم ماذا؟ هل تركته سيدة وذهبت لغيره وهذا سبب نظرة الحزن؟ لقد أخبروه أنه لا توجد فتاة تستحق حبه المخلص، لكنه أصر ربما هو الانتقام من لعبه بكثير من الفتيات.

زاروه بعد أسبوع بعد أن قرروا ألا يهتمو كثيرًا به حتي يخرج لوحده

لكن بعد أن طال الغياب غيروا رأيهم وجدوا أمه تبكي، فقد ظل لأكثر من أسبوع يعيش علي الماء وقليل من الطعام، ما الذي حدث؟ حاول الوقوف ليسلم عليهم لكنه وقع، علل ذلك بأنه يشعر بلفة رأس وصداع جروا به للمستوصف ليكتشفوا إصابته بضعف نتيجة لعدم أكله لفترة.

إبتسم عندما شاهد سيدة تقف داخل العنبر حاول الوقوف لكنه لم يستطع لتسنده أخته ووالدته تصل سيدة تمد يدها بالسلام

: كفارة ليك يا وائل كفارة ليه يا خالة

وائل: كفر الله سيئاتك يا سيدة

ردت لها والدته السلام وشكرتها وهي تنظر لوائل تريد أن تعرف من هي ليقول لها سيدة

: يا أمي دي سيدة زميلتي

تبادلت معهم الحديث رغم أن والدته كانت محتارة أن تكون سيدة زميلته في الجامعة عمرها أقل من ذلك لكنها صمتت ستسأله بعد خروجها، حكت لها والدته عن عدم أكله وما يمر به

سيدة: أنت صحي مالك ليك قرابة الشهر أكلك ما عاجبني؟ التفت لوالدته وواصلت

: يا خالة في شنو بياكلو هنا؟

والدته: في والله شوربة حمام ولحمة وموز وقريب، النعم راقدة بس هو ياكل كيف؟

أخذت منها وأجبرته على الأكل رغم محاولات رفضه الكثيرة لكنه

وافق في آخر الأمر، زيارتها له غيرت الموقف لقد سامحته أشفقت عليه، ما أصابه جعلها تنسي كل شيء سوف يصلح ما ارتكبه من أجلها هو ما زال يحبها وما حدث لم يكن إلا لحظة ضعف عابرة.

****

ظل وائل لأكثر من ساعة يحكي لنجوي ونزار ما مر به، حكى لهم عن سفره لإحدى مناطق الجنوب ثم حدثت معركة جعلتهم يهربوا جميعا سيرا علي الأقدام لمدة أسبوع ظلوا يجروا ثم يقفوا لأخذ قليل من الراحة ثم يواصلوا يأكلوا من الشجر، ولحسن حظهم تتوافر الفاكهة في طريقهم غابات من أشجار مختلفة ضمنها المانجو والأناناس ليجد نفسه ومن معه في آخر الأمر في الحدود، ثم قامت جماعة بضربهم هنالك ليموت أغلبهم فيما استطاع هو وزميل آخر كان يعمل معه بالتجارة بالعبور إلي يوغندا وظلا هنالك في معسكر لأكثر من شهرين يتناول وجبة واحدة يوميا قبل أن يستطيع الهروب مع جماعة أخري ليكتشف أنهم يتبعون جماعة متمردة، شهر آخر قضاه بينهم كان يتوقع في أي لحظة أن يقتل، لتحدث معركة في أحد الأيام استطاع أن يخرج حيًا ويهرب.

كانت نجوي تنظر له وهي تستمع بعدم تصديق لحكاياته التي هي أقرب للخيال حتي ولو كانت حقيقية، كيف مضت أربعة أعوام وما قصه لا يكمل العام؟ سألته عن بقية المدة سرح بخياله وظل صامتا كأنه يتذكر مواقف أليمة مما جعل نزار يقول

: لو ما عاوز تحكي ما مشكلة مصيرنا نعرف منك شكلك تعبان أسي

طوال المدة ظل نبيل جالسًا بعيدًا عن الأحداث يستمع بهدوء دون أي تدخل تمني في بداية الأمر أن يكون الغائب هذا أباه لكنه قال لنفسه أبوي نظيف وحلو ما زي دا شعروا كتير وهدوموا ما حلوة ومكرفسة، طالت المدة عليه ليهب واقفا ويصيح:

ماااااااما ماما

وقف وائل بدهشة بعد أن شاهد الطفل التفت لنزار

: دا ولد منو دا؟

- 18 -

بعد أسبوع من زيارة سيدة، عاد وائل كما كان فرحت والدته كثيرًا بينما لم يحتر أصدقاؤه فقد كانوا منذ البداية يعتقدون أن سيدة لها دور في مرضه وأن عودتها ستعيده لطبيعته، حاولت والدته استدراجه لمعرفة من سيدة هذه خلال هذا الأسبوع كانت تسأله كل يوم

: يا ولد يعني ما حتوريني منو البت دي؟

وائل: معقولة يا أنتِ يا أجمل أم في الدنيا حاوريك طبعًا

: طيب قول لي يا عيون أمك

وائل: زميلتي في الجامعة

الأم بصوت عالٍ غير مصدق: دي!!

وائل: أيوه دي وراي بسنة أقصد ب ب سنتين

أخته: يا ود يا حبيب أنت

وائل يحمل المسند ويرمي به اتجاه أخته صائحًا بغضب

: أنتِ يا بت عندك هنا شنو؟ وكمان واقفة تتلامضي قدامي!

تجري خائفة ويجري خلفها لم يكن هدفه ضربها لكنه يريد الهرب من والدته التي تحاول أن تهدي من روعه وعصبيته ناحية شقيقته لكنه لم يهتم

كثيرًا، ثم يخرج غاضبا بعد أن منعته والدته من أن يضرب أخته، وهذا ما كان يريده للهرب.

في يوم آخر يجلس علي كرسي في الصالون، المسجل بالقرب منه يستمع لأغانى عبد الحليم حافظ

أحبك كلمة بقالها أيام وليالي يدوب فيها
عايزة تروح لك وأنت
بعيدة عليه دي الكلمة إلى أنا
عايش بيها وحادوب كل الشوق
فيها راح أقولها وأعيدها وأغنيها

دخلت عليه والدته ألقت عليه التحية وجلست خفض صوت المسجل، رد عليها التحية

الأم: أها ما حتقول منو البت الخلتك تبقي كويس ومخلياك أسي تسمع أغاني كمان؟

وائل: ما قلت ليك.

الأم: وأنت فاكرني حاصدق القلتو؟

وائل: أمي صدقيني أنا ما عندي شيء أقولو تاني

خرجت الأم دون أي حديث، فيما رفع صوت المسجل ليأتي صوت عبد الحليم

وأنساك وتريني بأنسي جفاك
وأشتاق لعذابي معاك

وألقي دموعي فاكراك أرجع تاني
في لقاك الدنيا بتجيني معاك
ورضاها يبقي رضاك

دخلت أمه مرة أخري نظرت له مدة ثم اقتربت وأغلقت المسجل وقف ينتظر ما الذي ستقوله والدته التي عادت بعد لحظات بل وأغلقت المسجل

: براحتك بس اعمل حسابك اوع تفكر إنك ممكن في يوم حتقول ترتبط بي البت دي

: ليه يا أمي؟

: عشان ما في بت ناس بتجري ورا واحد المستشفى كده يومي من غير رابط وبراها وقدام أهلو وتقعد تتضاحك لو كان قريبتك بتجي مع أسرتها كان ممكن نقول معليش، لو كانت زميلتك كانت جاءت مرة ومشت مش عملتها سكة كل يوم تجي أربع ساعات بدون ولي يسأل منها، ضربت كفيها معا وأكملت زمن..

****

نجوي: حاحكي ليك بعدين يا وائل
التفتت لنبيل وابتسمت له قبل أن تقول له

: يا نبيل تعال سلم علي خالك

مد نبيل يده ناحية وائل ظل وائل للحظات ينظر إليه مستعجبًا قبل أن يمد يده ويصافحه

نبيل: أنت لي وسخان كده يا خالو؟

لم يرد وائل، كأنه كان في حلم واستيقظ ليكتشف أنه فعلا بمنظر كان هو نفسه يخجل منه قبل سنين، كان يعود للبيت لمجرد نقطة عصير بالخطأ وقعت في كم قميصه، كم تغير الزمن وتغير كل شيء للأسف ضاعت حياته وضاع، هب واقفًا دون أن ينطق بكلمة وخرج مسرعًا لم تفلح محاولات نجوي ولا نزار الذي جري مسرعًا ليلحق به، لأول مرة تجد نجوي أن الكلام لوحده غير مجدي مع نبيل فتقوم بضربه حتي البكاء.

****

مضت الأيام أكمل نبيل عامه السابع، وصل إلي الصف الثاني أساس، ضمن طلاب مدرسة خاصة لا يحلم بها كثير من الناس لكن نجوي كرست حياتها كلها من أجل هذا الطفل ساعدها ابنها نفسه في هذا الأمر، ظل نزار يعيش في حالة فرح لأن والدته أصبحت ومنذ حضور نبيل في عالم آخر، نسيت زوجته والمشاكل التي كانت لا تنتهي بينهما، خلال هذه الفترة التي انقضت لم يحضر وائل إلا مرة واحدة اختلف فيها شكله كثيرًا عن المرة الأولي التي زارهم فيها، أصبح أكثر هنداما وإن ظل يظهر عليه التعب والسرحان وكأنه يحمل في ظهره جبالًا كاملة.

أحرز نبيل المركز الأول في الفترة الأولي، متفوقًا علي الجميع كادت نجوي أن تطير من الفرح أهدته دراجة، أصبح أكثر إلحاحًا في السؤال عن والده، حضر إليها يومًا باكيًا، سألته في هلع

: في شنو يا ولدي منو الزعلك؟ احكِ وأنا حادقو ليك صدقني؟

نبيل: ما في زول دقاني لكن يا أمي كنا بنلعب ونتونس أي زول كان بيقول أبوه شغال شنو إلا أنا ما قدرت أقول ليهم؟ ماما بابا وين أنا عاوز بابا عاوز بابا، عاد للبكاء مرة أخري.

احتضنته وظلت تبكي لساعة كاملة، وقفت وتحركت تبحث عن دفتر كانت تكتب فيه كل الأرقام المهة لتبحث عن رقم مني، فقد غابت مني عنهم لعدة شهور منذ زواجها، فهي الآن تحتاجها بشدة، إدارة الدار ظلت تلح عليها أن تخبر نبيل بوضعه لكنها كانت تتردد كثيرًا كل فترة تحاول فيها أن تحدثه ومرات أخري تحاول أن تقول له فيأتي طارئ أو ضيف يجعلها تنسى، لا تعرف إن كانت مني سوف تحضر أم لا لكن لابد أن تتصرف ومني وحدها التي يمكن أن تساعدها في تخفيف ردة فعل الطفل وجدت الرقم أخيرًا واتصلت بمني

مني: ألو

نجوي: إزيك يا كعبة أنا خالتك نجوي

مني: أهلين خالتي نجوي واحشاني

: واحشاك يا كذابة حتي زيارة واحدة مع راجلك ما تجي تزوري خالتك!!

مني: لا والله ما كده بس المشغوليات وكيف نبيل؟

نجوي: نبيل بسأل عنك كتير ويبكي مرات لوحدو يقول كل البحبهم بسيبو إتي ومروة وفتحي و..

قاطعتها: يا حليلو حبيبي والله أنتِ عارفة الشغل والبيت والحالة واقفة

حكت لها نجوي بعد تبادل العتاب والمجاملات ما حدث وما تفكر فيه، قالت لها مني إن أي تأخير بعد الآن فيه ضرر أكبر، كانت نجوي تعتقد أن نبيل بدأ يشق طريقه في العلم وتخاف أن يأتي أي عارض مثل هذا ليؤثر في مستواه، لكن في آخر الأمر وافقت بشرط أن تأتي مني ليحسما الأمر في أقرب فرصة.

****

ظل وائل محافظًا علي وعده يتعامل مع سيدة كأن شيئًا لم يحصل رغم أن كلمات والدته تدور في رأسه كثيرا يبحث عن طريقة ليقنع أمه لكنه يتراجع في آخر الأمر، كيف لو عرفت أمه ما حدث بينهم؟ ربما تفضحها وتفضحه هو يعرف أمه جيدًا، كان يراعي أن هذه السنة هي الأخيرة لسيدة في الثانوي وتحتاج أن تبعد عن كل ما يغلغل حياتها ويكدرها كانا يلتقيان كثيرًا في إحدي الكافيتريات حتي إن من يعملون بها أصبحوا يعرفونهم يلقون عليهم التحية وإن غابوا لأكثر من ثلاثة أيام يسألونهم عن سبب اختفائهم، يحضرون لهم الطلبات دون سؤال.

بعد شهرين من الحادث الذي وقع بينهم أو اليوم الأسود وجد وائل أنه بدأ يمل من سيدة فالحادث الذي وقع بينهم وحديث أمه كثيرا عنها وعن الأخلاق كل هذا جعله يصاب بالفتور منها ولولا عهد قطعه علي نفسه لكان الآن أنهى كل شيء فهي لم تكن الأولي التي ينهي معها علاقته لكنه أحبها وحدها ولهذا فقط ما زال صابرا عليها سيتركها تمتحن دون أي تأثير وبعدها سوف يقرر ما يفعله.

- 19 -

جلست مني تشرب الشاي بينما ظلت نجوي ممسكة بالكوب قلقة ترتجف رجليها دلالة علي الخوف، بينما يجلس نبيل بالقرب منها فرحًا بزيارتها التي طالت فترة انتظاره لها، نزار يقف ثم يجلس يخطو بخطوات ثابتة كأنه يريد أن يخرج ثم يعود في خطوات مسرعة في آخر الأمر حسمت مني الموقف وابتدأت الحديث

: تعرف يا نبيل أنا ما شفت أبوي مات قبل يلدوني

نبيل: بجد يا ماما مني؟

مني: أيوه يا حبيب مامتك

نبيل: وأنا كمان ما شفت ولا صورة، أصحابي في المدرسة بيقولوا لي لو ما في هو طيب ورينا صورتو إن شاء الله بس

نجوي: وبتقول ليهم شنو؟

نبيل: مرات بسكت ما برد، مرات لما يزهجوني أقعد أبكي ولما يضحكوا فيني بقوم أضربهم يودنا الأستاذة بس ما بنقول ليهو شيء فبقوم بضربنا.

عاد الصمت بينهم للحظات قبل أن يبتسم نزار ثم يجلس ووضع نبيل

علي رجليه وابتدر الحديث

: تعرف يا نبيل ناس كتار غيرك ما عارفين وين أبهاتهم ولا حاجة.

مني: فعلًا يا نبيل لا علا لا فتحي ولا مروة كمان.

أكملت نجوي وكأنهم اتفقوا أن يتحدثوا دون انقطاع حتي لا يعطوه فرصة للنقاش والأسئلة حتي ينتهوا

: وعادي يا حبيبي هم عايشين ما بفرق كتير لو ما عرفناهو هو منو لكن المهم إنو نحن ما نقعد نبكي ونسأل كتير عنو.

نبيل: طيب وماما

مني: ونحن ما أمهاتكم ؟ أنا ونجوي و..

قاطعها: أي بس عاوز أمي الولدتني لإنو سمعت ولد في سنة رابع قال لي أمك الولدتك بتكون عارفة أبوك وين قال ود جيرانهم أبو ما في بس أمو بتقول إنو مشي ليبيا وهناك ما في زول يجيب جواب لكن في يوم بجي.

أخذ نفسا والتفت لثلاثتهم الجالسين، كأنهم أصابهم الطرش لحظتها، نزل من رجلي نزار اقترب من مني ليكمل

: أنا كان لقيت أمي برضو حتورينا أبوي وين تعالوا نفتشها

صمتوا لمدة ود غلبهم الحديث لم يكونوا قد وضعوا في احتمالاتهم أن نبيل يواجه في المدرسة كل هذه الأسئلة وكان الأطفال انتهي لعبهم ولا يجدون غير والدة نبيل ووالده ليقضوا بقية من فراغ، ألهذه الدرجة يخفي نبيل ما يحدث! يا ترى لأي درجة يتألم وهم لا يعلمون؟ مسكين سيظل

يدفع ثمن غلطة لم يرتكبها، مازال طفلًا ومن معه أيضًا أطفال فكيف يكون الأمر عندما يكبر؟ ماذا يقول المجتمع له؟ يا الله الطف به اللطف.

نبيل: ليه ما بتتكلموا معاي زعلانين مني؟

احتضنته نجوي وقالت له بحنان ظاهر

: لا يا حبيبي نحن عمرنا ما بنزعل منك يا حبيبي

مني: أكيد يا نبيل حنلقي أمك وحتورينا وين أبوك الصبر بس يا ولد حنفتشها أكيد ويوم حنلقاها

****

تبقت خمسة أيام لتضع الفتاة طفلها سفاحًا، تمر عليها الساعة كأنها عام كامل من العذاب، محاولات من صديقتها لتبث فيها الطمأنينة، وكذا يفعل شريكها في الجرم، تعرف أن دافعه الخوف فقط، يريد أن تنتهي العملية بسلام فموتها سيكون خطرا عليه لذا يحرص علي سلامتها خوفا من الفضيحة، لكن ما يحيرها صديقتها لما تفعل كل هذا لما تجازف وتعرض نفسها للخطر؟ نظرة عيونها تحمل سرًا، نظرة احتقار أقرب منها للعطف كأنها مجبورة لأن تفعل ما تفعله رغم أنه لم يجبرها أحد علي ذلك.

إلتقت بالقابلة التي سوف تقوم بعملية الولادة، نظراتها لها تحمل الاتهام عيناها تخبرها أنها تافهة لا تستحق الحياة، تخبرها أنها عار علي المجتمع وعلي أسرتها، لا تملك ما تدافع به عن نفسها كم تكره روحها كثيرًا تكره قلبها الذي كان سببًا في كل هذا.

أعطتها القابلة بعض الأوامر بصورة مستفزة ولم تنسَى أن تخبرها ألا

تبكي فقد قالت لها

: يا بت قشي دموعك بلا كضب وإستهبال معاك لو أنتِ صحي بتعرفي البكاء كان عملتِ عملتك السوداء دي، ما بحب أشتغل في جو زي دا أنا

عادا للبيت، تناولت تحت الإجبار وجبة وهي التي ترفض الأكل، تطلب منها صديقتها أن تصبر ما تبقي فقد صبرت لأكثر من خمسة أشهر بعد أن اكتشفت متأخرا أن بأحشائها طفلا هل سترتكب حماقة وتفضح نفسها بعد كل هذه المدة، عدم أكلها قد يسبب كارثة.

والد الطفل كان خائفا جدا أن تسمع أخته ما حدث يخاف عليها، تقدم لها ابن خالهم رغم أنه كان يقف معها في رفضها له لكنه الآن سيكون أكثر الداعمين لفكرة أن تتزوجه حتي لا تمر بمثل هذه التجربة، بقية ضمير داخله يقول له إن الذي فعله سيجده ويخاف أن يخدع أحدهم أخته البريئة إن حدث ذلك سيقتله وسيقتلها لن يتحمل هذا الأمر، أخذ نفسًا عميقًا يمني نفسه أن تنتهي الأيام الخمسة بسرعة ليتخلص من هذا الكابوس، ظل لأيام لا ينام يستحمل ما ترمي به صديقتها من اتهامات له غير الشتم وإن كان أقرب للحقيقة ما تقوله لكنه مؤلم، ولا يستطيع أن يتحمله.

****

تلقت سيدة طلب وائل بأن يقللوا المقابلات لأن امتحاناتها قد حانت بكثير من الشك هل نقض عهده كانت تدرك ذلك رغم أنها لم تقصر معه،

لقد أصبحت تقابله أكثر مما مضى تكذب علي أسرتها وتنال العقاب فقط لتقابله كلما طلب فقط خوفًا من أن يتركها ورغم أن الاثنان لم يتطرقا لما حدث بينهما أبدا لكن نظرات العين تحمل ذلك كانت عينيه تحمل أسفًا مختلطا بنظرة شك فيها ونظرة حسرة لا تستطيع تفسير أي من الثلاث نظرات لكنها تدري أن النهاية ستأتي وكل ما تفعله هي محاولة لتأخير الزمن، رغم أنه حاول أكثر من مرة بث الطمأنينة فيها وأنه لن يتركها أبدًا ما دامت فيه روح لكنها تدرك أنه فقط يحاول أن يرضي ضميره حتي ينسي، أكد لها أن غيابهم عن بعض فقط من أجل أن تضع تركيزها في دروسها وأن تجتهد أكثر في مراجعتها النهائية لكنها لا تصدقه وهو الذي كان قد طلب أن يقترب أكثر ليطمئن أنها تذاكر كما ينبغي فقد قال إن الفترة الأخيرة ستحتاجه أكثر.

وائل اتخذ هذا القرار بعد أن وصل في علاقته بعدم المبالاة والبرود معها ويريد الآن أن يعطي نفسه فترة لمراجعة كل شيء فربما يعود من جديد إليها أكثر شوقا أو لا يعود أبدا .

حاولت ألا تتأثر في فترة الامتحانات وأن تجتهد أكثر حتي تحقق نسبة عالية ربما تكون عوضا لها عنه عندما تدخل كلية مرموقة، ربما تبدأ حياة جديدة وقصة حب أخري أكثر صدقا من هذه خاصة وأنها ستكون قد وصلت لمرحلة النضج.

إنتهت الامتحانات بكل ما تحمل من قلق وخوف وتعب، كانت متلهفة لمقابلته فقد وعدها أن يتقابلا، وفي أول لقاء بينهما طلب منها أن

يقوما بزيارة أخري لمنزل صديقه ليحتفلا بعيدا عن أعين الناس، عندما سمعت حديثه هذا سرحت بخيالها تذكر كل ما حدث لها في الفترة الماضية منذ ذلك اليوم المشؤوم.

وائل: مالك ساكتة وسارحة كده وين؟

سيدة ودموعها تغالبها تحاول منعها من النزول: إتذكرت كلامك لي المرة الفاتت لما طلبت نمشي البيت والحصل شنو.

وائل: لكن المرة دي ما زي المرة الفاتت ونحن حنكون عاملين حسابنا شديد....

قاطعته: لا أنا ما حاقدر أعمل كده تاني كفاية تجارب وأنا عارفة إنك ضعيف وأنا أضعف منك وممكن نقع في الغلط تاني.

ولأنه يبحث عن سبب، غضب كما لم يغضب من قبل أمامها، كيف لها أن تصفه بالضعيف صاح غاضبًا إن كان ضعيفا حقا فضعفه الوحيد أنه يحبها وإن كانت تظن أن الضعف عيب فسوف يتخلص من هذا الضعف سريعا دون أن يعيرها اهتماما تركها تقف في منتصف الشارع.

مرت أيام ثم أسبوع دون أن تعرف عنه أي خبر، أين هو؟ أين ذهب؟ لكنها تدرك الآن أنه كان يبحث عن سبب يجعله عذرًا لتركها، للأسف هي لن تجد طريقة للبحث عنه، لأنه لن يسمح لها أفراد أسرتها بالخروج إلا لسبب مقنع لا تملكه خاصة في فترات العطل.

كانت تزورها صديقتها وفي أحد الأيام أخبرتها عن اختلافهم، تبادلتا الأنس وبعضا من النميمة ثم انتهي بهم المطاف لبعض من خصوصيات

الفتيات، حكت سيدة عن بعض ما يخصها وما لاحظته مما جعل سعاد تصرخ متسائلة

: أنتِ يا سيدة عملتي غلط مع الولد بتاعك دا؟

وقفت سيدة مخلوعة وأخبرتها أن صوتها عالٍ قبل أن تسألها عن سبب هذا السؤال، قالت سعاد ردا إنها في يأسها قد قالت إنها ولشهور انقطعت عنها العادة ولو كانت قد وقعت في الحرام مع وائل فهنالك تفسير واحد إنها تحمل جنينا في رحمها.

- 20 -

أخيرًا وبعد ست سنوات لم يزر والد نزار السودان قرر أن يقضي إجازة مع أسرته، وصل نزار إلى البيت الكبير فرحًا بهذا الخبر يدرك أن والدته سوف تطير من الفرح بهذا الخبر وأخته أيضًا، أخته التي كانت أكثرهم ارتباطا به حتي إنها منذ مغادرته ظلت تعيش في غرفتها وحيدة حتي عندما يجمعهم الأكل تظل صامتة، حاولوا معها كثيرًا لكن في اخر الأمر تركوها فقد كانت تغلق غرفتها وتظل تقضي وقتها في القراءة. ظل نزار يصيح بأعلي صوته

: يا أمي يا أمي وينك أنا عندي خبر حلو ليك

تخرج أمه مسرعة تحاول أن تعرف ما الخبر

: قول يا ولدي وحلاوتك كبيرة يا جناي

نزار: أبوي جاي آخر الأسبوع إجازة والله ما صدقت لكن حلف لي وأكد، كمان الزمن الامشي المطار استقبلو فيه حددو لي.

عندما سمعت أخته ما يقول أتت تجري وتسأل أخاها إن كان صادقًا، تحتضنه أمه فرحة لقد اشتاقت له كثيرا، زمن لم تشعر بالفرح منذ أن سافر فهو زوجها ومن تشاركا حلو الحياة ومرها، التفت لابنها وبفرحة

: حنعمل كرامة كبيرة تلم كل الناس الأحباب والأهل

ظلوا يتبادلوا الأنس حتي أخته نفسها كانت تجالسهم، من زمن طويل لم تفعل ذلك، فجأة مر بخاطرها أمر لم تكن قد وضعت له حسابا إلتفتت لابنها وصاحت

: مصيبة

نزار: مصيبة شنو يا أمي كمان؟

نجوي: ما عارف يعني ؟

نزار: لا والله

نجوي: نبيل

تذكر نزار أن نبيل فعلا سيكون موقفه صعبًا، فهم لم يخبروا والدهم قصته، في بداية الأمر طلبت منه والدته ألا يتحدث معه في هذا الموضوع حتي لا يشغلوه بأمر يستطيعون هم حله وفعله مع إصراره أن يخبروه وافقت لكن قالت له سيكون ذلك لاحقا، ومع الأيام نسي الاثنان الأمر، الآن تذكرا الأمر، كارثة بمعني الكلمة لن يرضي والده بأن يجد نفسه أمام أمر واقع بل سيكون أمامه أيام سوداء من والده سيعتبره مشاركًا في هذه القصة، كيف فات عليه ولم يتذكر ليخبره؟ أكان يظن أن والده لن يعود مرة أخري!! أم ماذا؟ أعاده صوت أمه من خياله

نجوي: أها حنعمل شنو يا ..؟

نزار: والله ما عارف يا أمي لي نهاية الأسبوع حنلقي حل

نجوي: أنا عارفة أبوك ما حيسكت حيطين عيشتنا، مسكين نبيل

قدامو امتحانات بعد أسبوعين وهو ما عارف إنو بعد أسبوع النعيم اللقاه بعد ضياع يمكن ينتهي.

رفعت يدها تسأل الله أن يأتي بالعواقب سليمة وأن يعين نبيل ليرد خلفها نزار آمين

****

الحل الوحيد الذي وجدوه أن يذهب نبيل مع نزار إلى بيته قبل اليوم الموعود رغم احتجاج زوجته علي ذلك طلب منها أن يصبروا حتي ينتهي نبيل من الامتحانات وبعدها سيجدوا حلًا ربما تحدثوا إليه وأقنعوه بالحجة وإن ظن والده أنه هو من تبناه لا نجوي قد يخفف من شدة الأمر حاولت زوجته أن تواصل الرفض قال لها بعصبية

: دا طلب أمي وما ناقصين لو قعدتِ تعملي كده وأخدت خبر صدقيني حتفتح لينا بابًا نحن ما قدرو وحتقعد تقول لي أسي بت أختي كان طريتها كان مسكت لي الولد دا وكان وكان ونحن ما ناقصين والله فرجاء خاص ما..

الزوجة مقاطعة: ولو أبوك دا قعد أربعة شهور وما قدرتوا تعملوا حاجة أها الحل شنو؟ أقعد أنا أتبلي بيه

نزار: أمي قالت لي يا نزار الولد دا خليه يقعد معاكم في بيتي لما الامتحانات تخلص عارفة دا معناه شنو؟

الزوجة: لا والله معناتو شنو؟

نزار: في عز مشاكستكم مع بعض ما حصل ذكرت لي إنو دا بيتها لكن

المرة دي قالت كده تعرفي دا تهديد منها لو حصل أي شيء مننا ممكن تقول عاوزة البيت.

الزوجة: يعني عشان بيتها تتحكم فينا كده !! نحن لازم نخلي ليها البيت دا

نزار: وحنمشي وين؟ أجر بي مرتبي ولا نمشي بيتنا الكبير بيت أبوي؟ لإنو طبعًا مستحيل أمشي بيتكم أنا.

انتهي الحوار بموافقتها جبرًا علي الأمر الواقع، عاش نبيل أيامًا صعبة معها تحول في لحظة من نجوي التي تعد له كل متطلباته إلى زوجة نزار التي لا تكتفي بأن يقوم هو بما يريد بل تتعدي ذلك إلي أن يقوم بتلبية متطلباتها ومراسيلها لأول مرة يطلب منه أن يغسل ملابسه، ظل خلال أيام الامتحانات يقوم بنظافة الحوش والغرف وإن تأخر ضربته ولو قدرت أنه لم ينظف بالطريقة المناسبة أعاد الكرة مرة أخري، ثم كانت تخوفه إن تحدث لنزار سوف تعيده إلي الدار التي خرج منها ليصبح عالة علي الآخرين، كان مندهشا لما حدث لماذا طلبت منه نجوي ونزار القدوم إلى هنا إن كانت زوجة نزار لا تريده؟ هل ارتكب خطأ جعل نجوي تغضب منه وتعاقبه بهذا؟ تقول نجوي حتي يجد جوا هادئا للمذاكرة ولكن طوال الوقت كان في منزلها يجد هذا الجو الذي يفتقده الآن، قال له: إنه سيذهب معه ليراجع معه الدروس لكن لم يحدث هذا، تقول زوجة نزار إنهم أتوا به خائفين من والد نزار لقد سمع فعلا من قبل أنه قادم قريبًا هل هو شرير لا يحب الأطفال أم ماذا؟.

انتهت امتحاناته، في هذا اليوم خرجوا إلى منزل نجوي هنالك كرامة بمناسبة عودة والدهم، عندما وصل سلم عليها بشوق احتضنته وظل يبكي مدة تحاول أن تسكته لتعرف ما جري لكنه يزيد النواح في آخر الأمر حكي لها ما حدث له ثم سألها بحزن

: لي يا ماما خليتيني أمشي للمرة الشريرة دى؟

لم تجد ما تقوله له غير كلمات مبهمة صمتت وبداخلها تصميم علي أن ترد علي هذه الشريرة، كما وصفها فقد كان وصفًا دقيقًا، سألها عن معنى لقيط الذي سمعه منها واصفة له به وعن كلمة عالة التي قالتها له كل هذا جعل النار تغلي بداخلها بانتظار مغادرة الضيوف.

كانت هنالك فتاة ووالدتها تجلسان في ركن بعيد يتبادلان الأنس هما والدة وائل وشقيقته كانتا تعرفان تفاصيل قصة نبيل بالكامل كما حكتها نجوي نادت شقيقة وائل نبيل أتي إليها مسرعا سلمت له بحنان زائد وشوق وظلت تلاعبه للحظات قبل أن يقف يستأذنها لأن مني تناديه.

إلتفتت لوالدتها وأشارت لنبيل الذي لم يختفِ بعد وسألتها

: أمي ملاحظة حاجة في الولد دا؟

والدتها: لا ملاحظة شنو كمان؟

: شوفي عيونو يا أمي

****

مضت الخمسة أيام كأنها دهر عليه وأخيرًا حانت لحظة الصفر، الآن في منزل القابلة داخل الغرفة القابلة وأم طفله المنتظر وصديقتها، يقف

منتظرًا ومعه صديقه لحسن حظه وجد هذه القابلة التي ارتضت لنفسها أن تعمل من خلف القانون، مع أن هذا صعب جدًا لكنه لا يدري أهذا من حسن حظه أو لا، ماذا لو حدث مكروه لها وماتت؟ أو كيف يتصرف إن احتاجت لنقل دم أو إسعاف عاجل كيف سيكون موقفهم الثلاثة، أخذ نفسًا وأخرج آخر، عصر رأسه بيده ثم التفت لصديقه الذي حاول أن يهدئ الأجواء ويخرجه من قلقه هذا ببث كلمات تشجيعية اكتفي بأن هز رأسه وعاد بذكراه إلي أيام مضت حيث البداية عندما علم بالمشكلة، كان قد أنهي علاقته بها بعد فترة من ارتكابهما الحرام، حاول أكثر من شخص معرفة السبب لكنه فضل أن يموت ما حدث بينهما وأن يسترها، مضت الأيام لكن بعد أقل من ثلاثة أسابيع من تركها أتته صديقتها تبحث عنه سألت عليه من أصدقائه لكنه تحاشى أن يلتقي بها ظنا منه أنها تريد أن تصلح بينهما ومع إصرارها علي السؤال وشكوى أصحابه منها قرر أن يلتقي بها لينهي كل شيء ويبعدها ويقطع أي أمل عندها بالعودة، التقي بها وعلي وجهه علامات الغضب محاولا أن يبث فيها الخوف والرعب لكن كانت عيونها تحمل القلق والخوف دون الحاجة لذلك منه، سألها ما الذي يجعلها تطارده وتسأل عنه في كل مكان قبل أن يخبرها قراره رمت له خبرًا كالصاعقة صديقتها حامل بطفل منه، أراد أن ينكر لكنه يدرك أنه وحده من ارتكب معها إثمًا لا أحد غيره، تمني أن يكون هذا مجرد ادعاء وخدعة منهما ليرجع لها، ذهب بها لطبيب أخبره أنها تخطت شهرها الثالث بأيام، كانت مشكلة كبرى كاد أن يقع مغشيًا عليه عندما سمعا

حديث الطبيب.

عاد للواقع وهو يسمع صراخها بالداخل زاد قلقه، حاول الدخول لكن الباب مغلق محكم الإغلاق أصبح يضرب كفه بيده الأخرى مغلقة الأصابع، حاول صديقه أن يهدئ من روعه ويبعده من الباب ويحدثه لكنه

فضل الجلوس علي كرسي وضع أمام الغرفة دخل صديقه لغرفة أخري هربًا، فقد بدأ المطر في الإعلان عن القدوم سابقة ذلك ببعض قطراتها مبشرة بها، لكنه رفض الابتعاد من الغرفة يخاف أن تصاب بمكروه سيهرب عندها لأي مكان، لن يستطيع مواجهة أسرته خاصة أخته التي سيتم عقد قرانها قريبًا رغم أنفها بعد أن كان هو آخر آمالها في الرفض لكنه خذلها خوفا من أن تصاب بمثل هذا الموقف، عاد للذكريات مرة أخري، طلب منها أن تسقط الطفل وافقت، لكنها اختفت لأيام بحث عنها كثيرًا ثم عادت لتخبره أنها في شهرها الخامس ولم تسقطه وقد ضاع الزمن يومها أصيب بنوبة غضب كاد أن يضربها لكنه في آخر الأمر عاد لصوابه لكنه قال لها بغضب

: شوفي يا بت الناس أنا عملت العلي بعد كده تاني ما لي بيك ترميه تموتي تلدي أنا عملت العلي وصدقيني لو فكرتِ تجيبي اسمي حانكر وتكون فضيحة بجلاجل ليك فاهمة.

بعدها ظن أن الموضوع قد حسم ونسي كل شيء اختفت هي وصديقتها لتعود إليه قبل أيام من الجامعة تخبره أنها تبقت لها أيام فقط للوضوع.

خرج صديقه صائحًا

: حرام عليك يا وائل شوف المويه بلت هدومك حيجيك إلتهاب ياخ

إلتفت إليه وصاح

: معتصم أرجوك خليني ياخ إتاخروا عديل كده ...

قطع حديثة خروج الصديقة صائحة

: ولد يا وائل ولد زي القمر

لم يهتم لحديثها كثيرا فلا يهمه إن كان ولدا أم بنتا حيا أم ميتا كل الذي يشغله هي أن تقوم بالسلامة وبعدها سينسي قصتها لقد اتفقا أن تضع الطفل أمام أي مسجد و...

معتصم: المهم طمنينا علي سيدة يا سعاد.

****

- 21 -

حاولت والدة وائل إعادة نبيل لتشاهد عينيه لتعرف ماذا تقصد ابنتها لكنه كان في طريقه لمني، انتظرا كثيرا قبل أن يعود، ظلت تنتظر علي أحر من الجمر وبنتها ترفض أن تقول وما زاد الأمر عليها أن بنتها لم تكن حاضرة إلا جسدا كأنها تفكر في أمر يشغلها.

وبالفعل فشقيقة وائل تفكر في ما سمعته عن قصة نبيل الذي أحضر من الدار هنالك حلقة متأكدة أنها ناقصة وأنها قريبة جدا لابد أن تعرفها.

أخيرا عاد نبيل إلى والدة وائل وهو يبتسم في نيتة الإعتذار فقد قالت له مني ذلك يجب أن تعتذر

نبيل: أنا جيت خالتو معليش بس كنت مع ماما مني عاوزاني قالت ونحن لينا زمن من بعض

والدة وائل: لا مافي مشكلة حبيبي

نظرت له بتمعن عاد الآن حاولت أن تكتشف ما ترمي له بنتها إلتفتت لها رأتها مركزة معها بنظراتها تنتظرها لتقول قالت لبنتها بهدوء وما زالت تنظر إليه

: مافي شيء في عيونو أنتِ شايفة شيء؟

: كدي يا أمي ركزي معاهو شوية

: لا يا بت مافي أي شيء

ثم التفتت لنبيل مدت له مبلغا من المال قبل أن تشرح له سبب إعطائها له

: هاك يا حبيبي كنت عاوزة أديك دا من قبيل عشان عرفت إنك شاطر وجبت المرة الفاتت نتيجة حلوة.

رغم محاولات ابنتها إلا أنها نفت أن تكون قد اكتشفت أي شيء في عينيه رغم أنها من أول نظرة تأكدت ما كانت تريد أن تقوله بنتها الطفل نبيل مصاب بالرمد الربيعي وكذلك له بروز صغير أبيض في القرنية تجعله عندما يركز في شيء كأنه أحول مع أن الأمر لا يظهر إلا عند التركيز وما جعل بنتها تسألها ثم تصمت عندما أنكرت هي أن كل ما في عيني نبيل وراثة تنتشر في أغلب أسرة والدها بل بنتها نفسها وكذلك أخوها وائل وأعمامها يمتلكون هذا الشيء كاد رأسها أن ينفجر هل تعلم نجوي شيئا عن هذا الطفل؟ أم مجرد تشابه هل إختارته مني صدفة؟ أم أن مني أرسلها أحدهم لتأتي به لنجوي؟.

كانت نجوي تنتظر بصبر حتي يذهب الجميع، مر الزمن لتأتي اللحظة التي تنتظرها لم يتبقَ في البيت سوي مني وزوجة ابنها ووالدة وائل وبنتها تنتظر تريد أن تسأل نجوي لوحدها بعيدًا عن الآخرين عن ما يدور في خلدها منذ أن شاهدت عينيه.

وقفت نجوي أمام زوجة ابنها تنظر لها مسافة بعين واحدة مغلقة

الأخري وصبرت حتي وقفت زوجة ابنها لتبتدر الحديث.

نجوي: شنو الكلام السمعتو من نبيل عنك دا.

أصابها الارتباك والخوف قبل أن تقول لها بصوت متقطع.

: يا خالة قاا قال شنو؟

نجوي: قال الشافو كلو معاك يا عقربة يا ما عندك دم.

: أنتِ حتصدقي كلام الود الل...أقصد الطفل دا.

نجوي: أيوه تميها دي واحدة من الكلمات الكان بسمعها منك دا جاء ببكي وبسأل عن معني لقيط الكنتي بتقوليها ليه علي الرايح والجاي و..

قاطعتها: أنتِ بتصدقي ال...

وصل نزار عندما سمع الحوار الذي تحول لنقاش ارتفع صوتهما فيه

نجوي: أيوه بصدق وكمان بتقولي هو عالة، عالة علي مين؟ هو قاعد في بيتي أنا لو ما قادرة عليه والله الباب بطلعك أنتِ وراجلك الما قادر عليك يا ...

نزار محاولا مقاطعة أمه

: ما..

قاطعته: اسكت لو عندك كلام أصلا كان تقولو لمرتك دي وهي بتسمع نبيل فارغ وأوع تقول إني بتبلي عليها لا دا عمرو ما سمع كلمة لقيط كان زمان بيقولوا ليه إنو لاقنو في الكوشة بس الكلمة دي كلمة مرتك.

إلتفتت لزوجته وواصلت.

: علي فكرة قصة عالة دي فوالله البيت حقي كان بجيب لي قروش

ملبسني دهب لو ما أصر نزار إنو يسكنك فيه عشان أنتِ رافضة تجي تقعدي في الجزء البناه هنا أعمل إيه أنا؟ بلوة ووقعت علينا.

خرجت والدة وائل وبنتها بعد أن سمعت ما يدور من نقاش فالوضع لا يستحمل أسئلتها بعد كل ما سمعته.

استمر النقاش إلي أن خرجت زوجة نزار غاضبة، مرت بطريقها بوالد نزار الذي سألها ما الذي يبكيها فقالت له وهي تبكي

: خالتي بتشاكلني وبتطردني عشان الولد اللقيط.

****

بعد عام من زيارة طلاب كلية الصحة للدار عادت الطالبة صاحبة فكرة الزيارة سيدة وصديقتها سعاد للدار يحملن بعض الأغراض والهدايا، عامان ونصف العام منذ أن وضعت الطفل الآن أنهت الفصل الدراسي الفردي للسنة الثالثة مضت الأيام وجريمتها لا يعلمها أحد، لكن وضعت جرحًا داخلها رفض أن يندمل رغم مرور الأيام، حياتها في الجامعة أصبحت مختلفة عن حياتها وهي ما زالت تحمل شرفها نظرة الحزن التي أصبحت جزءًا من حياتها يعتقدها الكل جزءًا من شخصيتها أسرتها تظن أن الحزن الذي ظهر وتغيرها جزء من حزنها علي النتيجة التي أحرزتها كانت تمني نفسها بالصيدلة لكنها لم تحصل علي مجموع يؤهلها لها، حاولت أسرتها أن تجبرها علي الإعادة لكنها رفضت الفكرة تماما تريد أن تهرب منهم، عندما يتحدثون عنها يصفونها ببنتهم العفيفة الشريفة التي يفتخرون بها لذلك كان لابد من أن تذهب بعيدا عنهم حتي الصيدلة التي

كانت تريدها أصبحت من الماضي، صديقتها سعاد وحدها من تدري لما كل هذا الحزن الذي تعيش فيه، حاول أكثر من زميل أن يتقرب لها معجبا بما يشاهده، الفتاة الملتزمة الذي يمدحها الكل ويمدح أخلاقها، كتب لها أحدهم خطابا يبثها حبه وشوقه فيه، كتب

(سيدتي دعيني أقول تلك الكلمة

فأنا اخترتك سيدة لي وليس سيدة فقط كما يناديك الآخرون...

سيدتي أنا وحدي أعرف أن حزنك هذا خلفه رجل غبي لم يعرف أنك أميرة يجب أن تطاع ..

إن مددتي يدك وقبلتيِ بي سأكون أنا من يمسح دموعك وأنهي حزنك للأبد)

لم ترد عليه كما لم ترد علي كثير غيره، ظل لعام كامل يرسل لها، ينتظر ردها ثم انتهي به الأمر أن نسي الأمر وأصبح لا يلقي حتي السلام عليها.

مرت كل هذه الذكريات وهي تقف أمام باب الدار، دخلت وصدقيتها التقيا بالمدير ثم قدما ما جلبتاه للأطفال ثم دخلتا إلي الدار، بحثت سيدة كثيرا عن نبيل ساعدتها سعاد لم يجدنه، كادت أن تصاب بصدمة هل مات؟ ماذا أصابه؟ أين اختفي هل تسأل عنه أو ماذا تفعل صديقتها حاولت معها كثيرا حتي استطاعت أن تخرجها قالت لها بعد أن غادرا

: أنتِ مالك يا سيدة ما خلاص راح في ستين داهية لمتين حتكوني في القصة دي خلاص أنا زهجت كم سنة من قبل ندخل الجامعة وأنا بطلب منك إنك تنسي

سيدة: دا ولدي يا سعاد ما حاقدر أنساه أبدا.

سعاد: طيب ليه ما أخدتِ وشلتي البيت لو هو أصلا فارق معاك دا عار يا سيدة عار لازم تنسيه لمتين..

سيدة مقاطعة: عار بس ابني أي ما حاقدر أعمل شيء قصادو بس أهو بطمن إنو حي.

سعاد: ودي حياة ذل وإهانة واسم حيكون وراه طول العمر لو خيروه أنا متاكدة حيقول ما حيختار يعيش، أنا ماشية أصلي تعبت من الكلام دا.

أسرعت تاركة سيدة تقف حايرة والآلام يعتصرها.

****

يقسم نزار أنه لم يشاهد والده منذ الصغر بهذا الحالة بعد كل هذا العمر يقوم بضرب والدته وأمامهم ويصيح غاضبًا

: الكف الأول دا عشان زوجة ولدك الشريفة الضربتيها عشان اللقيط، والثاني دا عشان كذبتي علي أنتِ وولدك

كان يرمي كل ما يقابله لقد أوجعته أكثر كلمة زوجة ابنه.

:يا عمي الناس بقت تقول إنو الولد دا ولدكم جبتوه بالحرام عشان كده مصرين إنو تربو معاكم وإنو خالتي نجوي ما بتشاكل يومي الجيران بسببو إلا عشان كده.

أبعد كل هذا العمر يكون منزله حديث الناس وأي حديث، حديث العار التفت إلي نزار صائحا ومشيرًا لنبيل الذي يبكي بأعلي صوته

: الولد دا ارميه بره سريعًا ولا رجعو محل لقيتو سريع فاهم.

- 22 -

أحيانًا عند هطول المطر ولفترة طويلة يرمي القدر والحظ بطائر صغير حظه العاثر جعله بالخارج بعيدًا عن عشه، سيظل يرتجف مع محاولة البحث عن مأوي كان هذا حال نبيل وهو يستمع لحديث والد نزار ووعيده حتي محاولته البكاء ليعبر به عن إحساسه في تلك اللحظة فشلت وخذلته دموعه كأنها اتفقت مع الحزن وكأن الدمع يرفض أن يكون سببًا في إراحته من العذاب كما رفض من حوله منذ خروجه من الدار، ابتعد إلى ركن قصي ثم ما لبس أن نزل تحت أحد الأسره لحظة أن سمع الأمر برميه خارج المنزل أو إرجاعه من حيث أتي، إلي دار المايقوما.

أحس بيد تمتد لأسفل السرير تخرجه كاد قلبه أن يتوقف عن النبض هل اكتشفه نزار يريد إخراجه؟ لكنه وجدها يد مني تصنع علي وجها ابتسامة لم تستطع إخفاء الصعوبة التي رسمهتا بها، فبرغم الابتسامة إلا أن الخوف والحزن كانا ظاهرين.

مني: ما تخاف يا نبيل أنا قاعدة مافي حد حيسألك.

نبيل: بس نزار حيرميني برة.

وكأنه ينتظر أن يتحدث معه أحد ليخرج ما بداخله فبعد جوابه نزل

الدمع بغزارة لتضمه مني إليها وتقول له في كلمات هي نفسها تتمني أن تكون حقيقة

: لا هو ما حيقرب ليك، ثم تلفتت يمنى ويسرى كأنها تخشى شيئا لتقول له بعدها همسًا

: أنت حتمشي معاي وتاني حترجع ماما نجوي عمرها ما تخليك.

أراد أن يقول لها إن والد نزار لن يسمح له بذلك، لكنها أشارت له بالصمت ففهم أن الحديث سر بينهما فصمت.

عندما شاهد والد نزار نبيل يبكي ويرتجف ومني تحتضنه أصيب بحزن وندم علي ما فعله لكنه عاد سريعا من ذلك الندم وهو يقول لنفسه لو لم يفعلوا ذلك من خلفي لكنت تساهلت أكثر لكني لن أتراجع الآن لأدفع ثمن ذلك بقية العمر، سيفعلون ما يحلو لهم دون مشورتي.

أمسكت مني نبيل من يده وخرجت به دون أن تتحدث لأي أحد من البيت، نجوي أحست بالعجز وهي تشاهد الطفل في هذه الحالة بداخلها كانت تحاول أن تترجى زوجها لكنها كانت تدري أنه سيعاند أكثر وسيكون عاقبة ذلك أكبر، مني ونبيل يغادران ولا تملك غير الصمت حيال ذلك عندما وصلا إلي الباب صاحت باسم مني، التي توقفت لكن نجوي ظلت صامتة تنقل بصرها بين زوجها ونبيل قبل أن ينحل لسانها وتقول لها بانكسار

: بكرة حأرسل ليك حاجاتو مع نزار.

هزت مني رأسها متفهمة موقف نجوي ليخرج صوتها ضعيفًا.

: كويس حانتظروا.

إلتفتت نجوي ونظرت لزوجها هذه المرة بتحدٍ ورفعت صوتها موجهة حديثها لمني

: قصدي جزء من حاجاتو يا مني.

خرجت مني تمني نفسها أن تنتهي مشاكل نبيل عند هذا الحد فما عاد الطفل يتحمل أكثر من هذا، فيما كانت نجوي تحمل نظرات الامتنان تجاه مني لتصرفها هذا.

****

أصيب نبيل بحمي شديدة ارتفعت درجة الحرارة عنده لمعدل مرتفع جدًا أصابت مني بالخوف والقلق بينما كانا في المواصلات في طريقهم لمنزلها لتغير مسارها إلى المستشفى ونبيل يبكي، قضى أربعة أيام في المستشفى حاول نبيل أن تزيد لكن الطبيب المعالج رفض ذلك، فقد كان المستشفى بالنسبة له خيرًا من المجهول الذي ينتظره وخيرًا له من أن يسمع ما يؤلمه، هنا اجتمع الجميع حوله حتي والد نزار الذي أصر علي أن يدفع العلاج بعد أن أقسم مستخدما الطلاق وفي اليوم الذي خرج من المستشفى طلب من مني أن تقابله في الأيام المقبلة.

أدرك نبيل أنه كان محقا في طلبه بالبقاء أكثر في المستشفى بعد وصوله لمنزل مني، فقد دار حوار بين مني وزوجها

الزوج: دا منو كمان؟

مني: دا الطفل القلت ليك راقد في المستشفى

الزوج: وحولو هنا ولا شنو؟ عندو هنا شنو؟

مني: والله قلت يجي يقعد معانا شوية يملأ لي فراغي

الزوج: وتقولي كدة براك؟ لا تشاوريني لا تسأليني ما عندي دخل في البيت دا أسي زملاني لو عرفو إنو جبنا شافع ما معروف ليه أم ولا أبو موقفي كيف؟

مني: بالعكس حي..

قاطعها: أنا مرات بسمع قصص تندر واستهتار بي شغلك مع المجانين والشماسة وقاع المجتمع.

مني: دا كلام شنو دا؟

الزوج: والله أنا لو جينا للجد شغلك دا أصلا ما مقتنع بيه

مني: بس دا كلام محسوم وقبل نكمل زواجنا أنا اتفقت معاك وما مست....

قاطعها: سيبك من الاستعداد أنا لا يمكن أسمح بطفل ابن حرام يقعد في بيتي أي ما رفضت شغلك بس ما معناه شغلك يجي بيتي فاهمة، صمت وظل ينظر لنبيل قبل أن يواصل وحتي لو قلنا أنا مقتنع بكلامك دا وكده فأنا ما عندي استعداد إنك تتعبي نفسك بشيء دا ما كويس لا عشانك لا عشان الطفل الفي بطنك طفلنا مش طفل..

قاطعته قبل أن يكمل وبدأت في استجداه في آخر الأمر استطاعت إقناعه مؤقتا علي ذلك حيث قال لها

: شوفي أنا مسافر بكرة شغل زي ما أنتِ عارفة ثلاثة أسابيع لما أجي

أحب ألقي بيتي فاضي، عن إذنك.

****

يبحث وائل عن بعض الأوراق المهمة التي تركها قبل سنوات في المنزل، عاد اليوم يبحث عنها وجد في أثناء بحثه خطابًا ما زال ورقه محتفظا بقوته رغم طول الأيام والسنين، أوراق أخري موجودة معه في كرتونة اهترت لكنه يقف شاهدًا علي زمن من حياته زمن من السعادة فتحه وبدأ يقرأ.

بسم الحب الذي في قلوبنا زرع

وبسم القلب الذي يحمل نبضًا يعلن أنه ملكك

بسم الأملاك التي وهبنا لها الله.

فبسم الله إبتدأ وإنتهى

إلي الضوء الذي أخرجني من ظلمات حبست نفسي فيها.

سأقول حبي الأول.

أغلق الورقة وعاد بذاكرته كان دومًا يطلب منها ألا تقول حبي الأول إلا إذا كانت ستتبعه بالأخير لكنها كانت تقول عندي الأول هي رقم ليس بعده ولا قبله، أخذ نفسا عميقًا ثم واصل القراءة

بالأمس استمعت لأغنية يسمعها أبي فطلبت منه أن يكتبها لي لأنها من الأغاني الجميلة الخالدة فحكى لي كثير عن الزمن الجميل وعن فنانها عثمان حسين ثم طلب مني أن أحضر ورقة لأكتبها إحساسي إنها تعبر عن أشياء فقررت منذ سماعها أن أرسلها لك.

أحبك .....أحبك لما لا نهاية

وأغنيك حنيني وشوقي وهواي
لأنك حبيبي وغاية..... رجاي

أتعرف أن أخي تدخل هنا وقال لأبي البت دي مالها ومال الغنا والحب ليرد أبي عليه ما أحسن من البتسمعهم أنت ديل خليها تتعلم تسمع شيء نظيف ما غنا حق الأيام دي..

أرجوك اسمعها كاملة وخلينا نقول:

زرعنا المحبة..... رويناها شوقا
وعايشين نامل تقوم ترم فوقنا
تسير في ضراها نسير لي شروقنا
نتوج حياتنا..... بأسعد نهاية

هل تعتقد أننا سنكملها بأجمل وأسعد نهاية ؟؟؟ لا تهتم كثيرا حبيبي وائل بسؤالي بل دعنا نكمل مع عثمان حسين

منامي المسهد يحن لعيونك
وشوقي المعذب يناشد حنينك
تحكم شعورك وترحم سجينك
فؤادي البحبك لما لا نهاية
حبيبي سأنهي خطابي هنا وبيننا رسائل أكثر مع الأيام
البت البتحبك سيدة

أخذ نفسا عميقا أغلق الخطاب مسكه بقوة وأغلق يده عليها ينوي تمزيق الخطاب لكنه تراجع عن ذلك وأعاده إلي مكانه، عاد بذاكرته إلي

تلك الأيام آخر عهده بها بعد أن أخبرته سعاد أنهم سيغادرون البيت والخرطوم غدا صباحا هز رأسه بأنه يفهم، فهو مسبقا لقد طلب منهم أن يغادرا بأسرع وقت لأن أهل البيت سوف يعودون، أكملت عشرين يوما بعد الولادة ظلت فيها سيدة لا تحادثه لذا طلب من سعاد ذلك فهو لن يستمر للأبد حارسًا لهم هنا فليذهبوا من حياته، أوفي بوعده أن يقف معها حتي تضع طفلها، وقد كان طفلا شاهده فقط وهم يخرجون من القابلة حمله معتصم حاول أن يمده له لكنه رفض، سبعة أعوام أو تزيد وهو لم يلتقِ بها لو عن طريق الصدفة. بعد أن غادر حياتها ارتبط بثلاث فتيات في وقت واحد حتي ينساها ويقتل الصوت الذي يعذبه صوت ضميره يطالبه بأن يهتم بالطفل ويبحث عنه، رغم أنه رمي من قبلها وكما قالت له سعاد إن رجالا حملوه، ارتبط بزميلته في الجامعة حاول أن يتبادل معها الغرام والحب لكنه لم يجد فيها فتاة أحلامه، ارتبط بأخري دون أن يترك زميلته كانت فتاة تسكن في حي قريب منهم، ثم ارتبط أيضا بثالثة يقال إنها سيئة السمعة حاول أفراد شلته إبعاده عنها ولكنه قال لهم منهيا محاولاتهم

: منو القال ليكم أنا ببحث عن واحدة عندها سمعة....

قطع حبل أفكاره دخول والدته عليه وكأنها تريد أن تقول شيئًا يشغلها رفعت رأسها لصورة والد وائل مثبتة علي الحائط ركزت في عينيه ثم خفضت بصرها لوائل وركزت في عينيه تمامًا، وقف وائل منتظرًا حديثها.

- 23 -

مرت الأيام بسرعة ونبيل في منزل مني، كأنه مكتوب له أن تكون لحظات الفرح في حياته قليلة، حاولت مني أن تعوضه عن الأيام التي مرت عليه في منزل زوجة نزار، كانت تخرج يوميًا برفقته لإحدى الحدائق تقضي معه الأمسيات، عادت الفرحة مرة أخري في حياته، لكن تظهر في عينيه بقية للحزن خوفا من المستقبل، كأنه يعرف أن الذي يعيشه الآن لن يستمر، عندما حضر نزار ليسلم مني جزءًا من أغراض نبيل قال لها إن والده أوصاه أن تأتي إليه كما اتفقا، لم ينسَ أن يعتذر عما بدر من زوجته في منزله مع نبيل من معاملة كانت سيئة وما حدث بسببها في يوم الكرامة طالبًا منها السماح ومن نبيل قبل أن يخرج أخبرها أنه لن يمرر ما فعلته زوجته، سوف يتزوج قريبا من أخري.

ظلت نجوي طوال الفترة التي تبعت ما حدث فارضة عزلة علي نفسها عن الآخرين، أبعد كل هذه السنين يضربها زوجها وأين أمام الآخرين!! حتي وإن كانت قد أخطأت بأن تصرفت بدون علمه هذا لا يعطيه الحق في فعل هذا بها أمام الضيوف، حاول أن يحادثها لكنها أصرت علي موقفها، وبعد مضي يوم واحد حضر نزار للبيت حاول أن يحل ما

حدث ويحادث أمه علي أمل أن تعود المياه لمجاريها إلتقى به والده قبل أن يدخل إليها.

نزار: أبوي كيفك؟

نظر له والده طويلا أخذ نفسًا عميقًا وضرب كفا بكف قبل أن يقول له.

: حمد الله ماشي الحال لكن جيتي شكلها أزعجتكم.

نزار: كيف الكلام دا يا حاج !!

: عشان تعملوا العاوزنو ولما اتكلم تعملوا زعلانين أنت تمشي دون كلام وأمك تعمل مخاصماني مع إنو أنا المفترض.

نزار: لا يا أبوي هي ما عشان أنت طردت نبيل بس لأنك دقيتها قدام الـ.....

ذهب والده دون أن يستمع لما يقوله، دخل إلي حيث أمه ألقي عليها التحية لكنها لم ترد عليه بشيء حاول كثيرا في آخر الأمر تذكر ما يجعلها ترد.

: أنا جيت عشان أنتِ قلتِ أجي أشيل لنبيل شوية حاجات لكن شكلو الجميل غير رأيو خلاص أنا أرجع.

تحرك ناحية الباب فعليا وقبل أن تخطو خطواته خارج الدار نادت عليه طالبة منه أن يقف ثم قالت

: لا ما غيرت رأيي ولا حاجة

نزار: طيب ليه ما عاوزة تتكلمي معاي؟

نجوي: الحاجات في شنطة صغيرة بنية تلقاها في الغرفة الفيها أبوك شيلها وديها ليه وسلم لي عليه شديد

نزار: طيب أنت ليه مخاصمة أبوي؟ عارفاه إنو منفعل ..

نجوي: أسمع القلتو ليك دا وما عاوزة كلام في شيء تاني

نزار: بس أنتِ عارفة إنو هو منفعل كان والسبب خلاه كلام ...

نجوي: أنت كده قلت جزءًا من الحقيقة.... صمت لحظات قبل أن تواصل، أها وعملت شنو للكان السبب الكذبت وكانت سبب إنو أبوك يضربني؟

نزار: اا... أصلو ..هي حامل وق..

قاطعته: تشيل الشنطة وتوديها وبعد داك ترجع تفضي البيت دا الليلة عشان والله لو بكرة باتت فيه أطردها بالبوليس أجدع ليها كرورها الفي بيتي

نزار: أمي بس ال..

قاطعته: أسمع البت دي من يوم شفتها وأنا بطني جاها طمام وبعد دا ما بستحمل منها شيئا.

لم يجد بعد حديث أمه هذا مفرا إلا أن يأتي بها إلى البيت الكبير، ولم يسلم بعد كل هذا فقد أقسمت نجوي ألا تنام هي وزوجة ابنها في بيت واحد حاول معها وحاول زوجها وبعد أن تدخل والد نزار حاولت زوجة نزار، أن تؤثر عليه مرة أخري فقد بدأت تبكي تطالب نزار أن يذهب بها إلى بيت أبيها، تدخل ليحل المشكلة لكن زاد تدخله إصرار

نجوي وحسمت الأمر.

: شوفو يا أنا يا هي واحدة فينا حتنوم هنا.

وضعتهم أمام الأمر الواقع فعليًا بالدخول وأخذ بعضًا من أغراضها في حقيبة، طلب نزار من زوجته أن تعتذر لها بعد أن أخطأت في حقها وهي تضيف من عندها كلمات لكنها أصرت علي أن نجوي هي من تبحث عن المشكلات وأنها تقصدها في آخر الأمر ذهب معها إلى منزل أهلها.

أدرك والده حينها وهو يسمع لحديث ابنه أن زوجته قد أخطأت كثيرا وزادت الأمر لا يعرف ما أضافته لكن يكفي أنها فعلت حاول بعدها أن يعتذر لزوجته لكنها رفضت أي حديث حتي في المستوصف في زيارة نبيل رفضت أن ترجع معه فقد اعتقد أنها ستسامحه بعد تغير تعامله جزئيًا مع الطفل.

****

ذهبت مني لتلتقي بوالد نزار في حضور نزار نفسه إبتسم نزار عندما سألت مني عن نجوي وإكتفى بها كرد وعندما تم تجاهل سؤالها للمرة الثانية أدركت أنهم لا يريدون فتح الموضوع معها فصمتت.

والد نزار: أنا عرفت إنو ممكن تكون في أم بديلة للأطفال اللقطاء ديل مني: اسمهم الأطفال مجهولي الأبوين.

صمت قليلا ثم واصل متجاهلا ما قالته: أنا قررت أتكفل بجزء من مصاريفو وتدوه لأي واحدة ظروفها صعبة تتكفل بيه وكمان برضو نكون

حلينا المشكلة بتاعتو.

وافقت مني علي الحل رغم إنه يفترض ابتدءا أخذ الإذن من الدار لأنه لابد أن يتم القرار منهم لكنها وجدت في الحل نجاة لها مع زوجها، وافقت علي ذلك وبحثت عن أسرة مناسبة وجدتها فاتفقت معهم علي ذلك، نجوي رأت في الحل حلا وسطا ربما يغير زوجها من موقفه لاحقا، فكونه فعل هذا يبدو أنه في طريقه للحل وإلتزمت بمصاريف نبيل الدراسية وكل ما يتعلق بالتعليم، ليجد نبيل نفسه في منزل جديد وأسرة جديدة لا يعرف كيف تكون حياته.

ومنزل الأسرة لا يبعد كثيرًا عن منزل نجوي، منزل صغير غرفتان ومطبخ، غرفة للزوجة تدعى فتحية وزوجها والغرفة الأخري لأربعة أولاد أبناؤهم أكبرهم في الخامسة عشرة والأصغر في التاسعة، البيت خالٍ من كل مناظر الطبيعة غير شجرة لبلاب كبيرة بالقرب من الباب، أسرة بالكاد تستطيع أن تكتفي في حوجتها من عمل الأب والأم، من أول وهلة لنبيل أصيب بإحباط وشعر برهبة وكراهية لرب الأسرة الذي كان مدخنا شرها ونبيل لم يلتق بأحد من قرب يتناول الدخان كل ما يعرفه عنه أن من يتناوله إنسان سيئ ، كان محتارًا كيف لهذه الغرفة الصغيرة أن تتسع لهم جميعًا؟ قيل إنه سينام مع ابن التاسعة هذا، هو لا يحب أن يشارك الفراش أحدًا لكن حديث مني له أنه وضع موقت وإن أصبح لا يصدق أحدًا، قالت له إن والد نزار ساعد في هذا وإنه هنا فقط حتي يسافر.

****

قالت والدة وائل بعد أن ظلت صامتة لمدة وهي تتأمل في عيني ابنها حتي إنه أصيب بالاندهاش وسألها إن كانت عيونه بها شيء وما زالت تنظر إليه.

: أختك قالت تجيها في بيتها ضروري عاوزاك في موضوع مهم.

وائل: خير إن شاء الله؟

: ما بعرفها لكن بس قالت كده ولما تجي تمشي كلمني في حاجات عاوزة أديها لبتها الصغنونة

وائل: يا حاجة قولي أنت عاوزة تودّيني عشان كده ومافي ...

خرجت دون أن تستمع لبقية حديثه، ما الذي تريده أخته كانت أقرب شخص له لكنه بعد أن شارك في إجبارها علي الزواج أصبحت لا تجلس معه كثيرا، حتي بعد أن عاد بعد غيبة لم يشاهد في عينيها فرحة لرجوعه هل تريده لتعيد الأمور لنصابها؟ لقد أخطأ لكنه كان مجبورًا فبعد ما حدث منه مع سيدة أصبح يخاف كثيرا أن تلحق بها مصايبه، عاد مرة أخري لذكرياته استطاع أن يعود لسابق عهده بعد أن أنهي مأساة سيدة، فارتباطه بثلاثًا في وقت واحد دون أن يكتشف من أي واحدة بل كل واحدة تقسم علي أنه مخلص تماما لها، كان أفراد شلته يضحكون يقولون إنه عاد كما كان بعد أن انفصل عن سيدة، معتصم وحده كان من يدري السبب، كان يحاول أن يبتعد بعلاقته مع الثالثة عن أعين الجميع فهي مصدر شبهة لا يريد أن تسبب له سمعة سيئة، طالما شاهده الكثير مع بعض الفتيات لكن دوما يعتقدون أنهم زميلاته، لكن هذه الفتاة يعرفها أغلب الذين

يعرفهم، يستعجب الآن كيف ارتبط بها! وهو الذي كان يستحيي منها ومن ألفاظها التي تقولها والأغرب أنها أدركت أن له علاقة باثنين غيرها لم تقل شيئا لم تحتج وعندما سألها قالت له أنا أثق في نفسي كثيرا حتي إن أخذتك عني فغيرك العشرات ينتظرون أن أشير عليهم بالاقتراب، هل كان مسحورا! أبعد كل هذا يواصل معها! عاد من ذكرياته وقرر أن يذهب لأخته.

****

مرت الأيام، عام كامل مر علي نبيل في دار فتحية كانت حياته كلها أيام سوداء لا يعرف سببا لها فقط تأمره بأن يغسل ملابسه وأحيانا ملابس ولدها الصغير ابن التاسعة، أحيانا ترسله ليذهب للدكان وإن تأخر يعاقب، ثم تتحول المعاملة لأيام رمادية تهدده وتتوعده دون أن تفعل ذلك ثم تعامله بأحسن ما يكون عندما يقترب الشهر حيث تأتي امرأة برفقة مني يسمع أنها المرشدة التي تتابع حالته، انتهت السنة الدراسية الثالثة لنبيل، كانت بالنسبة له كارثية كما قالت أستاذته فنتيجته شهدت خروجه من العشرة الأوائل.

يجلس نبيل بعد النتيجة بيومين حزينا، كان يمسك في يده غصنا ناشفا من الشجرة قطعه من شجرة اللبلابة أشعل فيها النار كأنها سيجارة يضعها علي فمه فقد شاهد أبناء فتحية يفعلون ذلك في هذه الأثناء دخلت مني وشاهدته يمسكها في يده وهو يسعل.

- 24 -

خرج وائل من المنزل في طريقه لزيارة أخته، لها بنت أطلقت عليها نون سألها عن سبب التسمية فلا أحد في العيلة له هذا الاسم، لكنها لم تجبه في بادية الأمر ثم بعد مدة قالت له إنها حقا لا تدري سبب الاختيار، سؤال ظل يطرحه علي نفسه أحقا صادقة لا تدري أم أنها غاضبة لا تريد أن تقول له؟ فردها يوحي بأنها تريد أن تنهي الحديث، أحيانا عندما يسمعها تضحك يظن أنها رضت بما حصل واقتنعت بزواجها وإن غضبها منه بسبب فعلته التي إرتكبها لا لأنه شارك في إجبارها علي الزواج، لكنه يعود ويقول إنها منذ زواجها تعامله هكذا قبل أن يحدث ما حدث وغير مجري حياته، فيرتاح قليلا لكن الشك لا يسمح له بمثل هذه الراحة أفيعود ويتذكر أنها تعامل والده بصورة أفضل رغم أنه شارك بل هو من أجبرها فعليًا ولأنه يبحث عن إثبات التهمة ونفيها معا عن نفسه، يعود ويقول إنها لم تكن تظن أنه سيشارك فقد كانت تتوقع هذا من أبيها أما منه هو فلا، فقد كان يبث فيها الاطمئنان بحديثه أنه لن يسمح لأحد حتي والدهم أن يفعل ذلك لذا كانت الصدمة أكبر بالنسبة لها.

ظهرت إحدى الحافلات العاملة في مجال النقل أشار إليها توقفت صعد

وجلس مقاصدا النافذة لحظات وابتدأ أحد الفنانين لا يعرف وائل اسمه يصدح بأغنية يقول:

بي ذكراك معذب .....كل ما الليل مسالي
قلبي يزيد حنانو .....وقلبك ليه قالي
جرت وجار زماني ... وخاطرك طاب نساني

هل تتغني سيدة بمثل هذه الكلمات؟ أتدعو عليه كل ليلة؟ أم نسته بعد هذه السنين، يتمني لو تنساه بعد كل هذه المدة، ركز ببصره خارج الحافلة لا يريد أن يسمع كلمات الحزن هذه، لماذا يتابعه الحزن في كل مكان؟ هل هو ذنب سيدة؟ لا هو لم يذنب في حقها فقد أخطأ معا وكانا يستحقان العقاب معا، والافتراق أكبر عقاب كان يقول هذا محاولًا إقناع نفسه ومن داخله حقًا لا يدري إن كان قد ظلمها هو أم هي من ظلمت نفسها وخانت أهلها فقد كان بيدها أن تظل صامدة وتمانع أي علاقة معه بل أضعف ذلك أن ترفض الذهاب معه لمنزل صديقه أي فتاة عاقلة لن ترضي بأن تذهب إلي منزل فارغ ستكون فيه هي وحبيبها والشيطان، أي شخص آخر غيره كان سيقطع علاقته بها إن فعل ذلك لكن ما يشعره بالذنب أن هنالك طفلًا قدم لو لم يكن يحدث هذا لما تذكرها وصوله لهذه النقطة أعاده لأيام من أربعة أعوام مضت. تذكر ذلك اليوم الذي التقي فيه بتلك الفتاة سيئة السمعة كان يناديها المرة ولم تكن تعترض لم يحس في يوم أنها تبحث عن الغرام فقد كان يكفيها ما يقوله وتقتنع عكس كل من مرن عليه قالت له يوما في ساعة أنس إنه أكثر شخص محترم تعرفت عليه لذلك لا تريد أن تخسره، وإن

كانت لن تتردد في ذلك إن كان لا بد من هذا، قالت له إنها ليست سيئة لكن الظروف التي أجبرتها وهو يدري أن كل من يقع في بحور الخطأ يرمي الظروف بهذه التهمة، قالت إن والدها توفي وتزوجت أمها من رجل محترم لكنه بعد سنتين فاجأ أمها بأنه سيطرد ابنتها وذلك بعد أن وضعت والدتها طفلًا آخر، قال إنه لا يريد أن يربي طفلة رجل آخر سمعته يقول لأمها في يوم بعد الغداء

: وديها لحبوبتها أنا كل ما أشوفها بتذكر إنو كان في راجل قبلي في حياتك.

حاولت والدتها كما تقول أن تبعد وسواسه، قالت إن هذا الرجل مات لكنه لم يغير موقفه رغم أنه كان يعاملها حسنا في بادئ الأمر، قال إنه سوف يقوم بالتكفل بنفقات الطفلة لكن تسكن بعيدا عنه، ولأن أمها لم تكن تمتلك خيارًا بعثتني لوالدتها، قالت إن في بيت جدتها وجدت الدلال لم تكن تسألها ولا تعاقبها عندما كانت نتائجها تسوء قالت الجدة لوالدتها عندما همت بضربها

: قراية شنو كمان البدقو فيها! هي ذاتو البت غير بيتها ما عندها شيء وأنتِ دي ذاتك ما فلحتي في المدرسة من تالت مرقتي.

لكن رغم ذلك تقول إنها أصرت علي المدرسة لأنها تعطيها فرصة للخروج واللعب كانت أيضًا تخرج في المساء وتقول إن لديها دروس تقوية وتعود متأخرة، لا تسألها جدتها أين تأخرت بل تقابلها ببسمة وترفع يدها للسماء تدعو الله أن يوفقها فقط لإسكات أمها، تقول تعرفت حينها علي

شلة سيئة إحدي صديقاتها يصنع في بيتهم الخمر وكانت تذهب مستعجبة من الرجال الذين يدخلون بهندامهم ثم يعودون آخر اليوم وحالهم قد تغير فقد كانت تأتي وتلعب مع صديقتها هذة ومعها أخريات في وقت دروس التقوية، لأنها تريد أن تستمر أصبحت تجتهد حتي تحصل علي درجات تجعلها تنتقل للفصل الذي يليه، تقول إن صديقتها أخبرتها بلعبة لكسب النقود لشراء الحلوي حيث كانوا يأخذون بعض النقود الصغيرة من السكاري وهم في حالة سكرهم هذه.

انتبه وائل أنه قد تخطى محطته فصفق بيديه منزعجًا للكمساري ليوقف له الحافلة.

****

تفاجأت مني بنبيل يسعل وهو يحاكي السجاير بغصن الشجرة لقد كانت تريد أن تعرف ما الأمر ونتيجته التي تدهورت لقد كاد يسقط في مادتين، هذه أول مرة تأتي هنا دون إذن مسبق، أيعني أن هنالك مصائب كثيرة كانوا يخفونها عنها، عندما يعلموا بمجيئها، من غير أن تشعر قامت بضربه بكل ما أوتيت من قوة تضربه وهو صامت فتحية تحاول أن تبعده عنها لكنه كان يقف كأنه يستمتع بهذا لم يبكِ، في آخر الأمر أحست بأن نظرة نبيل تحمل عتابا وتحديا فتوقفت عن ضربه توجهت لفتحية بأنها لم ترعه حقا كما يجب، كيف تتركه حتي يدخن هكذا، حاولت فتحية تبرير فعله بأنه أول مرة يفعل ذلك وقد كانت بعيدة وأنها مجرد لعبة وشجرة لا سيجارة، لكن نبيل كأنه يريد أن يواصل في التحدي عندما أكد أنها ليست

المرة الأولي له بل إنه لا يستطيع أن يقول كم مرة فعل ذلك، قال لها إن فتحية نفسها شاهدته يفعل هذا، قال لمني إنه لا يحب الكذب لذا قال الحقيقة، علمت منه أن ما يفعله هذا يشاهده من ولدي فتحية الاثنين اللذين يكبرانه مباشرة في السن لقد قالا له ومعهم بعض أصدقائه الجدد إن الذي يفعلونه دليل رجولة، لكنه دوما يصاب بالسعال فيضحكون فيه إنه ما زال طفلًا لذا يفعل هذا الآن بعيدًا عن أعينهم ليتعلم حتي عندما يفعل ذلك أمامهم لا يسعل مرة أخري، قال لها إن أحد أبناء فتحية سخر منه مرة وقال له إنه يشرب ما يرمي به والده من بقية السجاير ولا يفعل له شيئا لأنه رجل لا طفل.

هدأت مني من روعها قليلًا رغم غليان الدم بداخلها فهي من اختارت هذه الأسرة، إذًا لها دور في كل ما حدث له، غيرت الموضوع فسوف تترك أمر ما يفعله لاحقا بعد أن تهدأ لتفكر بحكمة، سألته عن سبب تدني مستواه أتت إجابته صادمة لها.

: عشان ما عاوز اقرأ تاني ولا حاجة لإنو ما في زول بحبني كلكم بتغشوني كلو واحد بيقول بجيني يسوقني ولا بجي أنتِ وماما نجوي ونزار.

كلامه جعلها تدخل في حالة أخري احتضنته وظلت تبكي بحرقة شديدة فيما ظل هو صامتًا وما زالت نظرة الشك والعتاب كما هي.

طوال الحديث ظلت فتحية غاضبة مما تسمع من حديث نبيل الذي فضحها ورمى كل ما يحدث له بسببها بداخلها كانت قد اتخذت قرارًا ألا

تتركه ستجعله يندم علي كل ما قاله فقط تذهب مني هذه، ثم عندما وصل بهم الأمر لبكاء مني قالت له في حديثها إنها صادقة لن تتركه علي أقل تقدير لن تتركه لهذه الأسرة التي ما رعته كما ينبغي، تغير عندها موقف فتحية التي كانت قد نوت علي عقابه، أصيبت بصدمة ورهبة فقد كان حديث مني هذا يعني أنها ستفقد جزءًا من مواردها فالأموال التي تدفع لها مقابل رعايته والجزء الذي تأخذه من أموال نبيل التي توضع كمصروفات له غيرت كثيرًا من حياتها، حاولت أن تهدي من روع مني، قالت لها إن كل ما في الأمر دلع أطفال وأن تنسي ما قال لكن مني حسمت الأمر بأن طلبت منها حقايبه وما يملك وما استطاعت أن تفعل شيئا، مني أخبرت زوجها أنها سوف تستضيفه معهم فقط حتي تجد مربية جديدة وأن الأمر لن يطول شفع لها عنده أنها أبعدته من منزله عندما طلب قبل عام ذلك عندما قال إنه سيغيب لثلاثة أسابيع فقط هذا جعله يوافق علي طلبها هذا.

****

وجد نبيل نفسه في بيت مني من جديد وهذه المرة لها طفل صغير، كم تمني أن تكون والدته حاضرة، ستتغير حياته لن يجد نفسه كل يوم في مكان ما بين عذاب وأمل، مني لم تسأله عما شاهدته ولم تحكِ لنجوي التي ظلت تأتي يوميًا لزيارته ولم يتحدث معه أحد عن النتيجة وكأنهم يعترفون بأن لهم دورًا مهما في ما حدث، بعد شهر قضاه عندها، كان خلالها يأكل أكثر من طاقته فمني ونجوي تتباريان لإطعامه يقولان إنه محتاج للتغذية، كأن مني لم تلاحظ ذلك إلا الآن رغم أنها تزوره بصورة منتظمة شهريًا مع مشرفة

الدار ثم تأتي في بعض المرات لوحدها كان يخاف أن يقول لها ما يحدث حتي لا يعاقب بسبب حديثه من قبل فتحية.

سمع حديثا هامسا بين مني ونجوي أن زوج مني يسألها دوما متي يغادر نبيل إلي من ترعاه أصيب بهلع لكنه قرر ألا يظهر ذلك أبدًا فقد لمعت فكرة في رأسه سوف يقوم بها عندما يغادر إلى أي أسرة جديدة، لكن بعد أسبوع قدم نزار في صحبة أمه قالت لمني إن نزار سيتكفل مبدئيًا بنبيل فيما تبقى من عطلة، استفسرت منها أين يقيم معه خاصة أنه مختلف مع زوجته منذ شهور ولولا الطفل الذي أصبح بينهما لكانا قد انفصلا، قالت لها نجوي إن الصالون في منزلها مفصول عن البيت وقد تركته من دون إيجار يستطيع نزار أن يقيم فيه مؤقتًا، ونبيل الآن يستطيع أن يظل مع نزار دون خوف فهو لم يعد طفلا يحتاج لرعاية كاملة، كذلك سمع أن نجوي قالت إنها سوف تحضر إليهم كل يومين أو ثلاثة لتقوم بمساعدتهم، وجدت مني أن هذا حل أفضل وإن كان مؤقتا.

وهكذا وجد نبيل نفسه يعيش مع نزار لوحدهم دون أي أنثي ربما هذا فضل له بعد تجربته مع زوجة نزار والتجربة الأخري مع فتحية.

- 25 -

اعتقد نزار أن وجود نبيل معه فرصة ليحادث أمه بشأن زوجته المعتكفة في المنزل، لكن والدته التي عاشت بسببها في خصام مع والده معظم الإجازة التي قضاها في السودان ولم تسامحه بسهولة حتي بعد أن تكفل بأغلب مصاريف نبيل رغم أنها سنين ظلت تنتظر هذا، فبعد كل هذا لن تسامحها بسهولة، وهما مثل بعضهما كل واحدة تصر علي موقفها أكثر من الأخري، حاول أن يستأجر لها منزلًا لكن راتبه لا يسمح بهذا، عندما حادث أمه بشأنها لم تتحدث ولم تسكته كما كان يظن ولم تفعل كل ما كان يتوقعه من ثورة بل كانت هادئة جدًا ظلت صامتة حتى أنهى حديثه، لم ترد عليه، لو أردنا الدقة بعد أن أنهى حديثه خرجت دون أن تعلق بشيء فقط وضعت طعامًا كانت قد أحضرته لهم بعدها غابت لأكثر من أسبوع، ظلت خلالها ترفض محادثته علي الهاتف حيث تضع السماعة بعد أن تدرك شخصية المتصل من صوته، ذهب إليها أخبرها أن نبيل رافض فكرة الأكل من أي طعام آخر أحضره له، حديثه هذا جعلها تغير من موقفها بأن تزورهم لكنها تقضي كل وقتها في محادثة نبيل ثم استمر الأمر بضعة أيام أخري قبل أن تعود المياه لمجاريها بعد أن توقف

عن مفاتحتها بموضوع زوجته.

ولحسن حظ نبيل قرر نزار أن يقف معه حتي يعود لمستواه الدراسي، ظل نبيل يعيش في راحة خلال الإجازة، راحة افتقدها كثيرًا، ظنت مني ونجوي أن نزار سوف يطلب منهما أخذه بعد انتهاء المدة التي قالها لهم.

فقبل أسبوع من المدرسة وصلت نجوي برفقة مني لزيارة نبيل وبعد نصف ساعة إلتفتت منى ناحية نجوي ويظهر عليها الحزن

: يا خالتي نجوي خلاص الإجازة قربت تنتهي

نجوي: أي وما شاء الله نبيل حيمشي رابعة

مني: بس أنتِ نسيتي ؟

نجوي: نسيت شنو؟

مني: نزار قال إنو متكفل بيه فترة الإجازة وخلاص باقي للإجازة أسبوع

نجوي وكأنها تسمع هذا الحديث أول مرة ضربت صدرها بيدها علامة الاندهاش وبصوت واطي كأنه خرج بعد جهد وتعب.

: قلتِ شنو؟

لكنها قبل أن تجد الرد واصلت الحديث وكأنها قد تذكرت كل شيء

: أي والله دي مشكلة الحل شنو!

مني: المرة دي لو لقينا واحدة لازم تكون متدينة وبعد دا عاوزة متابعة شديد.

نجوي: ما تخافي نقوم ننط ليها أنا يوم وأنت يوم نكرهها ما نديها

فرصة... قطعت حديثها وهي تشاهد الحزن الذي ظهر علي نبيل بعد أن سمع حديثهما كانت عيناه تغالبان الدمع ليظهر نزار في الوقت المناسب وكان قد سمع الحديث الذي دار ليدخل وعلي وجهه علامات الجدية وابتدر الحديث

: أنا والله بعرف واحد حيرعاه ليكم تمام من غير خوف.

نجوي: قول منو دي؟

نزار: وكمان ما محتاج تنطو كل يوم والتاني عشان تتأكدو

مني: قول ياخ؟ ما عندنا صبر.

اقترب نبيل منه وكأنه أيضًا يستعجل ليعرف مصيره.

نزار وقد غير تلك الجدية التي رسمها قبل قليل.

: هنا معاي أنا دا بس كترو لينا من الأكلات السمحة ولا رأيك شنو مش بنحتاج لحبة أكل يا نبيل؟

****

كانت شقيقة وائل تنتظره بفارغ الصبر تريد أن تحادثه في أمر نبيل شقيقها الذي كان أقرب إنسان لها ثم فجأة تغير عليها، كانت تدري أنه لعامين كان يتهرب من مقابلتها وعندما يلتقي معها عن طريق الصدفة يحييها وعيناه في اتجاه آخر عامين مسحها هو من حياته ولا يتذكر إلا الأعوام الأربعة التي تلتها أعوام الرماد للأسرة.

وائل: أنتِ جبتيني عشان تسرحي ولا شنو!!

الحق حديثه بضحكة ليؤكد أن الأمر مجرد مزحة ألقاها، أنزلت طفلتها

التي وضعتها بعد عام من زواجها واتجهت للمطبخ لتعد له كوبا من الشاي لحقت بها الصغيرة لم تكترث لوائل الذي يناديها، عاد وائل لخياله، لقد ظل مع الفتاة رغم أنه كان متأكد أن لها علاقة مع أصدقائه أنفسهم فقد وجدت عندهم المال والقوة كان محتارًا أن لؤي ومعاذ لا يعلمان أنها تخدعهم الاثنين معا لكنه يدري، أخبره معتصم أنها أقامت مع معاذ علاقة جنسية لكنه كان كالمسحور لأنها مع مرور الزمن أصبحت تنسيه سيدة والعذاب الذي يأتيه من ضميره، كان في علاقته هذه يقنع نفسه أن جميع البنات خائنات لا يستحقن الشفقة استمر معها لعامين يغيب عنها أياما ويعود لم تكن تسأله ولا تعذبه باحتجاج متي ما عاد تستقبله، قطع حبل ذكرياته دخول أخته عليه مدت له كوبا من الشاي وأخذت آخر، حكت له ما لاحظته في عيني نبيل وعلاقة ذلك بالأسرة عندما أنهت حديثها وقف غاضبا وسألها بصوت عالٍ خافت أن يصل للجيران

: وأنا مالي عيونو بتشبهنا ولا ما بتشبهنا؟

حاولت أن تهدي من روعه فربما يصل صوته للجيران، لم يهتم بمحاولاتها وواصل

: سألتِ أبوك؟ سألتِ أعمامك وأولادهم؟ ولا بس أنا البقيت حيطة للمصائب في العائلة؟

: لا والله ما قصدي إني أتهمك بس كنت قلت مع أمي إنو أنت ممكن تس..

قاطعها: وكمان مع أمك اتفقتوا!! ضرب كفيه ببعضهما البعض

وواصل حديثه

: وليه اليكون أبو من العائلة ما يمكن تكون أمو من العائلة لي مش ممكن يرث منها الشيء دا ثم بعدين أول

أبدأ بزوجك مش من العيلة دي؟

صمتت لم تتحدث معه كثيرا حتي لا يتحول الأمر لنقاش ودعت الله أن يهدأ فالطبيب أخبرهم أن أي انفعال أكثر من الطبيعي ربما أعاد له الحالة التي جعلته طريح المرض لأكثر من ثلاثة أعوام.

****

لم تستطع سيدة أن تنسي طفلها نبيل كما طلبت منها صديقتها سعاد، أنهت سنوات دراستها الأربع بالجامعة، كأنها تبحث عن كفارة لما فعلت قررت أن تعمل ممرضة في مستشفى الأطفال وكانت محظوظة بأن تحقق حلمها هذا لقد استجاب الله لدعوتها أحست براحة وطمأنينة لذلك فهي طوال السنوات الأربع لم تكن تحلم بشيء أو تدعو الله إلا بالمغفرة فقد كانت تخاف أن تدعو ولا يستجاب لها بعد ما فعلت، تقدم لها ابن خالها بعد التخرج ورغم إصرار أسرتها إلا أنها رفضت الارتباط به، كانت تخاف أن يفتضح أمرها أن تكتشف أسرتها أنها خانتهم ومع إصرارها واستخدامها سلاح البكاء والإعتصام عن الأكل أعطاها والدها حرية الاختيار رغم أن أمها وإخوتها كانوا يلحون عليها بالزواج منه، إخوتها التي تضعهم أحد أسباب ضياعها، لا ترمي اللوم عليهم كاملا ولكنهم قادوها لذلك، كانوا يعاملونها بصرامة كل الحديث بينها وبينهم أوامر

وعليها أن تستجيب فقط لطلباتهم بأسرع ما يمكن تقف والدتها معهم وتقول لها إنهم رجال يجب أن يطاعوا، كم كانت تتمني لو كان إخوتها كسروا الحاجز الذي بينها وبينهم، حاجز الرهبة والخوف لو عاملوها كصديقة كانت ستلبي كل طلباتهم من غسيل وغيره عن طيب خاطر لو قربوها منهم لما كانت بحثت خارج الدار عن الحب والحنان الكاذب، كم تتمني أن تنصح جميع الإخوان أن يعاملوا أخواتهم كصديقات وأميرات لا كجواري حتي لا يبحثن وهما عن الحنان خارج الدار حتي عندما يرتبطن لا يرتبطن عن ضعف، فلو كانت الفتاة قوية في المنزل بإخوتها وتعاملهم معها حتي إذا ارتبطت أو وقعت في الحب سيكون حبها بحثًا عن شريك يقاسمها الحياة، لتحقق ذاتها سيكون من أحبته أمامه خياران الباب وأبوها أو فليذهب غير نادمة عليه، لن يستطيع خداعها بمعسول الكلام فهي لا تبحث عنه.

كانت تريد أن تتأكد كأقل شيء لتريح قلبها هل نبيل ما زال علي قيد الحياة أو مات ارتاح من ظلم والديه والمجتمع، ظلت تفكر في طريقة لمعرفة ذلك دون أن يفتضح أمرها بالسؤال عن نبيل، بعد شهور من العمل اهتدت لفكرة، وجدت أن الحل في وظيفتها وبمساعدة المستشفى أخذت خطابًا للدار كان فحواه مساعدتها في الإعداد لتقديم مقترح لورقة علمية، عندما التقت بالمدير أخبرته أنها بصدد عمل دراسة عن معدل الوفيات للأطفال مجهولي الأبوين في الخمسة سنين الأخيرة وبعد نقاش وأسئلة أعطاها المدير كشفًا للوفيات خلال الأعوام الخمسة

الأخيرة وتقرير مفصل يحوي إحصائيات سنوية خلال نفس الفترة، وكان صعبًا أن تعرف وضع نبيل خاصة وأن الطبيب في المستوصف داخل الدار أخبرها أن الكشوفات السنوية تكفي ولا تحتاج لكشف الأسماء لكن مع إصرارها وتوصية المدير أعطاها له بشيء من الشك، جلست لأيام تراجع الأسماء ثم تقارن بالتقرير في محاولة لإبعاد الشك عنها في آخر الأمر أحست بالراحة لعدم وجود اسم نبيل ضمن الكشف، ابنها ذو الخمسة أعوام ما زال علي قيد الحياة، سألت الطبيب إن كان الكشف دقيقًا وجميع من مات قد دون، تحول الطبيب لشخص آخر قال لها في غضب إنهم يؤدون عملهم علي أكمل وجه ولا يوجد ما يجعلهم يزورون في الكشوفات سألها باستفزاز إن كانت تبحث عن طفل معين عليها أن تختصر المسافة له ولنفسها.

****

يفرح التلاميذ عندما تكون إحدي الحصص فارغة لسبب أو آخر يأتي المسئول عن الفصل يحذر من أن يسمع صوتهم.

: يا ناس رابعة أنا عارفكم كويس قليلين أدب المدرسة كلها بتشتكي منكم مالكم يعني؟

يهز السوط الذي يحمله كتهديد للطلاب ثم يواصل الحديث.

: والله الليلة أسمع صوت واحد فيكم إلا تعرفوا حاجة بلا قلة أدب معاكم.

يشير لأحد الطلاب الذي يبدو في حجم أكبر من الأخرين أن يقف.

: اسمع أنت أقيف لي هنا أي زول يشاغب أكتبو ولو جيت لقيت ما كتبت زول وفي إزعاج والله إلا تشوف حاجة عقاب الفصل كلو تأخدو أنت.

كان هذا إذنًا من الأستاذ أن يأخذ الألفة حرية التصرف في الفصل وتأثر علاقة الألفة مع التلاميذ في قائمة المزعجين دوما.

نبيل كان يجلس صامتًا أحد المشاغبين الذين دومًا ما يتعرض بالحديث لنبيل لكن مكانة نبيل في الفصل وشطارته تحسم الأمر لصالحه في هذا اليوم بدأ الطالب في التعرض لنبيل بالكلام مع جاره الآخر.

: اسمع «إنت الولد الامو رمتو دا مالو مكرهنا».

الآخر: قالو أمو شماسية هههههههههههههه.

ضحك الاثنان وانتقل الضحك لأغلب الفصل بعد أن علما ما قيل أخرج نبيل الذي تملكه الغضب برجله من علبة الهندسة وتقدم ناحية الطالب وبكل ما أوتي من قوة قام بطعنه ليختلط صوت الضحك مع الصراخ.

- 26 -

خرج وائل من منزل أخته غاضبًا أيعقل أنه حتي والدته أصبحت تشك فيه وتضعه موضع الشك لكنه فعلها من قبل ما الذي يمنعها إذن من الشك، إذن لقد اتفقتا عليه هدفهما أن يتعرفا علي أصل نبيل وما دخله بنبيل هذا هل بعد أن أصبح منبوذًا في عائلة نجوي يريدان منه أن يتبناه أم أن والدته حنت لتبني طفل وهي التي كانت قد قررت أن تفعل ذلك بعد زواج شقيقته لكن والده رفض الفكرة تمامًا وهددها أن أي طفل تأتي به من خارج العائلة سيكون مجيئه بمثابة انتحار، هل تذكرت والدته حديث والده، فأرادت أن تأتي بطفل من العائلة ووجدت في نبيل الطفل الذي يمكنها أن تتبناه ووجدت أنه المفتاح الذي عبره سوف تجد مبررًا للولد إن كانت تريد ذلك فلتأخذ ابنه الحقيقي وتربيه، لكن أين هو ابنه هذا؟ أخذ نفسا عميقا وعاد بذكرياته لتلك الأيام.

يجلسان هو ومعتصم وأغنية الفنان محمود عبد العزيز تخرج من الدكان علي الناصية يستمعان باستمتاع وفي يد كل واحد منهما كوب شاي

زادت في أعماقي الجراح زاد في حشاي نزف النزيف
مطعون وفي حبك جريح صامد وكل زادي حروف

واقف في باب الانتظار حانتظر أكتر وأقيف

أنا يا زمان الانهزام صابر ومثابر بالصبر

عايش وفي جواي.....

وائل: في ناس زي ديل عليك الله هههههههههههههه عذاب إيه وحب إيه!

معتصم: خلاص شكلك نسيت وجرح سيده..

قاطعه وائل: ياخ مالك علي؟ أنا نسيتها والله وكل مرة تذكرني ليها أنت فهمك شنو معاي ؟ ياخ حرام عليك والله.

معتصم: خلاص حقك علي خليني أسمع براك قاطعتني وأنت عارف أنا الحوت دا ما برضي حد يقاطعني فيه أسمع أسمع ومن أسي معزوم نادي الضباط حفلة كاربة بيه.

صمت الاثنان معًا وما زال المسجل يخرج الصوت

ومهما ما المشوار يطول

بمشي علي الدرب الطويل

عشان أحقق...

معتصم يقطع الصمت والاستماع: لؤي داك جاي علينا ماشي مستعجل كده مالو؟

وائل: أول مرة أشوفو جاري يمكن يكون عندو ... قطع حديثه كأنه يفكر ليكمل والله ما عارف

كدي اليجي نعرف.

وصل لؤي كانت عيناه تقول ما به، كانت تحمل خوفًا ظاهرًا، الناظر إليه يظن أنه سمع خبرًا بالغ السوء قبل لحظات كانت أنفاسه تتصاعد كأنه وصل من سباق قبل قليل مع بعض حبيبات العرق التي تكونت في جبهته.

معتصم: في شنو يا زول؟ شكلك مخلوع ولا ساكيك شيء؟

لم يرد لؤى، وقف وائل وتحرك ناحية أحد الأزيار التي وضعت كسبيل في الشارع أخذ كوبا وعاد مد الكوب للؤي أخذه شرب منه قليلًا ثم غسل وجهه وجلس.

وائل: روق كده واحكي الحاصل شنو خلاك في الحالة دي؟

أخذ نفسًا عميقًا وتلفت إلي الناحية اليمنى ثم إلي اليسار ومسح وجهه وقال بصوت منخفض

: قالت حامل

وائل: منو دي؟

لؤي: واحدة كنت بعرفها

وائل: وكمان بتعرف من ورانا! كدي احكِ لينا الحاصل شنو؟

بدأ يحكي في قصته دون أن يذكر أسماء، وفي أثناء حديثه يتبادل وائل ومعتصم النظرات هل هي الفتاة التي يعرفها؟ كانت نظرات معتصم تؤكد شكوك وائل التي بدأت تدب فيه، انتقلت الحالة إلي وائل إذن فقد أصبحت حبلي والآن يريد منه لؤي أن يحل له المشكلة، هو لا يعرف أن

أي مساعدة قد تجعله هو من يقع في المصيبة وقف مسرعًا دون أن يتحدث، بينما لؤي ينادي عليه لم يهتم به ففي رأسه تدور قصة حياة أو موت، لن يساعده بل سيكون داعمًا لاتجاه أن يثبت النسب والجريمة في صديقه لؤي، قال لنفسه يريد أن يبرر ما سيقدم عليه أنه يستاهل ما سيجري له لأنه قد خانه منذ البداية، كان يريد أن يصل إليها ليعرف حقيقة الأمر وهل ما سمعه حقيقية أو أن لؤي يقصد أخري؟ تمني هذا رغم أنه مؤمن بأنها هي فلا يعتقد بل متأكد أن تكون له علاقة قديمة.

****

رغم أن الإصابة كانت في اليد لكن لسوء الحظ جاءت في الشريان مباشرة لذا بدأ الدم في الخروج يتطاير كالنافورة أول ما شاهد الطالب الدم يخرج منه بدأ في الصياح، وقف نبيل يمسك البرجل يرفعه لأعلي مهددا الآخرين أصيب بالصدمة بسب ما فعل، لحظات أتي الأستاذ مسرعا قام بربط اليد المصابة وبالإسعافات الأولية وأسرع بالطالب للمستوصف، أستاذ آخر يؤنب نبيل الذي بدأ في البكاء تملكه الخوف قد امتلكه وبقية الفصل يصيحون.

الليلة والليلة يا نبيل بودوك االسجن الليلة والليلة.

حاول الأستاذ إسكاتهم لكن في آخر الأمر أمسك بالسوط وابتدأ في ضربهم.

في المستوصف طلب الطبيب فتح بلاغ قبل أن يبتدئ العلاج، ليتم فتح البلاغ تبعه إصدار أمر قبض ضد نبيل وصل البوليس إلي المدرسة

لكنه لم يجد نبيل الذي هرب عندما سمع ما قاله زملاؤه بالفصل، وهو في طريقه خارج المدرسة شاهد الشرطي يصل إلي المدرسة مما جعله يغير من فكرة العودة للبيت خوفا من أن يلحق به هنالك.

****

يوم كامل ونبيل مختفٍ لا أحد يعلم له طريقًا، نجوي ونزار يبحثان عنه، انضم لهم والد الطفل نفسه فقد حكي لهم أحد المتواجدين بالفصل ما حدث ليتنازل عن القضية كفارة لما حدث وحضر ليعتذر عما جرى من ابنه رغم معارضة الأم بأن يسجن من قام بإيذاء ابنها، عندما وصل إلي البيت ووجد الخبر انضم إليهم وبسيارته ظل يبحث معهم، نجوي تبكي بصوت عالٍ فشلت كل المحاولات في إسكاتها اتصلت بمني لتأتي إليهم وتنضم للفريق رغم طلب نزار من والدته أن تظل في البيت مع مني لأن وجودهما معهم يخصم من الجهد المبذول ويعرقل عملية البحث لكن نجوي أقسمت إن لم يتركوها معهم سوف تذهب تبحث لوحدها ولن تنام إن لم يعد ابنها نبيل.

بعد يوم كامل وجد نبيل يبكي أمام ميدان يبعد عن المنزل بقليل بدأ في البكاء لم يسكته إلا حديث والد الطفل المصاب طمنته نجوي أن البوليس لن يمسك به ولن يعاقبه أحد إلا الأستاذ المسؤول.

في المدرسة تم عقاب كل من شارك في الأمر حتي الطالب المصاب وبالتأكيد نبيل، بعد العقاب أعطاهم الأستاذ محاضرة طويلة فيها لوم شديد للطالب المعتدي لفظيًا، نبيل نال حظه في المحاضرة، نصحه الأستاذ

ألا يفكر في أخذ حقه بيده فيتحول من مظلوم لظالم، طلب منهم الأستاذ أن يتصافحا، فعلا ذلك أمامه رغم أنه كان يدري أن هذا مجرد مشهد سخيف لن يقتنع به الاثنان.

****

وصل وائل لتلك الفتاة حياها وجلس صامتًا

: مالك ساكت كده؟ جيت لي وطلبت تقابلني سريع عشان نقعد نسكت!

وائل: جاني لؤي وعاوزني أساعدو عشان ما يشيل مسؤولية الفي بطنك.

أصيبت بالحيرة لم تكن تريد أن تخبره بهذا الآن علي أقل تقدير، هو نفسه كان يفكر خلال الطريق في كيفية مواجهتها لكنه من أول وهلة قال كل الحديث في جملة واحدة.

: يا وائل والله أنا..

وائل مقاطعًا: ما في شيء ما تنتطي لي عيونك كده أنا معاك الولد دا ولدو ولازم كل زول يتحمل مسؤولياتو.

: يعني ما زعلان مني؟

وائل: لا بالعكس أنا عاوزك تصري علي حقك

اتفقا علي خطة كاملة حتي يجعلا لؤي يوافق علي تحمل ذلك ورغم أنها كانت ضد فكرة أن تتزوج به، لكن وائل أقنعها أن هذا هو الحل الوحيد، قالت له

: كيف أتزوج وأنا بعدت لي أربعة شهور من أي راجل وفضلتك علي الجميع قلت تكون حياتي كلها معاك؟ قال لها إن هذا ظرف فقط لن يستمر كثيرا.

مضي شهر بأكمله لتأتي والدته في أحد الأيام توقظه من النوم ما زالت آثار النوم في عينيه جلس قليلا ثم نظر لوالدته وسألها بصوت لا يتناسب مع كونها والدته.

: في شنو الزول ما ينوم في البيت دا ولا شنو؟

والدته: في واحدة بره ومعاها مرتين بتقول كلام غريب كده.

- 27 -

مرت الأحداث سريعًا علي وائل، والده الذي كان يخاف الفضيحة لوضعه الإجتماعي جعله يجبر ابنه علي الزواج من الفتاة، قال له

: اسمع يا ولد أنت البت دي كلامها صاح ولا ما صاح ولدك ما ولدك دا ما مهم المهم لازم نمسك لسانها دا انا ما ناقص فضائح لازم تتزوجها يعني تتزوجها.

وائل: بس يا أبوي ما ممكن أنا اشيل بلوة غيري

: وأنا ما ممكن أضيع كل البنيتو عشان بلوة غيري شوف يا تتزوجها يا تشيل شنطتك دي وتمرق برة البيت

وائل: بس يا أبوي ..

قاطعه: نسيت أنت قلت لي أختك شنو؟

عاد وائل بالزمن لقبل أكثر من عامين عندما قالت أخته إنها لن تتزوج مهما حدث، قالت إنها لن تستطيع أن تعيش مع شخص لا تحبه وابن عمها هذا تعتبره أخوها كان حديثه هو ما حسم الأمر قال لها

: أنا عارف دا بس كمان ما نكون أنانيين لازم الواحد يضحي عشان الأسرة.

: لكن الأسرة مالها؟ ومشكلتها شنو؟ يعني ما عندنا الناكلو وهو الحيوفر لينا دا ولا شنو؟

وائل: لا لكن في كلمة أبوي قدام الرجال وافق عاوزة كمان تصغريه قدام الرجال.

عاد من ذكرياته، نظر لأخته الواقفة تنظر إليه بمزيد من الاحتقار والشماتة، تحتقره لأنه أتي بالعار للعائلة فقد سمعها من أمه قبل يوم.

: شوف يا ولدي أهلنا قالوا مافي نار من غير دخان والعود إن ما فيه شق ما بقول طق، بعدين البت الصعلوقة دي أنت بتعرفها وبتمشي معاها لو ما ولدك كنت بتجري ليها أصلا من يومك ما بتعرف بنات الناس إلا تلم لي في الشماسيات نسيت البت الكان معاك في المستشفى يومي بتجي؟

تحتقره أخته بنظراتها لأنه كاذب، تحتقره لأن ثوب العفاف والأدب الذي يرتديه في الأسرة قد سقط ووقع.

أما نظرة الشماتة هذه فهو يعرفها فهي الآن تشفي قليلها منه تقول له كما شاركت في إجباري علي الزواج الآن أنت تجبر.

الوالد: هوي سرحت وين أنت؟ بنضم معاك أنا

وائل: أبوي أنا ...

: شوف أنت بكرة تمشي تنهي الموضوع وبعيد عن البيت دا تمشي معاها مدينة بعيد مننا وتنتهي معاها مشكلتك دي وتشوفو حل بس ما هنا مفهوم؟

لم يجد بعد كل ما سمعه، وتهديد البنت بفتح بلاغ إلا الموافقة قرر أن

يتزوجها موقتا حتي تلد ثم ينفصل عنها ولا تملك حينها عليه شيئا، ما يحيره كيف غيرت رأيها من لؤي؟ ما الذي حدث؟ هل هو انتقام من الله لأنه أضاع بنتًا كانت قبله يرجي منها كانت محترمة؟ نعم هو الغضب والانتقام من الله وإلا كيف صبر عليها عامين وأكثر؟ ولم يصبر علي غيرها نصف هذه المدة رغم أنهن جميعا أكثر منها جمالا وأدبا.

****

ماذا تفعل سيدة بعد أن تأكدت أن ابنها حي يرزق؟ الطبيب كشف ما بداخلها لا تستطيع فضح نفسها فلتصبر لعل الله يجعل لها مخرجا، كان هذا ما يدور في خلدها مر عام كامل دون أن تجد حلا هل تسأل عن الأطفال الذين تم تبنيهم، هي كممرضة لن تجد طريقة لهذا فما دخلها بالأطفال الذين تم تبنيهم هل تدخل لمدير الدار وتقول إنها بصدد دراسة أخري تعتمد علي المقارنة بين الأطفال في الدار والذين تم تبنيهم من ناحية الصحه أم ماذا؟

تزوجت صديقتها سعاد وستغادر مع زوجها السودان هذا أجمل خبر بالنسبة لها من سنين، ليس لأن سعاد صديقتها التي وقفت معها وأنها تستحق الخير بل ما في قلبها كان أمرًا آخر، سعاد بالنسبة لها كالمرآة تظهر لها عورتها عندما تلتقي بسعاد تتذكر ما عانته وما ارتكبته لا تستطيع النسيان بسبب سعاد هذه، نظرات سعاد تحمل لها رسالة فحواها لولا وقفتي لكان أمرك قد انكشف ونظرة أخري تقول لها ليتني تركتك لينكشف أمرك، فسعاد كانت تحمل عقدة داخلها عقدة أن جميع صديقاتها أجمل منها هي وحدها التي لم تجد حظها من الحب كما وجدن من هن غيرها.

حرصت علي توديع صديقتها حتي المطار لم تطلب منها رقمًا للتواصل، تعلم أن زوجها لديه هاتف في المنزل لكنها قررت أن تكون هذه آخر محطة لها مع سعاد، عندما عادت أحست أنها رمت سبع سنوات من العذاب، سبع سنوات لا تنام إلا بمقدار، غفوة تنتهي بكابوس، لكن لم تكن تدري أن زواج سعاد سيفتح لها بابا آخر اسمه عقبالك، فرغم أن أمها تركتها لفترة طويلة منذ أن رفضت آخر متقدم وقرر والدها أن تترك لوحدها والأمر أصبح لا يناقش معها لكن بعد يوم من زواج سعاد قبل خروجها للمستشفى أوقفتها أمها قبل أن تخرج وابتدرت حديثها

: أنتِي يا بتي القدرك وأصغر منك كلهن عرسن وأنتِ قاعدة لي كده أنتِ زي حارس المرمي ما بتتحركي وأي عريس يجيك تقعدي تطفشيه عاجبك كده؟

سيدة: أمي الموضوع دا مش اتناقشنا فيه وقلت لما يجي المناسب؟

والدتها: أي سكتنا لكن ما قايلنو بكون سنتين كده حتي سعاد المعصعصة اتزوجت وسافرت كده يا يمي

سيدة: دي اتزوجت واحد قدر أبوي لو ما أخاف الكذب.

: ومالو أبوك كبير ولا كبير؟ عرس صغير وجاهل بعدين أحسن ليها عرست وسافرت والله أنتِ اقعدي لي كده، القدر جدك ما تلقي مخير الله يا بنات أمي فلهمة في شنو ما عارفة؟ اقعدي كده بس.

خرجت سيدة والحـزن من حديث والدتها يسيطر عليها مقرونا بالخوف، كيف لها أن تعيش حياتها بعد ما حدث؟ أتخدع أحدهم؟ وماذا

لو كشف أمرها؟ سوف يفضحها بعد سنين مرت، أتحب بعد أن أحبت وائل وخدعها، وهل هنالك شيء اسمه الحب حقا؟ لن تفكر في مثل هذا الأمر لقد وهبت نفسها للأطفال الذين تعالجهم، الزواج سوف يحد من عملها لن يرضي زوجها أن تظل طوال الوقت في المستشفي، لكن أتظن أنها ستظل بصحتها للأبد؟ أم أن والديها سيكونان علي قيد الحياة ليقوما برعايتها ولن يكبرا ولن يموتا، ضربت رأسها بغضب ورفعت يدها إلي السماء داعية رحماك يا الله إن لم تغفر لي فأين المهرب رحمااااااااااك.

دخلت إلي المستشفى كانت بانتظارها مفاجأة لم تكن في الحسبان.

****

عاد وائل من حبل ذكرياته تلك أحس بضيق وتعب تبًا لشقيقته التي أوصلته لهذه الدرجة من الغضب يحس بدوار ماذا يفعل أوقف تاكسي رغم أنه يعلم كم يكلف المشوار حتي منزلهم لكنه لم يجادل سائق التاكسي أعطاه العنوان طالبا منه أن يسرع لأنه يحس بالدوار، أدار السائق محرك المسجل الكاشف يغني ومعه السائق.

غصبا عنك

يلفت نظرك

مهما تحافظ وتاخذ حذرك

تصبح عاشق غصبا عنك

: اقفلو مصدع أنا ياخ

لم ينتبه وائل وهذه الكلمات تخرج منه دون شعور، لقد مسته لقد فعل

ذلك بسيدة لفت نظرها وجبرها علي حبه و.. إلي متي يظل في عالمها؟ إلي متي؟ ربما تكون قد نسيته وتزوجت وعاشت وربما مات ولده منها وارتاح، انتبه أن السائق يحدثه عن الغناء الأصيل ويحثه علي أن يتأمل في أغنية الكاشف هذه وأن يسمع كرومة وسرور والحقيبة و..

قاطعه صائح بأنه مريض وأن رأسه مصاب بالدوار وأن الأغنية تزيد ما به.

سائق التاكسي: يا زول مالك فاقد أملاح ولا شنو أول ما تصل شفت أعمل ليك موية سكر بملح وتحرق تش أنا عندي ود أخوي زي حالتك دي شفت بس دا إرهاق وسهر.

سقط وائل مغشيا عليه.

****

مرت علي نبيل الأيام في سعادة كان نزار بالنسبة له نعم الأب والأخ، نجوي تزورهم كل ثلاثة أيام تقوم بأخذ ملابسهم للغسيل وتأتي لهم بالأكل تضعه في الثلاجة ثم تعود، عاد مستوي نبيل كما كان في الصف السادس لم يتبق له إلا درجات تعد بأصابع اليد الواحدة ليحصل علي المجموع كاملا، تبقت له أيام قلائل لينهي إجازته السنوية ويلتحق بالصف السابع التحق بفرقة الكشافة بعد أن أوصي أستاذه بذلك، فالأستاذ كما قال لنجوي

: ولدكم دا ما شاء الله عليه ذكي ومهتم فعلا بدراستو لكن عندو مشكلو واحدة

نجوي بخوف: مشكلة شنو كمان؟

الأستاذ: الولد دا عندو طاقة هائلة وللأسف هو عصبي ودا ممكن يخلي يرتكب يوم جريمة كبيرة وما تنسي قبل كده كان حيدخل السجن.

نجوي: والله ما عارفة أقول شنو لكن الضغط عليه وكلام الناس فيه.

الأستاذ: دي بسيطة حلها ندخلو الكشافة هناك يقدر يستفيد من الطاقة دي وكمان يعلموه الانضباط والهدوء وحنوصي عليه بكده.

الآن هو في رحلة إلي ولاية كسلا مع زملائه الكشافين للتعرف عن قرب على أجزاء الوطن كما قال لهم مدربهم في الكشافة.

خبر سعيد وصل إلي نزار صاحب الشركة التي يعمل فيها وفر له سكنا خاصا بعد أن ظل لسنتين يتقدم بطلب لتضمين حافز سكن له، الآن وجد منزلا كاملا بعد أن صبر هذا جزاء صبره وما فعله مع نبيل أخيرًا سيجتمع مع ابنه وزوجته في بيت واحد، رغم كل شيء لقد صبرت عليه كان يتوقع منها أن تطلب الطلاق بعد أن وضعت لكنها لم تطلب وحينها كان في وضع نفسي يسمح له بأن ينفذ ذلك دون تفكير لكنها لم تفعل ظن أنها ستطلب ذلك بعد الوضوع وبعد أن طال إفتراقهما لكنه لم يحدث أيضا.

كان ينتظر نبيل وضعا عصيبا من جديد فمعني البيت والسكن أن نزار سيجتمع مع زوجته التي تكره ولن تسمح بأي حال أن يكون معها وهي تؤمن أنه السبب في كل ما يحدث.

- 28 -

لم يكن نبيل يدري أن من يقرأ القرآن في حفل استقبالهم بخلاوي همشكوريب هو فتحي رفيقه في الدار، فتحي الذي جعله حظه أن يأتي هنا فبعد أن حفظ القرآن بسرعة قرر الشيخ أن يترك معهم يواصل في تعلم أصول الدين ويستمر معهم في الخلوة أفضل له كما قال الشيخ من العودة للدار كان حديثه لأحد الحوار.

: الوليد دا زولا مبروك خلوه هنا نعلمو وندرسو باكر بنفع ونشيل فيهو الأجر ما كل الأولاد بتعلمو بسرعة كده هنا معانا زولا جايب خبرو مافي باكر يمشي هناك يعايرو الناس قلبها أسود

أحس نبيل براحة لم يحس بها من قبل وهو يسمع فتحي يتلو القرآن كم تمني ألا يقف، ليته يستمر مرتلا للقرآن، لقد كان يحس أن الآيات تخاطبه هو، تدخل في قلبه طمأنينة.

بعد أن انتهت التلاوة قام بمصافحته وسلم عليه ابتسما لبعضهما البعض عاد نبيل للخرطوم وملامح فتحي وتلاوته محفورة في عقله.

في البيت قبل وصوله بلحظات

نجوي: يعني أنت خلاص بعد بكرة حتمشي بيتك وتسيب نبيل؟

نزار: والله يا أمي حال الدنيا ومافي حل زي ما أنتِ عارفة وأنا ولدي ما عاوزو يتربي بعيد وأهو أنتِ شايفة كيف نبيل اتبهدل بس عشان هو بعيد من أمو وأبوه.

نجوي: والله برضو ما قصرت والمرأة العقرب دي ما بدورها أبدا ولا في يوم بغير رأي لكن عشان ولدك بس حأرضى عليك لكن ما تجيني بيها في يوم ولدك يجي معاك مرحب بيه لكن هي لا

نزار: يا أمي دا ما موضوعنا الموضوع أكبر من كده خلينا في نبيل.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

نزار: عليكم السلام.

نجوي: مرحبا اتفضلي يا بتي

مني: ولدي الليلة بجي؟

نظرت لها نجوي دقيقة كأنها تحتج أن تنادي واحدة غيرها بأنها أم نبيل أو ولدها ثم قالت بعد أن تذكرت أنهم في مشكلة أكبر من الوقوف في مثل هذه المواقف، زوجها أقسم ألا يعيش هذا الطفل في بيته ومني فعل زوجها نفس الشيء وزوجة نزار عاملته بأسوأ مما يتصور، تجربة الأم التي ترعاه لن تكون في حساباتهم فقد كادت أن تسبب من قبل في ضياعه كل الأفكار مرت بسرعة في رأسه قبل أن ترد.

: أي بالحيل جاي الليلة المسكبن ما عارف إنو ممكن تاني يضيع.

مني: أنت مش قلت ود أختك جاء من البلد قبلو الجامعه خلي يسيب الداخلية ويجي يقعد معاهو

نزار: بس أنتِ عارفة الشباب في عمرو ما بيقدرو يتحمل..

نجوي مقاطعة: دا حل مؤقت لو ما نفع ممكن نشوف نعمل شنو وأصلا حنتابعو.

أخذ نزار نفسًا عميقًا وأخرجه التفت لهم هز رأسه وقال

: خلاص طيب وأنا كل خميس أودي الأولاد لبيت أبوها وأجي أبيت معاهم.

****

مستشفى التجاني الماحي للأمراض العصبية والعقلية، عام كامل مر علي وجود وائل هنا، صامتا لا يتحدث فقط ينظر لمن حوله دون أن يقول أي كلمة، والدته تتهم أخته أنها هي السبب فهي تعلم أن الطبيب قد طلب منهم وشدد عليهم الوصية ألا يتسبب له في انفعال فقد تعود له الحالة التي أصابته من قبل واستمرت لعامين كان خلالها طريح الفراش هنا بعد الحادث الذي وقع له، لعام كامل ظلت والدته تأتي تحضر له الطعام وتجلس بجواره ينظر لها ثم ينشغل عنها بالأكل وبعدها يتجه إلي الجانب الآخر وإن كان يسرق النظرات إليها خلسة، عادت إلي البيت استقبلتها بنتها التي كانت معها فقد اقترب موعد وصول مولود جديد لها وفضلت أن تكون مع أمها.

: أمي أها لقيتيه كيف؟

: زي حالتو شكيتك لي الله من يوم زارك وعملتي لي جن في راسو

الأخت: أمي أنا والله سألتو بس وطلع نصيح من عندي.

والدته: وقع في بتاع التكسي الجابو منك ولو ما وصف ليه البيت بالدكان ما كان وصل تفتكري بتاع التكسي هو العصبو يا غتيتة!! وتقولي لي نبيل عينو زينا عينك بالعمي.

تذكرت والدته أن صاحب الدكان وصلها يجري في ذلك اليوم صائحا أن وائل أتي غائبا عن الوعي أوصله صاحب تكسي خرجت مسرعة بنفس التكسي للطبيب الذي كان متابع معه الحالة حوله إلي المستشفي، هذه المرة صاحب الدكان أخبر جميع من في الحي أن ابنها مريض طريح الفراش لكنها أنكرت ذلك رغم أنها تدري أنهم لا يصدقونها قالت لهم إنه عاد للشغل السابق، كيف تقول إن ابنها مريض نفسيا؟ وهم يعتبرون المرض النفسي جنونًا فلن تسلم ألسنتهم منها سيقولون أم المجنونة، إصرار صاحب الدكان علي روايته وعلي مرض وائل مع الأيام وعدم اهتمام الأسرة بالأمر نسي البعض، كانت تعد الطعام من منزل بنتها في بادية الأمر ثم أصبحت بعد زمن تعده في دارها.

وقفت أخته وهي تبكي بسبب الاتهام بأنها السبب في ما وصل إليه أخيها، عادت بذاكرتها لأول مرة يصاب بها قبل سنين كان عائدًا من بورتسودان بعد غياب طال أمده مع زوجته في طريق العودة أصيب بحادث مات جميع من معه زوجته وطفله ومن في البص وحده والسائق خرجا ظل شهرا في المستشفى مصابًا رغم أنه كان بكامل وعيه لكنه كان صامتا يقطع الصمت بسؤال

: يا جماعة سيدة ولدت ولا لسه؟ لو ما عارفين اسألوا لي سعاد صحبتها

بتكون عارفة.

بعدها تم تحويله لمستشفى التجاني الماحي ليظل هنالك سنين كان والدها يبكي كل يوم يقول إنه السبب ثم لا يلبس أن يعود للواقع وللوهم والنفاق الاجتماعي ويطلب منهم ألا يتكلم أحد بأن وائل طريح المستشفى.

****

وقع بصر سيدة بزميلها الذي كان يحبها في الجامعة الفتى الذي كان يرسل لها خطابات الحب والغرام، يجلس في كرسي ويرتدي الأبيض معني هذا أنه الآن زميلها بعد عامين من تخرجها، هل رمي به القدر مرة أخري في طريقها ليعيد محاولاته؟ كيف تتعامل معه وهي من رفضته؟ لكن ممَ الخوف وهو نفسه قد أصبح لا يلقي لها بالا حتي التحية لا يقوم بها، إلا لو وجدها وسط زميلات ربما يكون قد تزوج أو خطب، أيعقل إنه خلال فترة الجامعة بعد أن اقتنع أنها لن تستجيب له لم يرتبط، هي فعلًا لا تدري لأنها لم تكن تجلس كثيرًا في الكلية إلا داخل المكتبة أو لديها محاضرات.

انتبهت أن يده ممدوة أمامها مدت يدها بخجل حقيقي وخوف

: إزيك يا سيدة فعلا صدفة حلوة معقولة بعد سنتين وشوية

: سيدة: أهلا سعيد كيفك

: ما تقولي لي أنت شغالة هنا!

تبادلا بعدها الحديث قبل أن تستأذنه لاستلام عملها أحس سعيد براحة شديدة، طريقة مقابلتها له مختلفة فقد كانت من قبل عدوانية لقد

نادي عليها بسيدة وهو الذي أخبرها أنه سيقول لها سيدتي وستي لكنه سيصبر لن يستعجل ظل سنين ينتظر لن يضره أن ينتظر، قبل عودته للبيت ذهب لاستريو اشتري كاست مخصوص عاد للبيت مستعجلا ليسمع دخل الصالون وفتح المسجل بعد أن أدخله ليأتي صوت الكاشف

الليلة لاقيتو .....

ملا السرور قلبي

وبي اسمو ناديته

لها وانشغل عني لأني غيبته

دق وخفق قلبي وغلبني تثبيته

****

العام 2010

أيام وسيكون نبيل ضمن طلاب الصف الثامن، أنهي الصف السابع بتفوق، انضمامه للكشافة جعله أكثر هدوًا وعصبيته وغضبه السريع أصبح في طريقه للزوال فالتوصية من أستاذه لقائد الكشافة جعلهم يضعون له برنامجا لوحده ساعده كثيرًا. طوال العام الدراسي لم يشتبك مع زميل غير مرتين أو ثلاثة بسبب ما يقال منهم عنه هم لا يدركون حجم ما يفعلون فقط في الأمر تسلية لهم وهم يشاهدونه يغضب ويثور.

ولأن المشاكل تحاصره فقد انتهت السنة الدراسية لرفيق السكن وقرر السفر إلي أهله لقضاء عطلته التي ينتظرها بفارغ الصبر فقد اشتاق كثيرا لوالدته.

- 29 -

ما لا تعرفه والدة وائل ولا شقيقته أنه قبل يوم واحد من السفر لبورتسودان وبعد أن أكمل زواجه من البنت دون أي مظهر احتفالي، طلب منها أن تستعد للسفر إلي بورتسودان ليستقروا هنالك مؤقتا أعطاها فرصة بقية اليوم فقط لتستعد رغم محاولاتها ومعها جدتها إلا أنه حسم الأمر بأنه سينتظرها في المحطة عند الرابعة والنصف صباحا أعطاها اسم البص وقال لجدتها في حسم

: أنا قائم بالبص خمسة لو ما جات هناك أربعة ونص والله مشكلتها لو قمت تاني ما حتعرف عني شيئًا والله بالقانون ما تجيبني إلا ترفع دعوة للطلاق بعد خمس أو سبع سنوات تكون قنعت مني

الجدة: هين لما تعمل كده حندفع أسرتك نفقة الطفل و...

وائل: هههههه دا حلم أنا حاظهر لحظتها وأرفع دعوة أنكر الطفل أصلا بالقانون أنا سافرت قبل أدخل كل الحصل عقد عشان تنتظرني لما أغترب وأجي

وجدت الجدة أن وائل جاد في حديثه وأن جانبهم الأضعف لذا لابد أن تجاريه فيما يريد خاصة بعد أن أجبروه علي الزواج ربما باللين يكون ألطف.

: بس أربعة دي بدري تجي مع منو؟ براها كده!! نحن نسوان ولايا ما معانا راجل.

وائل: تنوم في الموقف تتفقوا مع بتاع تكسي أنا وريتكم الزمن واسم البص عنوان ما عندي، ما بسوقها ولو إنتشر خبر الزواج دا قبل ما براي أعلنو بتك دي والله أخليها ليك في بورتسودان وأهج.

خرج مسرعا زار صديقه معتصم الذي كان علي علم ومتابعًا كل ما جري، أما لؤي فلم يكن يدري ما الذي حدث لكنها تركته فجأة واختفت بعد أن أخبرها أنه لا يملك ما يخسره، قال لها إنه قد أخبر عمه وقال له سوف يقدمو للمحاكمة ويجلدو حد الزنا وتتحمل هي نتيجة ما تحمل لأنه يمكن أن يثبت أنها ارتكبت المنكر مع غيره.

معتصم: أها يا فردة ناوي علي شنو؟

وائل: حاعمل شنو يعني ما خلاص لبستها لكن أوعدك صاحبك دا ما أخليه كده بس إلا أمشي وأجي وزي ما قلت ليك الموضوع دا كتامي ما..

قاطعه: عيب يا أخوي معقول أنا أفضحك وكده

وائل: طيب أشوف وشك بخير.

ودعا بعضهم البعض غادر وائل وفي رأسه ألف فكرة للانتقام، لن يكون انتقاما عاديا كالذي يفعله كل مرة من أجل المرح بل سيكون فضيحة تصيب لؤي وأسرته، دخل البيت متأخرا كعادته منذ أن أجبره والده علي الزواج، لقد اختار له والده بورتسودان لأنهم لا يعرفون أقارب هنالك

فقد كان كل ما يهم والده ويخيفه في هذا سمعته، أعطاه عنوان شخص قال إنه جهز له دارًا وهنالك دكان صغير في البيت ليتصرف منه، والده الذي لم يكن يعطيه مالا إلا جبرا الآن يطلق يده بإعطائه الأموال، قال له سيجمد له الدراسة في الجامعة حتي تنهي المشكلة، غادر الدار صباحا وجد زوجته، لقد حجز لها مقعدا جوار طالبة لنفسه آخر يبعد عنها، كأنه يخبرها أنه لا يجمع بينهما شيء في حياته القادمة.

****

اتصلت نجوي بزوجها تبكي وهي تطلب منه أن يترك نبيل معها حتي ينهي الصف الثامن لكنه كان في موقفه وقسمه، لم تنفع كل المحاولات، تدخل نزار طلب من والده ذلك فآتاه الرد صادما

: وأنت لما بتعرف قدر كده وقلبك رهيف وحنين لي ما قبلت بيه في بيتك مع ولدك ولا مرتك هرشتك؟ أحسن الناس يقولو أبت تخلي في بيتها عشان راجلها أبا وأصر ولا عشان مرتو قالت لا وهو أصلا بخاف منها؟

نزار: أبوي أنا ما بخاف منها ولا ما كان الفترة الطويلة دي خليتها هي وولدي في بيت أبوها وقعدت مع نبيل.

والده: غايتو دا رأيي أنا لو عاوزو ودي نبيل بيتك في بيتي ما عاوز لقيط.

استمر النقاش والمحاولة أيامًا قضاها نبيل في معسكر داخلي مع زملائه في الكشافة في آخر الأمر أعطي نجوي شرطا حاسما استجابة لمحاولة بنته.

: شوفي يا نجوي خلاص الفترة بتاعت إجازة الولد القلتي قريبك دا

ثلاثة شهور اليقعدها الولد دا في بيتك بعدها تنسي خالص ما تجيبي لي سيرتو عشان ما حيحصل طيب وأنتِ ولا ولدك دا تجيبو سيرتو تاني ما بينا علاقة وكما بتي ما كان قبلت، الولد دا ذاتو بقى ما صغير وأنا بخاف علي بتي ما معروف بعدين يحصل منو شنو قالوا خيرا تعمل شرا تلقى ما عاوز ولد غريب مع بتي بعد الثلاثة شهور دي.

لم تجادله كثيرا رغم مرارة ما قاله حتي لا يغير رأيه.

كان نبيل سعيدًا طوال الفترة التي قضاها معها، أحس بكثير من الراحة اجتهد فيها ونجوي تراجع معه درس اليوم باليوم لم يكن راضيا بالانتقال مرة أخري مع الطالب الذي يدرس في الجامعة، رغم أن معاملته جيدة لكنه يبحث عن جو الأسرة، لم تبتعدا نجوي ومني عنه كانتا بانتظام في زيارته ونزار كالعادة داوم علي زيارتهم والمبيت معهم كل خميس يراجع معه دروسه، طالب الجامعة نفسه رغم أنه لا يحتاج لكل هذا فقد كان نبيه في يوم ونزار يراجع له سأله.

: أنت يا نزار تعرف الأحسن منو اليتيم ولا الزول الزي؟

نزار: الزول الزيك كيف ما فاهم؟

لم يهتم بالسؤال وأجاب.

: اليتيم حتي لو أبو وأمو ميتين بكون عندو أعمام وخيلان ما في زول بيقدر يطردوا

ونزار يغالب الدمع سأله

: أنت الكلام دا جبتو من وين؟

نبيل: جابو لينا واحد جديد في الفصل قال لي أمو وأبو ماتوا لكن أعمامو وخالتو كلهم بحبو أي واحد بيقول

إلا يقعد معاه.

عندها لم يستطع نزار المقاومة وترك لعينيه أن تتزل الدموع

****

لم تكن حياتها في بورتسودان تختلف، فمن أول يوم كانت الخارطة واضحة لها فطوال الطريق لم يتحدث إليها حتي وصلا إلى مدني أحضر لها ماء وطعامًا جعلها تتشاركه مع الطالبة ثم غادر ليفعل الأمر نفسه في القضارف وكسلا، بعد أن وصل الدار الذي أجره والده لهم متكفلا بإيجار أربعة أشهر ، طالبا منه أن يتحمل بعدها وألا يعود حتي تنهى مشكلته بطول الزمن، قال لها وائل إنه متعب من السفر ويريد أن ينام يجب ألا تزعجه، بعد يومين افتتح الدكان كانت تريد أن تقترب منه قالت له في ذلك اليوم وهي تمد له الشاي باكرًا

: أنا قبل كده قلت ليك أنت الوحيد المتمنية احتفظ بيه لأنك أكتر واحد محترم و..

قاطعها: وقلتِ في بقية الكلام لكن لو عاوز تسيبني غيرك عشرات ولا مئات ما عارف؟

: دا كلام ساي بعدين أنا سبت الناس كلها قبل فترة.

وائل: سبتيهم بعد شنو؟ بعد ما كان الجنين في بطنك؟ بعد خربتيها!!

: أنا ما كنت حاسمح إنو ولدي يتربي عند حد غيرك ولو ما عاوزني

الدي وشيلو وتاني ما بتشوفني.

وائل: أهو أنت قلتِ ولدك أنتِ ما ولدي أنا

وجدت نفسها بحديثها هذا سوف تبعده أكثر لذا يجب أن تهاجم بدلا أن تدافع

: أنت كنت عارف أنا عندي علاقة وما طلبت مني أسيب زول لو قلت كان خليت أي واحد، أنت السبب عشان أخليك تغير صاحبت أصحابك وأنت ولا علي بالك.

: لو كنتِ عاوزاني فعلا كنتِ سبتيهم براك.

: أنا كنت عـاوزاك تشاكلني تضربهم كنت عـاوزاك تحسسني بي رجو...صمتت قبل أن تكملها

وائل: ما كان تكملي، شوفي يا بت الناس أنا أتفرض علي دا بسببك أنت وحاتعامل معاك علي إنك بلوة لحدي تنزاح كلام كتير ما عاوز الحمد لله في غرفة وصالون أنت الغرفة وأنا في الصالون النهار بكون في الدكان ما عاوز ونسه ولا أعمل ليك شنو الليلة ....

حاولت أن تقاطعه لكن رفع صوته دلالة أنه لا يريد أي مقاطعة

: البجيبو تطبخي شوفي ما في مروق ولا فلانة جاتني لا علانة عيانة لحدي ما تلدي ما في حركة أو طلوع برة البيت دا إلا للدكتور والله لو سمعتك ساي قلتي عاوزه أضرب لأمي ولا حبوبتي أضربك لما أجيب دم منك شوفي طول ما نحن مع بعض هنا لا في حاجة بتلمك باهلك لا أهلي أنسيهم.

خرج دون أن يترك لها فرصة الرد وأغلق الباب خلفه ليباشر عمله في الدكان تاركها تقاسي الوجع الذي سيستمر معها في مقبل الأيام، لم تجد غير البكاء عله يفيد.

****

مني تبذل جهدها من أجل نجوي، ها هي إحدي المؤسسات تكرم نجوي باختيارها الأم المثالية بعد كل المجهود التي قامت به خلال السنوات حتي انتهي بأن حصل نبيل علي المركز الرابع علي مستوى الولاية في شهادة الأساس.

قبل أربع ساعات من الاحتفال بالتكريم نزار يقف مع والدته ويتحاور معها

: مصيبة يا أمي

نجوي: يا ولد قول بسم الله مصيبة شنو؟ ما شايف كل حاجة ماشية كويس وحيكرموني!!! أريت أبوك يشوف ويسمع عشان يغير رايو

نزار: أبوي شنو أسي!! انتو ما معاي في المصيبة الحتحصل

نجوي: ياخ خلعتني وخوفتني الحاصل شنو؟

نزار: بكرة الجرائد تطلع فيها صورتك وصورة نبيل

نجوي: يعني شنو كمان!! أبوك عندو رأي ولا أنا .....

نزار: يعني اتخيلي عناوين الصحف حتكون كيف، الطفل الرابع في امتحانات الأساس طفل لقيط ومن تبنته تستحق الاحترام، جريدة تانية بالأمس منظمة كبري تكرم أمًا وتصفها بالأفضل بعد دورها في تفوق

أحد مجهولي الأبوين، وصحيفة تالتة من حق أمه التي رمته أن تتحسر، طفل لقيط حصل علي المرتبة الرابعة في امتحانات الأساس.

كانت نجوي تنظر له خلال حديثه وقد فقدت القدرة علي الكلام، لم تنتبه إلا الآن أن انتشار خبر نبيل سيكون كارثة بدلا من المحيط الضيق الذي يعايره سينتقل للجميع.

- 30 -

نجوي تتساءل عن الحل في هذه المصيبة، أخرج نزار هاتفه المحمول اتصل علي مني في الدار، كان نزار يحتفظ بنمرة الدار عندما كان نبيل معه فقد كان علي اتصال معهم بسبب المتابعة التي تفرضها الدار علي كل من تبنته أسرة ومني كانت تبحث في بعض المواضيع الخاصة بالدار فهي تستعد لإكمال دراسة الدكتوراه وكانت قد قررت أن تكون حالة الرباعي نموذجا لما تريد أن تدرسه، أتاها صوتها

مني: أهلا نزار في شنو؟ المشرفة قالت لي نزار في التلفون

حكي لها ما سيحدث بعد التكريم، أسرعت مني تبحث عن مدير المؤسسة التي ستكرم نجوي في آخر الأمر وجدته تحدثت معه عن المخاوف التي يمكن أن تحدث، لتأتي كلمته وكل الحديث في الاحتفال عن الطفل اليتيم الذي ماتت كل أسرته وتبنته نجوي صديقة العائلة، بعث المدير رسالات شكر في حديثه لكل من زوج نجوي الذي فعل الكثير من أجل الطفل، في كلمة نجوي الخاصة شكرت مني التي كانت خير معين لها في ما حدث شكرت ابنها نزار الذي قدم الكثير من أجل الطفل شكرت بصورة خاصة زوجها وزوج مني وقريبها كانت لحظتها مني تتحدث مع مدير

الدار في أسباب ما قيل ولماذا اختاروا أن يكون طفلا يتيما.

بعد يومين وبعد انتشار الخبر انقسم كل من مر عليه نبيل في الحياة، زملاء المدرسة يحكون عن قصة أنه لقيط لكن لم يصدقهم أحد لأنهم في سن لا تعرف معني هذه الكلمة في نظرهم ومنهم من يظن أن الزملاء سمعوا هذه الكلمة من أمهاتهم في محاولة لتغطية فشل أبنائهم مقارنة مع زميلهم المتفوق، زوجة نزار دافعها الحقد تحكي ومن يسمعها يصدقها، فتحية تحكي قصصا خيالية مرة عن دورها وظلمها في التكريم وهي الأحق ومرة عن حقيقة نبيل، فقد أصابها الغضب والحزن لأن لا أحد ذكرها بعد أن أخبرها ابنها الأكبر بالتكريم، شخص واحد كان في قمة السعادة حاج علي وهو يحمل الجريدة يقول لزوجته

: والله مش لو قالوا يتيم لو جابوا أبو الحقيقي ما بغباني الاسم معقول طفل يتيم ويتطابق الاسم رباعي ياهو دا زولي ذاتو الكان لقيتو واقع قبل زمن كان تلتاشر ولا أربعتاشر سنة ما بتذكر كدي إديني النضارة النشوفو بعد كبر والله الحمد لي رب السماء أسي يا أم العيال لو جبتو ربينا هنا ما كان شلنا الأجر والحسنة.

زوجته: هوي أنت خرفت الأسماء دي ما راقدة إلا السميتو أنت وبعدين ولد حرام شنو البنربي في بيتنا.

****

كان وائل يجلس في سريره كعادته طوال الفترة التي قضاها في المستشفي، لم يهتم بوالدته التي تجلس بجواره لا يعرف لماذا لا يزوره والده؟ حتي في

المرة الأولي لم يزره أخائف علي مركزه الاجتماعي ؟ أم ما زال لا يسامحه؟ أم ضميره يعذبه لأنه أحد أسباب ما حدث له؟ عاد بذاكرته لبورتسودان في إحدي الأمسيات أيقظته زوجته وهي التي لا تفعل ذلك، ما بها لا يحادثها إلا في الضروريات وقد حضر متعبا من الدكان نظر إليها وعلي وجهة نظرة غضب

: في شنو؟ ما عارفة أنا بجي تعبان بكون عاوز أرتاح؟ عشان تاني بعد المغرب برجع

: بطني بتوجعني شديد حاسة إني حالد.

وائل: دي المرة الثالثة تجهجيني وفي النهاية يطلع دلع زي المرتين الفاتن

: ما دلع لكن أنا بجد بتألم ودي أول مرة ما بعرف إن كان حقيقي ولا لا لو كان معاي أمي ولا حبوبتي.

وائل: لو كان وما حصل ولا بحصل قومي أرح ويبقى بس دلع تشوفي حاجة

: أنت ليه بتعاملني كده؟ أنا صابرة وساكتة وبقول ربنا يهدي ولسة بتزيد

وائل: دايراني أعاملك كيف! دا البتستحقي

: أنت فاكر نفسك أحسن مني ما أنت برضو زيي وعملت الغلط وما معروف مع منو ومنو غيري؟

وائل: لو ما خائف إنو أجيب لنفسي مصيبة أكتر من الأنا فيها دي كان لطشتك

خرج مسرعا حتي لا تستمر في الحديث وهو ما تريده فمعظم وقتها صامتة لا تجد من تحادثه، حتي الجيران أصبحوا لا يزورونها بعد أن تكررت زياراتهم دون أن تزورهم، أحضر تاكسي لينقلها للمستشفي.

عاد من ذكرياته ما زالت أمه جالسة تحدثه بخبر أخته التي وضعت طفلا جديدا يشبهه كما تقول تمني ألا يشبهه أيضا في المصير، عاد مرة أخري بذكرياته مرت أيام والطفل عمره تجاوزت الأشهر الأولي لم يحدث أن حمله إلا في المستشفى أطلق عليه اسم لؤي كان يعتقد أن في هذا عقابا وعذابًا لها لكنه كان يعذب نفسه معها في أحد الأيام وبعد أن ضاقت به أتاها غاضبا وسألها:

: عاوز أعرف حاجة واحدة وأرتاح

: شنو هي؟

وائل: الطفل دا حق منو بالجد؟

: أنت ما شفت شهادة الميلاد؟

وائل وقد أمسك نفسه بتعب حتي لا يضربها: أنا عاوز أعرف الحقيقة ما المكتوب

: مش عارفة الزمن طال وأصلا أنا ما كنت في آخر فترة بعرف حد غيرك و..

وائل مقاطعا: ولؤي صاح؟

: لا أنت عندك وهم اسمو لؤي

وائل: طيب ليه مشيتي لي في الأول وقلت ولدو؟

: ما كنت عارفة وبعد عرفت الصاح جيت ليك عشان ما أغلط في زول ساي والولد يتربي في حضنك عليك الله كان تشيلو هو ما عندو ذنب.

نظر لها بغضب وخرج، تمر الأيام وفي أحد الأيام بعد أن أصابها التعب ووصلت لأقصي ما تستطيع تحمله أتته سائلة

: أنت لمتين حتعاملني كده؟

وائل: لحدي ما تموتي؟

: طيب الجيران وعدم المروق لي؟ أي ممكن أنت ما عاوز تتكلم معاي بتكرهني بس المروق دا..

مقاطعا: عشان لو مرقتي ممكن تمشي تعملي الغلط تاني.

: ولو عاوزة ما في شيء بمنعني لكن خلاص عشان ولدي تبت وأنا ما حاسمع كلامك لأنك ما عندك بي غرض لو كنت عاوزني كنت أعيش خدامة تحت رجليك وأسمع كلامك لكن أنا من أسي بعتبر نفسي مسؤولة عن روحي وبمشي الجيران براي و...

وائل مقاطعا: بغض النظر عن كلامك الكتير دا ابقي مرة بس وامرقي كما ربطتك

: دا شنو دا دي ما عيشة دي أحسن منها الموت.

وائل: منتظرة شنو؟ انتحري ترتحاي وتريحي

: طيب لو أنت أصلا ما عاوزني طلقني

تكمل عبارتها وتدخل في نوبة بكاء

وائل: ما حاطلقك اطلبي أنتِ وأتنازلي عن كل شيء نفقة وغيرو عشان

ما نتقابل تاني

أعاده صوت والدته إلي الحاضر وهي تطلب منه أن يحكي كل ما يتعبه للطبيب غدًا فهذا كما قالت سيساعده في حل المشكلة حلا جزريا، كانت قلقة علي ابنها الذي يرفض الحديث في هذا الأمر منذ المرة الأولي التي أصيب بها بهذه الحالة ورغم أن الطبيب أخبره أن كل ما يقوله سيظل سرا فهذا أحد أخلاقيات المهنة إلا أنه لم يغير رأيه ولا يتحدث حتي لا يقول أنه رافض ذلك بل الصمت هو ما يعيش فيه رده صمت، حديثه صمت.

خرجت أمه وعاد لذكرياته مرة أخري، حضرت زوجته في المساء أخبرته أن آخر طاقة لها قد نفدت، قالت إنها مستعدة أن تتنازل عن كل شيء فقط يطلقها حتي إنها لن تطالبه بنفقة لها ولا لابنها، طلب منها أن تكتب تنازلا قانونيا قبل كل شيء ولأنها تريد أن تخرج من السجن أيًا كان الثمن لم تتردد، وهو نفسه لم يكن راغبا بأن يظل معها أكثر من ذلك طلب منها أن تتصل بأهلها وتخبرهم أنها قادمة غدا ولا تزيد في الحديث.

لا خرجت هذه الصرخة منه هو يرجع للواقع، أخيرا كانت هذه ردة فعل إحدي الممرضات في المستشفي، بعد يومين كان مع الطبيب حكي له كل ما يعذبه كل ما مر به منذ أن التقي بسيدة حتي انتهي به الحال في البص متجها للخرطوم والحادث الذي وقع لهم وموت الجميع، في أول الأمر كان يظن ما حدث هو نهاية لمتاعبه لكن كانت البداية وما أصابه هو شيء من كثير.

الطبيب: في سؤالين حأسألهم ليك وبعدها تقدر تطلع وأتمني ما أشوفك

إلا في العيادة وكمان دا موقت ما عاوزنك في المستشفى تاني السؤال الأول قلت عاوز تنتقم من لؤي عملت شنو؟

وائل: هههههههه دا الزمن انتقم منو يا دكتور، أخذ نفسا عميقا قبل أن يواصل يا دكتور رجعت لقيت جنابو متزوج أول واحدة أعرفها في حياتي، أول واحدة أقع معاها في الغلط أنا؟ أصلا وقعت في دا مع تلاتة الأخيرة ركبت فيها هههههههههههه ربنا يغفر لينا ويحفظنا أهو اتعاقبنا

الدكتور: وعرف دا؟

وائل: لا ودا أكبر انتقام إنو يعيش في الوهم

الدكتور: طيب ولدك وسيدة وين؟

نظر وائل إليه لدقائق ثم وقف طالبًا من الطبيب أن يسمح له بالخروج، أخبره الطبيب أن مشكلته ستحل عندما يجد الاثنتين.

بعد خروجه ولسنين ظل يبحث عن سيدة فلا أحد يعرف عنهم شيئا فقد رحلوا منذ فترة ثم رحلوا أيضًا من المكان الذي ذهبوا إليه.

****

كتبت مني في بحثها (والبيئة جزء من تكوين الأطفال مجهولي الأبوين، فلو تحدثنا بملخص عن حالات الأطفال الأربعة في الفترة الأخيرة ومنذ آخر دراسة لي عنهم، نجد أن نبيل الذي تكفلت به نجوي وجعلته يقيم في بيتها وشملته بالرعاية والعطف لا ينقص ولا يكدر حياته إلا بعض من أفراد المجتمع ممن لا يتصالحون مع أنفسهم، الأغلبية يتعاملون معهم علي أنهم أطفال مثل أي أطفال آخرين لأنه لا ذنب لهم، استطاع نبيل هذا أن

يكون ضمن العشرة الأوئل في شهادة الأساس للخرطوم وما زال الطريق أمامه مفتوحًا رغم الحزن والانكسار الذي يسببه له المجتمع وإدراكه أكثر لحقيقة نفسه وكيف أتي للدنيا، فتحي تكفل به شيخ خلاوي همشكوريب جعله هذا يعيش في حالة أفضل، الآن يحفظ القرآن وكثيرًا من الحديث وجوده بالخلاوي أبعده من الحالة النفسية التي كانت يمكن أن يتسب فيها المجتمع، مروة تعيش حالة من الرخا والنعيم فتاة مغرورة يوفر لها الرجل وزوجته الذين تبنوها كل ما تحلم به وكون الله قد حرمهم الأطفال عوضوا كل ذلك في مروة مع غرورها هذا كانت دائما التفوق علي رفقياتها أحضر لها أستاذًا مخصوصًا لتعلم الإنجليزي ومع صغر عمرها الآن تجيدها بطلاقة تحسد عليها، علا الحظ جعلها تعيش في الدار طبيعتها المتمردة جعلتها ترفض هذه الحياة خاصة أن أصدقائها الثلاثة قد غادروا الدار، مستواها التعليمي متدنٍ لحد بعيد يشتكي منها الجميع رغم أن هنالك آخرين بالدار أفضل منها لكنها لم تتسامح مع فكرة الحياة بهذا الوضع).

كل الدراسات التي تمت تؤكد أن هؤلاء الأطفال يستطيعون الاندماج في المجتمع بصورة سريعة ويمكن أن يكونوا أفرادًا صالحين يخدمون الآخرين وتسامح المجتمع معهم هو ضمان علي أن يكبروا بعيدًا عن الأحقاد التي قد تولد بسبب المجتمع فتعود علي المجتمع يومًا بكارثة.

أمسكت نجوي البحث الذي كان إسمها يزين صفحة الإهداءات شكرت مني التي أهدتها نسخة منه.

مني: علي فكرة نبيل بسلم عليك زرتو في المدرسة.

نجوي: الخميس الجاي ما حيطلع؟ اشتقت ليه بجد.

نبيل تم قبوله في مدرسة الشيخ مصطفي الأمين فهي مع اسمها وتفوقها الظاهر علي مستوي الشهادة السودانية توفر داخلية للسكن الداخلي حتي لمن يقطنون الخرطوم ومع كل هذا فرسومها كانت أهدي من غيرها وحلًا للمشاكل جعل نبيل يقطنها، زوج نجوي ووالد نزار متكفل برسوم الدراسة وأغلب المصاريف ولا أحد غير مني تدري بهذا فنجوي تظن أن ابنها كما تناديه أعفي لتفوقه من الرسوم كاملة.

يعود نبيل إلي البيت كل خميس حيث وضع نزار ضمن حياته أن يظل معه في يوم الخميس وطوال نهار الجمعة، وجود نبيل في الكشافة جعله لا يقابل أي صعوبة في الحياة بالداخلية.

****

مرت السنوات وسيدة كما هي حزن بداخلها تحاول أن تغطي عليه بالعمل وسط الأطفال، حاول زميلها أن يتقرب لها فشل في ذلك، سنون مرت وهما معا وهي لا يزيدها الحديث إلا إصرارًا وصل لقناعة اكتفي بأمنية أن يعرف فقط سرها وسر حزنها سيكتفي لا يريد أكثر.

: يا سيدة في حالة مستعجلة الدكتور قال ليك الحقي.

أسرعت سيدة للطفل الذي لم يكن إلا ابن شقيقة وائل لتقوم بواجبها بعد أن أنهت عملها خرجت التقت بوائل بعد أكثر من ستة عشر عامًا، ما الذي رمامه اليوم في طريقها، كاد أن يسقط من المفاجأة يبحث عنها سنين والآن يجدها أمامه.

: وائل سيدة

تجاهلت سيدة يده الممدودة إليها وردت ببرود: أهلًا.

وائل: ما عرفتيني؟

كادت أن تقول له إنها تعرفت عليه علي الذئب الذي دمر حياتها للأبد غالبت دموعها وابتسمت له بهدوء وقالت

: معليش أصلو في شغلنا دا في اليوم بمروا علينا عشرات فما بقدر أتذكر عن إذنك أنا ماشية عندي شغل

: أنا وائل أنا....

: أنت قصدك الذئب وائل الزول الدمر حياتي أرجوك ما ناقصة ذكريات زبالة.

وبعد إصرار منه أخذ موعدا معها ليلتقيا فيه بعيدًا عن العمل لم تكن تريد أن تلفت نظر أحد إليها.

التقيا بعد عدة أيام

وائل: سنين بفتش فيك

سيدة: ليه عاوز تعمل لي شنو؟ ما أنت أخذت كل حاجة تاني ما عندي شيء

وائل: كنت بفتش فيك عشان أصلح غلطي

سيدة: أنا متأخرة علي شغلي اختصر سريع

وائل: براحة علي أنا غلطان و... سيدة أنا مستعد أتزوجك

سيدة: خلصت كلامك أنا مستعجلة وعلي فكرة أنا مرتبطة زميلي اتقدم

لي وموافقة عليه ولو حتي ما موافقة عليه أنت آخر واحد ممكن أفكر فيه لإنو لما أتزوج حاتزوج راجل

وائل وقد ضبط نفسه حتي لا يرد علي هذه الإهانة: سيدة أنا مستعد:....

سيدة مقاطعة: خلصني وخلي بالك دي آخر مرة أشوفك فيها لإنو لو عرف إنك أنت بالذات اتعرضت علي حيقتلك هو من عرف الحصل عاوزني أوريه مين الكلب دا حالف ياخد فيه إعدام

وائل: يعني أنتِ وريته الحصل!!

سيدة: وعاوزني أعرس زول وأكذب عليهو؟

وائل وقد وجد أن كل شيء انتهي لم يتبقَ ما يقوله

: طيب أنا عاوز ولدي

سيدة: الحمد لله مشي للأحسن منو ومنك العمرو ما ظلمو

: مااااااات!

سيدة: عن إذنك.

لم تكن تعرف لماذا كذبت عليه، هي لا تعرف أين طفلها الآن هل ما زال علي قيد الحياة أو مات كما قالت حتي لو حيًا لا تريد أن تظهر بعد أن ضاع الأمل الآن له أكثر من أربعة عشر عامًا أو خمسة عشر هي نفسها لا تدري وماذا عن حديثها بأنها ستتزوج هل ستقبل به بل السؤال الأصح هل سيقبل بها لو عرف كل ما جري أول ما ستفعله ستطلب أن تنتقل من هذا المكان إلي أي مستشفى آخر لا يعرف مكانها وائل حتي لا يظهر لها فهي لا تريد أن يظهر عليها بعد كل هذه السنوات لكن في نفس الوقت ظهوره أعطاها

دافعا لتعود للحياة مرة أخري اكتفت أن تعيش في العذاب لكن لن يكون معه هو فلم يبقَ له في ذاكرتها غير أنه زبالة تلوثت به من قبل وإن كانت هي نفسها مثله لأنها شاركته.

****

جامعة السودان كلية الهندسة يقف نبيل مع زميل له وهما يضحكان في أحد المقالب التي قاما بها ضد أحد الزملاء، نبيل الآن طالب ضمن طلاب السنة الأولي الهندسة الكهربائية يعيش في الداخلية مع زملائه كثير من الناس يحسدونه وهو ابن السادسة عشرة المتفوق حتي علي مستوى الجامعة في أول فصل دراسي لكنه وحده من يعيش في كثير من الألم لا أحد يعرف ما ينتظره كان يعلم أن المجتمع لن يتقبل به مهما وصل من تفوق لن يرضي أحد في يوم من الأيام تزويجه بنته لأنه لقيط سيظل يعيش في هذا العذاب وحده إلي الأبد حتي المتعاطفين معه والذين كانوا يساعدونه لن يستطيعوا في يوم أن ينهوا هذه المشكلة، لا يعرف كيف يقدم شخص في كامل قواه لهذه الجريمة ألا تفكر أي بنت قبل أن تقدم علي ارتكاب الفاحشة إن متعة دقيقة قد تجر العذاب لحياة آخر، ماذا سيقول والداه يوم القيامة عندما يتقابلان؟ بقدر ما كان يتمنى أن يشاهدهما وهو صغير الآن يتمني أن يمحوهم من الأرض أشعل سيجارة، أصبح السجائر صديقا له في عذابه رغم إدراكه أنه يرتكب أكبر حماقة في حياته لكن ما الذي في حياته غير الحماقات.